بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة الفعل والكلمة البديل

ما أكثر الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الكلمة، فتبين خطرها، وتتحدث عن أثرها، وتنوه بقدرتها على البناء والتشييد، أو على الهدم والتبديد.

إن الكلمة - طيبةً - كالشجرة الطيبة، ضاربة في أعماق الأرض، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وإن الكلمة - خبيثةً- كالشجرة الخبيثة، ينبغي اجتثاثها من فوق الأرض اجتثاثا لا يبقي لها من قرار.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم -٤٢) وذلك أن الكلمة محرضة على الفعل، باعثة على العمل، إنها المحرك الذي تتولد في أحشائه الدوافع والقرارات.

ولكن الكلمة تصبح خطراً داهماً عندما تتحول إلى بديل عن الفعل، يقولها صاحبها ولا يعمل بها، يدعي البطولة وهو قاعد كالأرانب لا يخرج للقاء، ولا يتهيأ لمواجهة، حتى كأن كلامه عن البطولة صار هو البطولة نفسها.

ما قيمة عنتريات - بتعبير نزار قباني - لا تقتل ذبابة؟ ما أقبح الكلمة حين تخدرك، فتحسب أنك كريم إذا تحدثت عن الكرم، وشجاع إذا تكلمت في الشجاعة، ثم لايكون منك لا كرم ولا شجاعة!

إنها عندئذ كلمة النفاق والدجل، كلمة الغش والخداع، كلمة ذي الوجهين، كلمة من قال الله تعالى مقبحاً فعله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ (الصف).

ما أكثر العناتر الذين لم يقتلوا ذبابة! ما أكثر من أسماؤهم نصر الدين، ومحب الدين، ومحيي الدين، وشرف الدين، وما كان واحدا من هؤلاء يوما ناصراً، ولا محباً، ولا محيياً، ولا شرفاً للدين:

أســماء مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

لقد كثر في زماننا القول وقل العمل، أصبح عندنا عدد لا يكاد يحصى ممن ثقفوا الخطابة، وأجادوا تزويق العبارة، وتنميق الكلام، وتشقيق العبارة، ولكن الكلام في واد، والعمل في واد آخر.

صارت الكلمة هي الفعل، حلت محل العمل، ظنت نفسها بديلاً عنه، وليست باعثة عليه، أو موقدة جذوته، صار الهدف منها عند قوم سبي العقول، وخلب الألباب، والضحك على اللحى.

«يتعنتر» قوم ليقال: إنهم شجعان، وما عنتريتهم إلا كلام، ولا شجاعتهم إلا أقوال وأشعار، وما تهديدهم ووعيدهم إلا طنين أجنحة الذباب..

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشــر بطـول سلامـة يا مربــع

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٣) العدد (٩١)
رمضان - ذو القعدة ١٤٣٧هـ
تموز (يوليو)- أيلول (سبتمبر) ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو مايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د.عماد الدين خليل

د.أحمد كمال عبدالله

د.شفيق أحمد خان الندوي

محمد شلال الحناحنة

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

- الكلمة الفعل والكلمة البديل — مدير التحرير — ١
- إشكالية المصطلح السردي في النقد الإسلامي الحديث.. — الطيب الرحماني — ٤
- الرمز في ديوان من وحي الجراح لوليد قصاب.. — مضر الشيخ عبدو — ١٢
- أزمة الاغتراب في الأدب المعاصر — د. مصطفى عطية جمعة — ٣٠
- البعد الديني وصورة اليهودي في الرواية الغربية — د. حلمي محمد القاعود — ٤٠
- قراءة في قصيدة الشاعرة نبيلة الخطيب: هل جادك الوجد — د. أماني حاتم بسيسو — ٥٢
- سعدي الشيرازي صدى العروبة والإسلام — د. شفيق أحمد خان الندوي — ٦٦
- قراءة نقدية في ديوان صهوة خيال للشاعر حسين محمد باجنيد — محمد شلال الحناحنة — ٧١

الشعر

- الإيمان — محمد ياسر أمين الفتوى — ١١
- أتحبني؟ — ريح المطر — ٢٩
- يا قبلة كل البشرية — رفعت عبدالوهاب المرصفي — ٣٧
- صريع هواك — د. عبدالرزاق حسين — ٣٨
- استفسار — عبدالرحيم الماسخ — ٥٧
- قوي العزم مكتسب المعالي — د. محمد أمين الله الغمبري — ٧٤
- صاحب اللواء — شادي أيوب — ٧٨
- أيها الظالم للشاعرة سيدة نسرين نقاش — ترجمة: د. سمير عبدالحميد — ٨٨

القصة والمسرحية

- مذكرات مدرس مضطهد — د. عماد الدين خليل — ١٨
- نقاط... - خاطرة — ربيع زعيمية — ٣٣
- أشباح الروهنجا — إبراهيم حافظ غريب — ٥٨
- حكاية الفلفل -خاطرة — د. حيدر الغدير — ٦٣
- تلميذي القبيلي — سماح أحمد سالم باديبان — ٨٢
- رمضان كريم - مسرحية — محمود كحيلة — ٨٦
- الحلم الوردي — د. عبدالله رمضاني — ٩٣
- بائع الذرة - خاطرة — محمد يوسف كرزون — ١٠١

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع الدكتور أحمد كمال عبدالله (كمالا) — حوار: محمد ذو الكفل — ٣٤

❖ **من التراث:**

- رثاء الأبناء — د. عبدالقدوس أبو صالح — ٥٠

❖ **ثمرات المطابع:**

- من محاورات النقد — عبدالنبي اصطيف — ٧٦
- ❖ قراءة في نصوص من العدد ٩٠ — د. علي بن محمد الحمود — ٨٠

❖ **رسالة جامعية:**

- صورة المرأة في الرواية الإسلامية — الباحثة: مريم محمد اليامي — ٩٠

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

- قراءة في كتاب أدب الأطفال العربي في الهند لسيد محمد طارق الندوي — عرض: غياث الإسلام الصديقي الندوي — ٩٦

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٢

❖ **الورقة الأخيرة:**

- واحات العربية البعيدة — د. عبدالباسط بدر — ١١٢

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٣) العدد (٩١)
رمضان - ذو القعدة ١٤٣٧هـ
تموز (يوليو)- أيلول (سبتمبر) ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو مايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د.عماد الدين خليل

د.أحمد كمال عبدالله

د.شفيق أحمد خان الندوي

محمد شلال الحناحنة

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

- الكلمة الفعل والكلمة البديل — مدير التحرير — ١
- إشكالية المصطلح السردي في النقد الإسلامي الحديث.. — الطيب الرحماني — ٤
- الرمز في ديوان من وحي الجراح لوليد قصاب.. — مضر الشيخ عبدو — ١٢
- أزمة الاغتراب في الأدب المعاصر — د. مصطفى عطية جمعة — ٣٠
- البعد الديني وصورة اليهودي في الرواية الغربية — د. حلمي محمد القاعود — ٤٠
- قراءة في قصيدة الشاعرة نبيلة الخطيب: هل جادك الوجد — د. أماني حاتم بسيسو — ٥٢
- سعدي الشيرازي صدى العروبة والإسلام — د. شفيق أحمد خان الندوي — ٦٦
- قراءة نقدية في ديوان صهوة خيال للشاعر حسين محمد باجنيد — محمد شلال الحناحنة — ٧١

الشعر

- الإيمان — محمد ياسر أمين الفتوى — ١١
- أتحبني؟ — ريح المطر — ٢٩
- يا قبلة كل البشرية — رفعت عبدالوهاب المرصفي — ٣٧
- صريع هواك — د. عبدالرزاق حسين — ٣٨
- استفسار — عبدالرحيم الماسخ — ٥٧
- قوي العزم مكتسب المعالي — د. محمد أمين الله الغمبري — ٧٤
- صاحب اللواء — شادي أيوب — ٧٨
- أيها الظالم للشاعرة سيدة نسرين نقاش — ترجمة: د. سمير عبدالحميد — ٨٨

القصة والمسرحية

- مذكرات مدرس مضطهد — د. عماد الدين خليل — ١٨
- نقاط... - خاطرة — ربيع زعيمية — ٣٣
- أشباح الروهنجا — إبراهيم حافظ غريب — ٥٨
- حكاية الفلفل -خاطرة — د. حيدر الغدير — ٦٣
- تلميذي القبيلي — سماح أحمد سالم باديبان — ٨٢
- رمضان كريم - مسرحية — محمود كحيلة — ٨٦
- الحلم الوردي — د. عبدالله رمضاني — ٩٣
- بائع الذرة - خاطرة — محمد يوسف كرزون — ١٠١

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع الدكتور أحمد كمال عبدالله (كمالا) — حوار: محمد ذو الكفل — ٣٤

❖ **من التراث:**

- رثاء الأبناء — د. عبدالقدوس أبو صالح — ٥٠

❖ **ثمرات المطابع:**

- من محاورات النقد — عبدالنبي اصطيف — ٧٦
- ❖ قراءة في نصوص من العدد ٩٠ — د. علي بن محمد الحمود — ٨٠

❖ **رسالة جامعية:**

- صورة المرأة في الرواية الإسلامية — الباحثة: مريم محمد اليامي — ٩٠

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

- قراءة في كتاب أدب الأطفال العربي في الهند لسيد محمد طارق الندوي — عرض: غياث الإسلام الصديقي الندوي — ٩٦

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٢

❖ **الورقة الأخيرة:**

- واحات العربية البعيدة — د. عبدالباسط بدر — ١١٢

تداخل المصطلحات والمفاهيم مظهر من مظاهر فوضى المصطلح بالنقد العربي المعاصر، وهو يطرح إشكالات أعقد مما ينتج عن الترادف أو الاشتراك اللفظي، لأنه يتجاوز تعدد الدوال أو المدلولات إلى تقاطعها وإغفال ما بينها من أوجه الاختلاف والتمايز لا تسمح لها بذلك التقاطع، وهذا يجعلها تستعصي على التحديد والتصنيف، وبذلك تفقد المصطلحات قدرا كبيرا من شفافيتها ووظيفتها الدلالية، وتثير اضطرابا شديدا في السياق الذي يحتضنها. ومِن بين العوامل التي تدفع إلى هذا المظهر بقوة استعمال المصطلحات في غير محلها الصحيح، بسبب ضعف الحاسة الاصطلاحية التي تمكن من تمييز الفروق بين المفاهيم والمصطلحات المتقاربة.

إشكالية المصطلح السردي في النقد الإسلامي الحديث

قراءة في التراث النقدي السردي

لمحمد حسن بريغش

ويأخذ هذا الإشكال طابعا أكثر تعقيدا حينما يظهر لدى الناقد الواحد، ويؤثر في كيفية ودرجة الوصول إلى استخلاص مواقفه النقدية تجاه قضايا ذات صلة بالمفاهيم والمصطلحات المتداخلة، وقد يؤثر في القيمة الفكرية المضافة التي تحملها أعماله النقدية، ومن ثم يقلل من درجة إفادة الأعمال الأدبية التي يوجهها أو يدرسها.

ومن المتون الإسلامية التي تجلى فيها تداخل للمصطلحات

الطيب الرحماني- المغرب

والمفاهيم السردية التراث النقدي للراحل محمد حسن بريغش، وهو يهم باستعمال بعض المصطلحات المركزية بشكل عفوي أو مقصود، كما هو شأن المصطلحات المسمية للأنواع السردية: القصة والرواية والحكاية...

ومعلوم أن النقد الحديث شهد تعددا كبيرا في المصطلح المسمي للأنواع السردية لدرجة أصبح

معها من الصعب جدا التمييز بينها، فهناك القصة، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، والأقصوصة، والرواية، والحكاية... وتحت كل صنف منها أنواع تتعدد الفروق الجزئية الفاصلة بينها. وقد أرجع بعض الباحثين هذا التعدد المصطلحي إلى ثلاثة مرتكزات أساسية هي: الكم الذي يحكم الطول والقصر، والمحتوى القصصي، ودرجة حضور عناصر التشويق القصصي[1].

والقصة مصطلح مركزي في كتابات بريغش، فهو يستعمله أكثر من أي مصطلح سردي آخر، وهذا يظهر جليا من خلال العناوين الرئيسية والفرعية لأعماله النقدية التي تناولت إبداعات قصصية أو روائية. جمع بريغش كتابين في نقد السرد تناول فيهما قصصا وروايات وأطلق عليهما عنوانين ضما مصطلح «القصة الإسلامية»، وهما «دراسات في القصة الإسلامية» و«في القصة الإسلامية المعاصرة»، بينما وظف في مرات عديدة ضمن عناوين فرعية مصطلح «قصة» مكان مصطلح «رواية» دون العكس، ومن ذلك: «قصة الطريق الطويل» و«قصة النداء الخالد» لنجيب الكيلاني، مع أن المتحدَّث عنه هنا نصان حازا كل خصائص الرواية من طول في متن الأحداث، وتسلسل في مراحلها، وتعدد في الشخوص والأمكنة والأزمنة...

ويظهر أكثر ضمن بعض المتون التحليلية التي تتناول أعمالا قصصية أو حتى روائية، حيث يزاوج الكاتب بين المصطلحين

محمد حسن بريغش

في تصنيف هذه الأعمال فهي رواية وقصة معا، فرواية «ملكة العنب» لنجيب الكيلاني مثلا قصة ورواية في الآن نفسه، ويؤكد ذلك استعمال أداة العطف (أو) التي تفيد التخيير والتسوية بين المعطوف عليه والمعطوف، كما في قوله: «ومثل هذه القصة أو الرواية جديرة بأن تكون نبراسا أمام كُتاب القصة، ومثلا للكاتب في بناء أدبه الإسلامي الأصيل.»[2].

ومن المعلوم أن كلا من المصطلحين يدل على لون سردي قائم بذاته، وقد يتقاطعان في بعض الخصائص العامة، لكنهما يتمايزان حتما في كيفية حضور العناصر السردية في كل منهما، فالقصة فن بشري قديم قدم الإنسان... والعرب عرفوها منذ العصر الجاهلي، ثم جاء القرآن الكريم وبه «أحسن القصص»[3]، وبناء على ذلك فهي تتميز بشيء من المرونة في توظيف الخصائص السردية التي قامت عليها الرواية التي تمثل شكلا حديثا يشترط فيه الطول وكثرة الأحداث وتسلسلها، وتعدد في الشخوص والأزمنة والأمكنة...

ويعرفها بعض الغربيين بأنها «قص نثري لا يقل عن خمسين ألف كلمة»، وأنها «سرد مطول يحكي قصة بغرض التسلية أكثر

مما يحكيها بغرض التثقيف.»[٤]، واستعمالهما بهذا الشكل يعد «من الخلط المنهجي... وضرب في (ألف باء) المنهج»[٥]، يؤدي حتما إلى إشكال في الفهم، ويفضي إلى الاضطراب والتردد، ويقف عائقا أمام فعالية النقد وقدرته، ويقلل من شفافيته وقدرته على التفسير والتأويل...

ولا يقتصر الأمر على تداخل القصة والرواية فحسب، بل يتعداه إلى أسماء أنواع سردية أخرى منها الحكاية والأقصوصة والقصة القصيرة... كلها تتداخل مع «القصة» من جهة، كما تتداخل فيما بينها من جهة ثانية.

فالحكاية تطلق في الاصطلاح على مفهومين مباينين لدلالة القصة قديم وحديث، فهي في القديم «فن مرتكز على السرد المباشر المؤدي إلى الإمتاع والتأثير في نفوس السامعين يتخذ موضوعا له الأشياء الخيالية والمغامرات الغريبة...

أما في العصر الحديث فالحكاية تتحو نحو الواقعية المستقاة من الحياة نفسها... ذلك أن الأساطير التي كانت تتخذ منطلقا أساسيا في صياغتها لم تعد تثير كما كانت في الماضي أخيلة القراء...»[٦].

والتباين بين المفهومين هو كما يأتي: «القصة تشبه الحكاية في السرد والمظهر العام، ولكنهما يختلفان فنيا. ذلك أن القصة الحديثة تطالب الكاتب بالعقدة، والفنية، والأسلوب المشرق، والصور الوصفية، والحبكة، بينما الحكاية تعتمد على السرد، وأسلوب الراوي، ومزاجه في الأسلوب والأداء، وفي إظهار روح المغامرة والإثارة...»[٧].

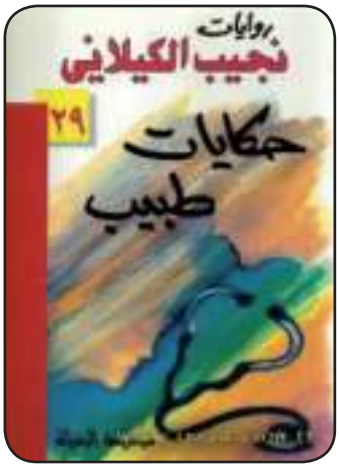

نجيب الكيلاني

ولكن الحكاية عند بريغش مرادفة للقصة، ففي مقالين نقديين لعمَلَيْن سرديّين اختار صاحباهما أن يصنفاهما تحت إطار الحكاية هما: «مجموعة حكايات طبيب لنجيب الكيلاني»[٨]، و«أدب الجاليات من خلال مجموعة حكايات ليمان السباعي»[٩]. وفي المقال الثاني يعترف أن الحكايات جاءت مصوغة بطريقة القصة، ويعلل اختيار الكاتبة تسمية «الحكايات» تعليلا يتناغم والمفهوم الجديد للحكاية، فيقول:«...حكايات صاغتها المؤلفة (يمان السباعي) بطريقة القصة، وعرضتها من خلال عشر حكايات... وربما اختارت لقصصها هذه اسم الحكاية لأنها تريد أن تحكي أحداثا واقعية تتجاوز فيها أحيانا بعض الأمور الفنية لهذا النوع الأدبي، ولأنها أيضا اختارت طريقة السرد للأحداث من قِبلها مع بعض التعليقات، لتكون الأمور واضحة، والغاية من القصة قريبة التناول، ومع اختيارها لأسلوب الحكاية، فقد استخدمت شيئا من الرمز...»[١٠].

ومع ما أشار إليه الكاتب من خصائص اشتملت عليها المجموعة، وجعلت الكاتبة تختار

لها اسم «الحكايات»، فإنه يصر على استعمال مصطلح القصة في مقاله هذا، بل يحكم على هذا العمل انطلاقا من استحضار بعض خصائص ومميزات القصة، وينتقد ضعف حضور شروطها المتعارف عليها حديثا، ومن ذلك ما جاء في قوله: «والكاتبة في قصتها هذه[11] تتخلى كثيرا عن بعض الشروط الفنية[12]، فتستطرد وتعلق على الأحداث، وتناقش بعض الأفكار، فتوقف حركة الأحداث، وتقطع ترابط الحكاية حتى تتأرجح بين فني المقالة والقصة، وكان بإمكانها العودة إلى هذه القصة لنسجها من جديد بطريقة أكثر إحكاما، وأجود فنا، باستخدام عناصر وأساليب القصة الفنية المختلفة.»[13].

هذا إضافة إلى أن الكاتب يستعمل مصطلح «الحكاية» مرادفا لمصطلح آخر هو «السرد» أو الحكي بمفهومه العام، يقول في سياق تحليل إحدى المجموعات القصصية: «ففي بعض القصص يكاد يختفي الحدث تماما، أو الشخصية، وبصورة أوضح تبتعد القصة عن كل ما يمت إلى الحكاية التي هي روح القصة...»[14].

ومن مظاهر التداخل في هذا الباب، أن يصنف الكاتب عملا سرديا ويعتبره منتميا إلى أكثر من نوعين في الآن نفسه، فنصوص مجموعة «الأخدود» توصف بالقصة، والقصة القصيرة، والأقصوصة، وبذلك فهي تتألف «من مقدمة وثماني عشرة قصة»[15]، وكاتبها «يحاول ترسيخ مفهوم جديد للقصة القصيرة»[16]، وفي إحدى نصوصها «عرض لما

يشعر به القاص عندما يطالعه وجه الشخصية الوحيد في الأقصوصة...»[17].

ومعلوم أن القصة القصيرة والأقصوصة مصطلحان حديثان يسميان نوعين قائمين بذاتهما، بينما مصطلح القصة تتقاسمه دلالتان إحداهما قديمة، وأخرى حديثة. والقصة بالمفهوم الحديث، «تختلف عن الأقصوصة في أنها تصور فترة كاملة من حياة خاصة أو مجموعة من الحيوات، بينما الأقصوصة تتناول قطاعا أو شريحة أو موقفا من الحياة، ولذا يضطر كاتبها إلى الخوض في تفاصيل يتجنبها كاتب الأقصوصة، لأن هذا يعتمد على الإيحاء في المقام الأول، إذن فالفرق الأول يتجلى في عملية الاختيار، إذ بينما يحاول كاتب القصة عرض سلسلة من الأحداث الهامة، ووفقا للتدرج التاريخي أو النسق المنطقي، يسعى كاتب الأقصوصة إلى إبراز صورة متألقة واضحة المعالم، بيِّنة القسمات لقطاع من الحياة، بحيث تؤدي إلى إبراز فكرة معينة...»[18].

أما الأقصوصة فهي كذلك «نوع أدبي يتميز عن القصة والحكاية بأن السرد فيه مرتكز على حادث فرد، فتدرس أبعاده النفسية، وعلى شخصيات قليلة العدد ليست رموزا أو كائنات خيالية... وهي تتطلب الإيجاز والانتقال السريع في المواقف، وإبراز الملامح المعبرة بوضوح»[19]. ومن جهة أخرى «ليست القصة القصيرة مجرد قصة تقع في صفحات قلائل، بل

هي لون من ألوان الأدب الحديث ظهر في أواخر القرن التاسع عشر، وله خصائص ومميزات شكلية معينة»[٢٠].

ومن مظاهر التداخل أيضا استعمال خاصتي القِصَر والطول لتركيب ضمائم مسمية لأنواع قائمة عليهما أصلا، ومن ذلك «الأقصوصة القصيرة»[٢١] و«الرواية الطويلة»[٢٢]...

وأغلب مظاهر التداخل بين مصطلحات الأنواع السردية عند بريغش ترتد إلى عوامل ذاتية، وأخرى موضوعية، منها:

مَيْله إلى استعمال مصطلح القصة أكثر من غيره، واعتبار كل نص توافرت فيه خاصية السرد داخلا تحت مفهوم القصة. ومبعث هذا التعميم والشمول لدلالة هذا المصطلح يرد إلى تشبث الكاتب بأصول الفن القصصي التي ترتد إلى ما قبل الإسلام، وتعززت بتضمن القرآن الكريم أحسن القصص، ومن هنا اكتسب مصطلح «القصة» جذورا ممتدة تمنحه شرعية الاستمرار، وتحول دون الإغراق في استعمال ما استجد من مصطلحات أغلبها وافد من الغرب، ومن بين الوافدات الأنواع السرية الحديثة ومصطلحاتها، كالرواية والأقصوصة... نعم قد يستفيد الأديب المسلم من مستجدات العصر، لكن دون أن يفرّط في كنوزه التراثية التي تحفظ خصوصياته اللغوية والأدبية الشكلية والمضمونية، ومن بين العناصر التراثية التي يطالها الإهمال أو التبديل والتغيير المصطلحات والمفاهيم.

مصطفى صادق الرافعي

ولا يقف بريغش وحده هذا الموقف من هذه الأسماء، فقد سبقه إلى شيْء من ذلك مصطفى صادق الرافعي الذي رفض أدب الرواية، واعتبره دخيلا لا يستحق الانصراف إليه عن الشعر والمقالة...[٢٣]، ومن بين الإسلاميين أيضا الذين نرصد عندهم تعميم مصطلح قصة ليشمل أنواعا سردية أخرى الناقد وليد قصاب فهو يتناول أعمالا قصصية، وأخرى روائية تحت مسمى واحد هو «القصة الإسلامية»، وجاء من كلامه في سياق ذلك: «إن القصة ولاسيما الرواية... لا تترسم حدودا مسبقة.»[٢٤].

الاضطراب حاصل أصلا في استعمال هذه المصطلحات في النقد عموما والنقد العربي خصوصا، ومما يدل على ذلك أن أصحاب المعاجم المعاصرة أنفسهم يجدون صعوبة في تحديد التعريف المناسب للأنواع السردية والتمييز بينها، فجبور عبد النور مثلا يرصد التداخل بين مصطلحي القصة والرواية لدى الكتاب والمؤرخين، ولا يجد ما يميز به بين الأول والثاني إلا الفارق الزمني لظهورهما، يقول في تعريف القصة: «حديثا احتفظت اللفظة بمدلولها القديم، وأنزلها الكتاب ومؤرخو الأدب أيضا مكان الرواية، ونظروا إلى الكلمتين على أنهما تدلان على فن واحد، واختلطتا في العبارة لدى معظمهم، حتى إن الواحد منهم يتكلم عن الرواية[٢٥] فتبادر كلمة قصة على لسانه، والعكس صحيح. وإذا جازت لنا محاولة الفصل بين التعبيرين قلنا: إن (الرواية) في الاستعمال الشائع تُعتمد دائما للدلالة على الفن الحديث المقتبس من الآداب

الأجنبية انطلاقا من منتصف القرن التاسع عشر، وإن (القصة) مع شمولها المعنى نفسه، ما تزال محتفظة بالمعنى القديم»[٢٦].

كما تمثل الترجمة عاملا مهما في هذا الاضطراب، فمصطلحا «القصة القصيرة» و«الأقصوصة» يرى بعض الدارسين أنهما اسمان لمعنى واحد، وأن محاولة التفرقة بينهما لا تخلو من تعسف، وأن «مصدر الإشكال راجع إلى أن كلمة أقصوصة ترجمة لكلمة nouvelle الفرنسية، وقصة قصيرة ترجمة short story الإنجليزية»[٢٧]، وهما اسمان أعجميان لمسمى واحد، وبذلك تكون الترجمة غير المنسَّقة قد أفرزت مصطلحين لدلالة واحدة. غير أن هناك من يرى التمايز بين المصطلحين أكثر من تنوع في التسمية والحجم، يقول سيد قطب: «ليست الأقصوصة قصةً قصيرة، وحجم الأقصوصة ليس هو السمة التي تعين طبيعتها، فالاختلاف بينها وبين القصة لا يقف عند حجمها، إنما يتعداه إلى طبيعتها ومجالها.»[٢٨].

يميل بريغش إلى فكرة التقليل من استقلالية الأجناس الأدبية وخصوصا السردية منها، وهي فكرة بدأت تتسلل إلى النقد العربي والإسلامي الحديث، حيث أصبح الدارس مدعوّاً «إلى التخلي عن نماذج في مقاربة الأجناس الأدبية، والأخذ بمفاهيم إجرائية أكثر مرونة، وأقدر على التعامل مع ضروب من الإبداع تتنكب المألوف، وتلج عوالم لم تردها سابقا، وعلى نحو من التصرف في القيم الأجناسية يتحدى جميع المقاييس والتصورات التقليدية وأجهزة التنظير القائمة على الانضباط ورسم فواصل للأنواع وتسييجها في حدود صارمة.»[٢٩] وهذا ما جعله يسمح لنفسه بالتعامل مع الأنواع السردية بقدر غير يسير من التعميم، دون مراعاة الفواصل والفروق الشكلية والمضمونية بينها، فهو يفتتح تحليله لإحدى المجموعات القصصية بعدة أسئلة ذات صلة بهذه القضية: «ما الفرق بين القصة الحديثة والمقالة؟ وما حدود كل منهما؟ وأين تنتهي تخوم المقالة لتبدأ القصة؟ أو كيف نتبيَّن تخوم كل منهما ونعرف أن الكاتب اجتاز الفواصل الموهومة بين هذا النوع الأدبي أو ذاك أو العكس؟ وهل يمكن أن نلغي في وقت ما الفواصل والحدود بين الأنواع الأدبية؟ وإذا كان هذا ممكنا، فهل هو مفيد؟ وما مردود ذلك على الأدب وعلى الأديب، والقارئ؟»[٣٠].

وفي معرض بيان موقفه من هذه القضية رفض الموجة الحداثية

التي استهدفت إزاحة الفواصل بين الشعر والنثر، ورأى أنها «تحمل نوايا عدوانية لكل عقائدنا وقيمنا ولغاتنا وتراثنا وشخصيتنا...»[٣١]

ولكنه أقر التنوع والتقارب الحاصل بين الأشكال السردية، واعتبره تنوعا تحت غطاء موحد هو القصة، وقال: «لست ممن يتوقفون عند صورة محددة للقصة، بل هناك مجال رحب وصور كثيرة يستطيع الكاتب استخدامها في كتابة القصة.»[٣٢] ■

الهوامش:

(١) انظر: مصطلح القصة في المغرب من بداية الأربعينات إلى نهاية الستينات، عبد الرحيم مودن، دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع٣، صيف- خريف، ١٩٨٨، ص٦١-٦٢.

(٢) دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٤٦.

(٣) انظر: خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار، دار المنارة، جدة، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٣٥-٣٦.

(٤) إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، فتيحة عبد الله، عالم الفكر، مج ٣٣، يوليو-سبتمبر ٢٠٠٤، ص ١٧٧-١٧٨.

(٥) كما يقول محمد إقبال عروي معلقا على تداخل مصطلحيّ القصة والرواية عند بريغش في مقاله: هوامش على متن الأدب الإسلامي، المشكاة ع ٥-٦، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥٥-٥٦.

(٦) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص ٩٧.

(٧) المعجم المفصل في الأدب، محمد ألتونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٧٣.

(٨) دراسات في القصة الإسلامية، ص ٩٨.

(٩) في القصة الإسلامية المعاصرة، دراسة وتطبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار البشير، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٦٤.

(١٠) في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ١٦٧.

(١١) يقصد إحدى حكايات المجموعة المدروسة ضمن مقاله المذكور.

(١٢) من بين مميزات الحكاية بمفهومها الحديث أنها لا تلتزم شروط القصة، بل «يقصها الإنسان كما يعن له» انظر: المعجم الأدبي، ص ٩٧.

(١٣) في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ١٧١. وواضح من النص عدم تمييز الكاتب بين المصطلحين.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٦٠. وانظر كذلك ص ١٦٢. وهذه الدلالة معتمدة ومتداولة كذلك عند منظري الفنون السردية، يقول جرار حنيت: «تدل كلمة حكاية على المنطوق السردي، أي الخطاب الشفوي أو المكتوب الذي يضطلع برواية حدث أو سلسلة من الأحداث...» خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة محمد المعتصم وعمر حلي وعبد الجليل الأزدي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦، ص ٣٧.

(١٥) في القصة الإسلامية المعاصرة، ١٥٧.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(١٧) نفسه، ص ١٦١.

(١٨) فن القصة، يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط٥، ١٩٦٦، ص ٩-١٠.

(١٩) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص ٣٠.

(٢٠) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.، ص ٢٩٢.

(٢١) في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة وتطبيق، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.ص ٢٣٩.

(٢٢) في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ٨٨، وهذا يتكرر في مواضع أخرى أيضا.

(٢٣) انظر: الأدب العربي ونظرية الأجناس الأدبية، عبد السلام صحراوي، علامات، ج ٥٤، مج ١٤، شوال ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٥٥٥.

(٢٤) من قضايا الأدب الإسلامي، وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.ص١٧٨.

(٢٥) في مصدر النص: يتكلم على الرواية.

(٢٦) المعجم الأدبي، ص ٢١٢.

(٢٧) فن القصة القصيرة بالمغرب: النشأة والتطور والاتجاهات، أحمد المديني، دار العودة، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٢.

(٢٨) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، بيروت القاهرة، ط ٤، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٨٠.

(٢٩) الأجناس الأدبية ومدى إمكان الإقرار بها، محمد الناصر العجمي، علامات، ج ٧٤، مج ١٩، شعبان ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ٨٩.

(٣٠) في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ١٥٨.

(٣١) المصدر نفسه، ص نفسها.

(٣٢) نفسه، ص ١٥٩.

الإيمان

محمد ياسر أمين الفتوى - كندا

ظلي على الأرض ميمون يخط به ... رعافه جلوة الأيام من عمري
وقد زها صبحه في كل مضطرب ... وليله قد ترامى غير معتكر
به ودعت ابتهالاتي وخشعتها ... وقد حظيت بنور النجم والقمر
فكل نجوى بمحراب الدجى هملت ... بأدمع برة أثرت بها سحري
وفي رضى خالقي وثقت مطلبي ... وجل سعيي بما يصفو به كدري
وجل نبضي كريما في تتابعه ... وفي نبالة ما يرمي إليه حري
بحبي الهائم الممتد عشت به ... مكرم الخطو في مكثي وفي سفري
وقد سموت بأسمى ما يقال هوى ... وصغت أحرفه من خالص الدرر
وما أنا غير هذا العبد رق به ... ترداد - يارب - في جهر وفي خفر
يارب ! في سبحات الذكر لذت بها ... وما نأى النور عن سمعي ولا بصري
وذكر ربي ربيع لا انتهاء له ... وحسبي بأن رضاه غاية الوطر
وحسب طاعته تثري ذخائرها ... حدائقي ببهيج الزرع والزهر
وهل يضارع - مجدي - أنني ورع ... به أعزز إثرائي ومدخري
به أهيم ودمعي مورق خصب ... تشتاقه تربة تجلو بها فكري
وبين شهقي وزفري مايروقني ... جلال أدعيتي في صمتي النضر
يارب ! في سنبلي زاد يقوم بي ... نعمى توثق من عقدي ومؤتزري
وأحتسي قطرات الماء رائقة ... فتصطفيني هوى قد غض من كبري
وكم زهت بغراسي كل باسقة ... بحب من أودع الإيمان في البشر

هناك علاقة ديناميكية متصلة بين الأدب والحياة، المتمثلة في ذائقة المتلقي، لذلك كان الأدب وما يـزال «إعـادة تشكيل دائمة للغة، ومحاولة مستمرة لصهرها حتى تعادل حرارتها حرارة الحياة الإنسانية»(١).

لذلك ظل الأدباء المبدعون على مر العصور ساعين إلى تجديد أدواتهم التعبيرية.

الرمز في ديوان (من وحي الجراح) لوليد قصاب

قصيدة: (رسالة إلى قطري بن الفجاءة) نموذجاً(*)

ومن خلال متابعة نتاج كثير من الشعراء في العصر الحديث، نجد أن «الرمز والأسطورة اكتسبا قيمة خاصة في الصورة الشعرية الحديثة، وأصبحا عنصرين فنيين متميزين من عناصرها، وهذا على الرغم مما يقتضيه تشكيلها وتوصيفها من براعة فائقة من قبل المبدع، وحس شعوري تـؤازره حصيلة ثقافية متجاورةُ الرؤى والمنافذ»(٢).

ونحـن في هـذا المقـام لا نقصد الرمزية المذهبية مجردة؛ فالحقيقة أن نشوء المذهب الرمزي في أرضه الأصلية، أملته ظروف نفسية، ناشئة عن ظروف اجتماعية، فكان لهذا المذهب أسسه الفنية، وأسسه الفكرية، فالفن لأجل الفن فقط. وحين انتقل المذهب إلى الأرض العربية – وهي مختلفة بداهة عن البيئة الغربية – تفاوت الشعراء في مدى تأثرهم به؛ فمنهم من حاول التقليد، آخذا من المذهب أداته ورؤيته، فأصاب وأخفق، بينما نجد في الطرف المقابل من انعتق من إسار «التبتُّل المذهبي»(٣)؛ فأخذ من المذهب جانبه الفني، حيث إنه يقول شيئا ويعني شيئا آخر، عن طريق الإيحاء، وغذوا هذا المفهوم من رواء الفكر العربي.

ولا بد من بيان الأصل في ثراء تجربة الشاعر بالرموز المعبرة، وهو الخيال، «إن استخدام الرمز، والوقوع على الأسطورة لتوظيفها فنيا لغرض مقصود: خيال»(٤)، وثراء الخيال بحد ذاته تسهم فيه عوامل متعددة، منها الثقافة والبيئة... إلخ، نتيجة لهذا؛ نجد تفاوتا بين الشعراء في خيالاتهم؛ «ففي حين يبدو مجنحا متألقا عند بعضهم، يبدو فاترا كابيا

مضر الشيخ عبدو- سورية

عند بعض آخر»[٥].

ونتيجة لما تقدم؛ نلحظ أنه «كان للرمزية تأثير في استخدام الرمز والأسطورة على نطاق واسع، إذ عُدَّ الرمز أداة رئيسة في التعبير الفني، حتى نُسبت في التسمية إليه»[٦].

واللجوء إلى الرمز بصفته تقانة فنية يمنح المتلقي لذة الوصال بعد الهجر والمراوغة، و «اللذة إذا حصلت عقيب الألم، كانت أقوى، وشعور النفس بها أتم»[٧].

ومن الحق أنه «قد أساء بعض الرمزيين – من الأوروبيين والعرب – إلى الرمزية، بإيغالهم في الغموض، حتى جاءت صورهم مستكرهة مغلقة، لا تساوي الجهد في البحث عما وراءها»[٨].

أين موقع ديوان (من وحي الجراح) فيما سبق؟

نسعى إلى الإجابة في السطور التالية.

* * *

سنعرض في هذا البحث قصيدة واحدة للشاعر وليد قصاب، من ديوانه: (من وحي الجراح)، ندرس فيها الرمز بصفته تقانة دالة في سياق النص، تتعاضد معها بِنى أخرى؛ في سبيل دعم الدلالة.

نبدأ بعرض سريع لرؤية النص، ثم نقصد إلى التفصيل رؤية وأداة.

القصيدة بعنوان: (رسالة إلى قطري بن الفجاءة)[٩]، والشاعر عَبْرَ العتبة / العنوان يعود بالمتلقي قرونا مديدة، فيذكرنا بأحد رؤوس الخوارج، إحدى الفرق الضالة؛ التي طغت وبغت باسم دين الإسلام، إلا أن العنوان لا يحمل للمتلقي أية دلالة على مضمون هذه الرسالة.

فإذا ولجنا عالم النص، عبر ابتداء / مقدمة القصيدة[١٠]، قرأنا قول الشاعر:

صهيون حول ديارنا متخندقة
راياتهم حيث اتجهت محلقة
حشدوا لنا البغضاء يردي سهمها
وعداوة التاريخ نارا محرقة
قدموا وشيطان الغرور يقودهم
وعيونهم بشرورها مغرورقة
وسيوفهم مسلولة، وبها إلى
أعناقنا شهوات حقد معرقة

القصيدة من البحر الكامل، ذي التفعيلات الكثيرة، على النمط العمودي.

في الجزء السابق من مقدمة القصيدة، يسوق لنا الشاعر جملا خبرية، فيها استعارات لافتة، إلا أنها لا تحمل أي قبس يضيء دلالة العنوان، بل هو على العكس، كما سنبين لاحقا.

ثم يميط الشاعر اللثام عن المراد بـ (قطري بن الفجاءة) في البيت الذي يختم المقدمة، فيقول:

د. وليد قصاب

أتكون يا قطري من أسيافهم
وتكون عينهم علينا المطبقة؟

هنا تنقشع الغمامة؛ فيظهر مراد الشاعر؛ فـ(قطري) هنا رمز، ولكنه رمز لمن؟

ثم يقول الشاعر في المقطع الثاني:

صهيون يا قطري حقد أسود
أتكون أحقد منهم، أو أحمقا؟
صهيون من كل الدروب تسابقوا
لنزالنا، أتكون منهم أسبقا؟

هـم في فلسـطين وفي بـغـدادنا
في كـل ربـع قـد أقـامـوا مـرفـقا
أتـكـون يـابـن فـجـاءة عـونـا لـهـم؟
أتـكـون أطـمـاعَ الـعـدو المحـدقـة؟

إن هذه المقارنة تكشف خسة المرموز إليهم؛ فهم قد فاقوا اليهود في الطغيان والبغي، إلا أنه لم يبين سببا لفعلهم.

ثم يقول:

اللهَ! يـا قـطـري ظـلـمـك عـلـقـم
كـم طـال سيفك روحـنـا، كـم أزهـقـا!
كـم أطـفـأ الـبـسـمـات في أيـامـنـا
كـم حـلـم أطـفـال لـنـا قـد مـزقـا!
ولـكـم سفحت عـلـى الـفـلاة دمـاءنـا
مـا صـنـت قـط دمـاءنـا المتـدفـقـة؟

هذا هو المقطع الثالث من النص، وقد كرر الشاعر فيه صيغة الاستفهام بشكل ملحوظ، ليستنكر ويتعجب من فظاعة أفعال الرمز / المرموز إليه، ويزيد المتلقي حقدا على هذا العتي.

كل ما سبق يجعل القارئ يتساءل عن سبب هذا الاستنكار والتعجب؛ حتى يلتفت الشاعر من الخطاب إلى الغيبة، فيقول:

قـطـري مـنـا، إنـمـا أغـواه إبـلـيـس،
فـمـا راعـى الـعـهـود الـمـوثـقـة
مـن خـيـرنـا أكـل الـطـعـام وداسـه
مـن نـبـعـنـا شـرب الـزلال ورنـقـا
لـم يـرع حـرمـة مـوطـن أو عـشـرة
لـم يسم في درج الـوفـاء، ولا ارتـقـى
لـم يـرع ديـنـا أو عـهـود قـرابـة
أو كـان يـومـا بـالـقـبـيـلـة أرفـقـا

خمسة الأبيات السابقة تضمنت مظاهر الخيانة في الرمز / المرموز إليهم؛ عبر صيغ النفي، في

التركيب والمعنى، ليفسر سبب الاستنكار والتعجب في المقطع السابق؛ فقطري هذا قد خرج من تحت عباءة المسلمين، وتربى في عزهم، ثم خانهم.

ثم يكشف الشاعر صفة المرموز إليهم بشكل صريح، فيقول:

أبـدوت يـا قـطـري أرشـد دَيِّـنـا
وبـحـبـل ربـك ممـسـكـا متـعـلـقـا

وهنا يكشف الشاعر عن أبرز أسباب استنكاره؛ فهذا الطاغية ليس قطعة من جسد الأمة فقط، وإنما ضم إلى ذلك الطغيانَ باسم الدين، ثم ينفي عنه صفة الإسلام؛ فيقول:

ومـرقـت مِ الإسـلام كالسهم الـذي
يـرمـيـه حـذاق الـرمـاة لـيـمـرقـا؟

ثم يُذَكِّرُ الرمز / المرموز إليهم بفضل الإسلام وبلاده عليهم، فيقول:

رُبِّيت يا قطري في أرض الهدى
وغذيت بالعطف العميق وبالمقة
وسقيت من دين النبي محمد
عدلا أضاء المشرقين وطوقا
أرضعت في هذي البلاد كرامة
من أين عُلِّمْتَ السفاهة والشقا
من أين علمت التطرف والخنا
فخرجت من صف الجماعة أخرقا؟
ما كان دين محمد يوما ليرهب
آمنا، أو كي يبيد، ويسحقا
ما كان إلا رحمة للكون يملؤه
ندى، وسماحة، وتألقا
أزعمت أنك خارجي ذو هدى
هلا خرجت إلى السماحة والتقى!
من كان يدعو للإله، فأسوة
بمحمد، كم كان برا مشفقا!
ما كان فظا، كان صدرا حانيا
كان الرؤوف، الراحم، المترفقا
ما كعبة الرحمن تعدل عنده
دمَ امرئ، من غير ذنب أهرقا

إلى هنا ينتهي المقطع الممتد ستة عشر بيتا، ليصل الشاعر خاتمة / نهاية القصيدة[11]، فيبين فيها دعوته لهؤلاء إلى العودة إلى جادة الصواب، يقول:

جَنِّدْ خيولَك في نزال عدونا
إن كان سيفك للهدى متشوقا
احشد رجالك للجهاد وقل لهم:
في القدس في الجولان يحلو الملتقى
اجمع أزارقة البلاد، وقل لهم:
كونوا دروع حماكم يوم اللقا
كونوا كبركان الجحيم على العدا
وعلى العشير الكوثر المتدفقا
وتعلموا أن التوسط رحمة
سوق التطرف ها هنا لن ينفقا
إسلامنا عدل ورفق كله
ما كان غال في الأمور موفقا
عودوا إلينا راشدين يكن لكم
منا الأبوة، والأخوة، والثقة
أعداؤنا عد الحصى، انظرهم
هل غادروا غَرْباً لنا أو مشرقا؟
داسوا على هاماتنا لما رأوا
هذي الجموع تشرذما وتمزقا

فكريا، يتعرض الشاعر في هذا النص إلى قضية من أهم القضايا المعاصرة؛ ألا وهي التطرف باسم الدين، وهذه من القضايا الجديدة التي يطرقها الشاعر[12]، مما يدل على مواكبته للعصر، وتجدد رؤيته.

يعرض الشاعر قضية التطرف باسم الدين عبر توظيف رمز (قطري بن الفجاءة)، وهو رمز ينتمي إلى معين التاريخ، وهو معين ثر، كثيرا ما لجأ إليه قصاب في أشعاره.

وقد استغرق الرمز القصيدة بكاملها؛ وهذا مقصود للشاعر؛ ليتاح له التفصيل في الشخصية؛ نظرا لثرائها الدلالي في دعم غرض الشاعر، فلم يكن كافيا حضورها محورا إلى جانب محاور أخرى، فأخلص النص لها كاملا.

ورمز(قطري بن الفجاءة) جديد عند الشاعر؛ حيث لم يوظَّف في أي من دواوينه السابقة.

ويدل توظيف هذا الرمز على سعي الشاعر إلى التجديد في رموزه؛ عبر القراءة الواعية للتاريخ؛ فينتخب منه رموزا يسقط عليها الواقع المعاصر.

وقد حضر الرمز في النص كله، إما غائبا، وفي الأغلب مخاطبا، وكأنه يحاكمه على فعلته.

إن توظيف الرمز لا يمكن أن يؤدي غرضه في النص إلا إذا تعاضد مع بنى فنية أخرى، تثريه، وتنقله من مرحلة التعبير عن الموروث، إلى مرحلة التعبير بالموروث.

وهذا ما تمكن ملاحظته في نص قصاب هذا.

من خلال مطالعة القصيدة نلحظ أن الشاعر قد جعل العنوان عتبة مشوقة لقراءة النص؛ فقد جعل

المتلقي متشوقا ليعرف مضمون الرسالة التي يوهم العنوان أنها سترسل إلى ميت.

ثم إنه قد ناسب بين وزن النص، ونمطه، وغرضه الدلالي، حيث جاء به من الكامل، على النمط العمودي، كثير التفعيلات؛ مما ساعده على البوح بكل ما يريد؛ عبر التفعيلات الكثيرة، يدعمها طول النص نسبيا.

أما المقدمة، فقد زادت تشوقَ المتلقي إلى قراءة النص، عبر المفارقة التي صنعها الشاعر بينها وبين العنوان؛ فقد جعل الشاعر بين دلالة العنوان ودلالة المقدمة بونا شاسعا؛ فليس بينهما – ابتداء – أية علاقة، فما مسوغ الجمع بين (قطري) واليهود.

أما خاتمة النص؛ فقد كانت نهاية موفقة؛ جسد الشاعر فيها مبدأ ساميا من أعظم مبادئ الإسلام، ألا وهو ضرورة العودة عن الخطأ إلى الصواب.

تتميز القصيدة بالوحدة الموضوعية، والنفسية، ولكنها تفتقر إلى الوحدة العضوية، حيث يمكن حذف بعض أبياتها، أو تقديمها وتأخيرها، دون أن يمس ذلك جوهر الغرض.

ولأن القضية دينية في المقام الأول؛ فقد استعان الشاعر بتقانة التناص لدعم دلالة النص، من ذلك قوله واصفا الرسول صلى الله عليه وسلم:

ما كان إلا رحمة للكون يملؤه

ندى، وسماحة، وتألقا

حيث تناص البيت مع قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٣].

وقوله:

ما كان فظا، كان صدرا حانيا

كان الرؤوف، الراحم، المترفقا

حيث تناص مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[١٤].

وقوله:

ما كعبة الرحمن تعدل عنده

دمَّ امرئ، من غير ذنب أهرقا

حيث تناص مع قوله صلى الله عليه وسلم: (لهدم الكعبة حجراً حجرا أهون من قتل مسلم).

وقوله:

كانوا كبركان الجحيم على العدا
وعلى العشير الكوثر المتدفقا

حيث تناص مع قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ (١٥).

ومن التقانات الداعمة للرمز في هذا النص الالتفات، يقول:

الله! يا قطري ظلمك علقم
كم طال سيفك روحنا، كم أزهقا!
كم أطفأ البسمات في أيامنا
كم حلم أطفال لنا قد مزقا!
ولكم سفحت على الفلاة دماءنا
ما صنت قط دماءنا المتدفقة؟

في هذا المقطع خطاب مباشر للرمز/ المرموز إليه، ثم ينتقل إلى الغيبة فيقول:

قطري منا، إنما أغواه إبليس،
فما راعى العهود الموثقة
من خيرنا أكل الطعام وداسه
من نبعنا شرب الزلال ورنقا
لم يرع حرمة موطن أو عشرة
لم يسم في درج الوفاء، ولا ارتقى
لم يرع دينا أو عهود قرابة
أو كان يوما بالقبيلة أرفقا

إن هذا الالتفات دال في سياقه؛ فقد أراد الشاعر أن يماثل بين ما ترمي إليه الأبيات من إنكار الرمز / المرموز إليه لمعروف ذويه، وبين تجاهله، عبر الالتفات إلى الغيبة.

إن استيحاء كثير من الشعراء العرب المذهبَ الرمزي تمثل في استغلال «نظرية الإيحاء عند الرمزيين، وهي نظرية تمثل عصب التيار الرمزي عموما»(١٦).

ولعل القصيدة المعروضة نموذج صادق، يمثل سعي كثير من الشعراء المعاصرين الملتزمين إلى جعل الرموز المختارة وسيلة للانخراط في المجتمع، مما أدى إلى ابتعاد الرموز بالتجارب الأدبية عن الذاتية، لتمنحها طابعا موضوعيا، عالميا في الكثير من الأحيان، يقربهم من الجمهور المتلقي، الذي به حياة الأدب■

الهوامش:

(*) ينظر الفصل الرابع من رسالة الماجستير لكاتب المقال عن الشاعر، بعنوان: (وليد قصاب شاعرا / دراسة في الأداة والرؤية)، ففيه تفصيل واف للرمز عند الشاعر.

(١) صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية ص١٩٥.

(٢) بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني ص ١١١.

(٣) علي حداد، عشبة آزال / قراءات في الشعر اليمني المعاصر ص ٢١٥.

(٤) وليد قصاب، البلاغة العربية (البيان والبديع) ص ١٣.

(٥) وليد قصاب، البلاغة العربية (البيان والبديع) ص ١٣.

(٦) وليد قصاب، الحداثة في الشعر العربي المعاصر ص ٥٢.

(٧) وليد قصاب، الحداثة في الشعر العربي المعاصر ص٣٩.

(٨) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث ص ٤٢٣.

(٩) ديوان (من وحي الجراح) ص ٥٥.

(١٠) ينظر التفريق بين قسمَي ابتداء القصيدة في الفصل الثاني من رسالة الماجستير لكاتب المقال عن الشاعر، بعنوان: (وليد قصاب شاعرا / دراسة في الأداة والرؤية).

(١١) ينظر التفريق بين قسمَي الخاتمة في الفصل الثاني من رسالة الماجستير لكاتب المقال عن الشاعر، بعنوان: (وليد قصاب شاعرا / دراسة في الأداة والرؤية).

(١٢) ينظر الفصل الأول من رسالة الماجستير لكاتب المقال عن الشاعر، بعنوان: (وليد قصاب شاعرا / دراسة في الأداة والرؤية)، ففيه تفصيل واف للأبعاد الفكرية عند الشاعر.

(١٣) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(١٤) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(١٥) سورة الفتح آية (٢٩).

(١٦) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ص٢٨.

د. عماد الدين خليل - العراق

مذكرات مدرس مضطهد

كنت أعمل جراحا للجملة العصبية في المستشفى الملكي في بغداد في الخمسينيات.. وبين الحين والحين أقوم بزيارات دورية لمستشفى (الشماعية) للأمراض العقلية، وكنت أعتبر ذلك ضرورة من الضرورات العلمية، فضلا عن جانبها الوظيفي، لأنها كانت تطلعني على حالات استثنائية تضعني في قلب التحدي، وتدفعني إلى المزيد من البحث والتنقيب في طريقة عمل الدماغ البشري، وعوامل اضطرابه وتفككه ودماره.

لفت أحدهم نظري بهدوئه، ونظرته المترعة بالعمق والحكمة.. كنت أجده حينا وهو يحدق في نقطة ما في الفضاء كمن يحاول أن يكتشف شيئا هناك، وحينا آخر أراه مكبا على الأرض، وقد سرح ذهنه بعيدا، ربما في محاولة لاستبطان ذاتي بحثا عن جواب ما.. وكل ما كان يصدر عنه من حركة إنما يتمثل بإبهامه وسبابته، وهما تتحركان بين لحظة وأخرى لإعادة إطار النظارات إلى وضعه الصحيح عند أرنبة الأنف.

وفي كل الأحوال، ما كان الرجل ليدفعني إلى متابعته أكثر، وسط زحمة أعمالي وضيق وقتي، إذ كان كثيرون مثله يمارسون «الذهول» الهادئ نفسه، وهي حالة نعرفها جيدا في عيادات المجانين. لكن ما جعلني أهتم بمتابعته أنني كنت ألمحه يخرج بين الحين والحين دفترا صغيرا من جيب «بيجامته»، يقلب أوراقه بهدوء، ثم ما يلبث أن ينكب على إحدى صفحاته، وكأنه يبذل جهدا استثنائيا في قراءتها.

لم أشأ أن أزعج الرجل، أو أقتحم عليه همومه الخاصة، وهو أمر كثيرا ما كنا نحن الأطباء المتمرسين نحذر منه طلابنا الجدد. وفضلت - بدلا من ذلك - أن أسأل عنه إدارة المستشفى، حيث تبين أنه مدرس رياضيات قديم في إحدى متوسطات الموصل، أحيل على التقاعد في ربيع عام ١٩٥٤م، بسبب حالة الانفصام الحادة التي أخذ يعاني منها، ثم ما لبث أن نقل إلى مستشفى الشماعية في بغداد، ربما بطلب من عائلته، حيث فقد كلية القدرة على التواصل مع الآخرين، والتوافق مع الحياة.

بعد أسابيع قلائل سمعت أنه توفي.. انتابني شيء من الحزن بسبب حالته الخاصة وموقعه الوظيفي، ولكني سرعان ما نسيته وأنا أتذكر دفتره الصغير الذي طالما كان يحدق في صفحاته ويقلبها على غير انتظام.. وهرعت إلى إدارة المستشفى بحثا عنه، وقد تملكني القلق من أن يكون الدفتر قد أعيد إلى عائلته مع مخلفاته الأخرى.. لكنني لحسن الحظ وجدته في انتظاري على مكتب المدير..

لوح لي به وهو يبتسم وقال:.

-كنت أعرف أنك ستبحث عنه فاحتفظت به.

- لا تدري كم أنا أشكرك.

أجاب وهو يسلمني إياه:

- هدية متواضعة جدا لأستاذنا الدكتور عبدالحكيم صباغ.

- أشكرك مرة أخرى...

توجهت إلى عيادتي في شارع السعدون.. كان ثمة ما يزيد على نصف الساعة على موعد أول مريض، ففتحت الدفتر بلهفة لمتابعة ما الذي كان صاحبه قد دونه فيه.

■ دفتر مذكرات يومية..

قلت في نفسي وأنا أقلب صفحاته بسرعة وتقع عيناي على تواريخ متقاربة حينا، متباعدة أحيانا من مرحلة الخمسينيات.. ورحت أقرأ بشغف لعلي أطلع في ثنايا الكلمات على شيء يكشف حقيقة ما، أو يضع يدي على جذور الحالة التي انتهت به إلى الدمار.

■ الاثنين ٣-١٠-١٩٥٣م:

أشعر بارتياح عميق.. لقد انتظم الدوام بعد أسبوعين من القلق والتسيب.. لا أرتاح لتغيب الطلبة الجماعي.. عندما أدخل الصف فأجد عددهم مكتملا أقول في نفسي: أبشر يا نجيب، فلسوف تقدم اليوم خبرتك كاملة..

الفوضى تربكني هي الأخرى لأنني أشعر بأن الأشياء أصبحت في غير موضعها فأتبعثر معها أنا الآخر.. أمنيتي أن يكون كل شيء في محله تماما، ولكن ليس في اليد حيلة.. ومشكلتي أنني أحب طلبتي أكثر مما يجب، ولهذا أتركهم أحيانا يعبرون بعفوية عن أنفسهم، وقد يخرجون عن المطلوب بدرجة أو أخرى.. وبعضهم يتجاوز حدود اللياقة مستغلا سماحتي.. ولقد نبهني مدير المدرسة إلى أن أكون أكثر حزما في هذه النقطة بالذات، وثنى عليه المعاون الذي طالما كبسني داخل الصف وأنا أمنح الطلبة بين الحين والحين فرصة للارتياح.. لا لشيء إلا لأنني أريدهم أن يستأنفوا متابعتي في حل المسائل الرياضية وهم أكثر قدرة على التركيز.. ثم إنني أحبهم وهذه ليست مشكلتي!.

■ الخميس ٦-١٠-١٩٥٣م:

تدفق الطلبة على الصف يغمرهم الحبور، كما هو الحال كل يوم خميس، فها هو ذا موعدهم الأسبوعي للخروج مساء إلى السينما.. إنه اليوم الذي ينتظرونه على مدى الأسبوع كله.. وهاهي ذي الغبطة تكاد تطير بكل واحد منهم في الهواء.

وتذكرت أيام صباي وأنا أكاد أطير معهم محمولا على نشوة الذكرى.. يا لتلك الأيام السعيدة!.

أخرج أحدهم من جيب سترته ضفدعا وألقاه في الممر الفاصل بين خطي المناضد الدراسية.. حاولت أن أتغاضى عنه، ولكنني وجدت الطلبة كلهم يحدقون فيه ويضحكون.. فتقدمت إلى الطالب وربتُّ على كتفه بحنان وأنا أقول:.

-لماذا أيها الطالب الشقي؟.

أجاب وهو يحس بغبطة طاغية بعد إذ قدر على جلب انتباه زملائه جميعا:.

- إنه يوم الخميس يا أستاذ!.

- وهل يختلف يوم الخميس عن بقية الأيام؟.
- بكل تأكيد.
- ولكننا في المدرسة بعد يا بني ولسنا في السينما.

قال وهو يحرك كتفه بلا مبالاة:

- مع ذلك!

ربتُّ على كتفه مرة أخرى وأنا أقول له برفق:

- قم يا بني فألق القبض على الضفدع المسكين قبل أن يسحقه زملاؤك بأحذيتهم، وارمه في الفناء..

قفز الطالب، واجتاز الممر وهو يكاد يرقص، وأمسك الضفدع، وزملاؤه يتصايحون، ووضعه في جيبه!.

كان الباب مواربا بعض الشيء، ولمحت المعاون المعروف بشدته وسفاهته يمر قريبا من الفتحة ويلقي نظرة غاضبة مترعة بالازدراء، ثم يمضي إلى هدفه..

أحسست بشيء من الانقباض، وقلت للطالب وقد كدت أن أفقد صفائي النفسي وفرحي:

- ليس هذا مكانه يا بني.. ارمه في الفناء.

مضى الطالب بتثاقل إلى الباب وقذف الضفدع بعيدا، وعاد وهو يرفع قبالة زملائه إشارة النصر!.

■ **السبت ٨ / ١٠ / ١٩٥٣م:**

دخلت الصف فوجدت الطلبة يغمرهم الوجوم وتكسو وجوههم الكآبة بخلاف ما كانوا عليه قبل يومين..

خمنت السبب.. إنه يوم السبت.. بداية الأسبوع الثقيل، حيث يقبل الطلبة على بدء رحلتهم الأسبوعية مع هموم الدراسة، ولا تزال ذكريات الخميس العذبة، ولعب الساعات الطوال صبيحة الجمعة، تداعب مخيلتهم.. وقلت في نفسي: لا بأس، إنه بالنسبة لي على الأقل يوم راحة، فها هو ذا وجومهم يجعلهم أكثر ثقلا، وهاهم أولاء في هذا اليوم بالذات يكفون عما أسميه دائما الفعاليات الترفيهية.. ومع ذلك، كان هذا يقلقني بعض الشيء.. يجعلني أحس بخوف مبهم.. لعله الهدوء الذي يسبق العاصفة.. أقول في نفسي.. وقد يتمخض عن شيء ما على حين غفلة..

هاجس موغل لا أكاد أتبينه، وأحاول طرده بإقناع نفسي أنه ربما يكون وسوسة لا مبرر لها.. لكنه يصر على التمركز في مكان ما من جملتي العصبية.. ينسرب هناك كعرق أصابه السوس..

إنهم قد يفعلون شيئا ما خارج نطاق كل حساب.. شيئا يتجاوز حالته الترفيهية العفوية إلى عمل عدواني مدمر.. وها هو ذا المعاون العنيد الذي يتحين الفرص للإيقاع بي، يروح ويجيء ملقيا نظرته الباردة كالجليد عبر فتحة الباب، أو من خلال النافذة.. ولكن لا بأس فلسوف ألاحق الهاجس.. والقلق.. والخوف من المجهول، بمحبتي لطلبتي.. إنهم المظلة

التي قد تصد رياح السموم القادمة من جهة المعاون.. وربما من ذلك المكان الخفي في أعصابي.. المكان البعيد الذي لا أستطيع الإمساك به..

■ الثلاثاء ١١-١٠-١٩٥٣:

تلقى الطلبة شرحي لمبادئ المثلثات بإنصات مريح عبر الدقائق الأولى، ولكن بعدها بقليل أحسست كما لو أنهم بدؤوا يتململون، وكان علي أن أعطيهم كعادتي فرصتهم الترفيهية المعهودة.. فاصلا زمنيا يريحون فيه أعصابهم ويستعدون لجولة أخرى من الشرح قبل أن أملي عليهم السؤال التحريري لكي يجيبوا عليه..

إنه خطئي على أية حال.. لقد أطلت الشرح بأكثر مما يجب.. لعلي كنت منغمرا في نشوة فك طلاسم الموضوع.. إنها والحق يقال، متعة من نوع غريب تجعلني أهتز - أحيانا - بحركة غير اعتيادية.. لكأنني أرقص بهدوء.. بصورة غير منظورة تماما.. لكن المتمعن فيها يتبين له أن مدرس الرياضيات يتأرجح بين الحين والحين ذات اليمين وذات الشمال.. وكان الطلبة يتبسمون وهم يرونني أفعل ذلك.. فأحاول أن أكف عن التأرجح فلا أستطيع.. ويوما بعد يوم أصبحت الحالة أمرا قهريا وأرغمتني على الخضوع.. وأقول في نفسي: الطلبة.. لا بأس.. ولكن ماذا لو رآني المدير أو معاونه القاسي؟

وانكببت على اللوحة السوداء أمسحها بشغف، مديرا ظهري للطلبة.. وعندما التفت قليلا لإشعار الأولاد بحضوري، رأيت أحدهم ينهض بتثاقل ثم يتقدم إلى اللوحة ويقف بموازاتي..

- لا يمكن يا أستاذ!

ومد يده إلي فانتزع المحاة مني وأردف:

- لقد امتلأت بدلتك النقية بغبار الطباشير.

أجبته بمودة:

- لا بأس يا بني فقد اعتدت على هذا.

دفعني جانبا وهو يردد:

- لا يا أستاذ.. لا.

وانكب على اللوحة حتى أتم مسحها، وعندما هم بمغادرة المكان عائدا إلى مقعده، أحسست كما لو أن يده تمتد خلف ظهري فتعلق على السترة شيئا ما..

ربما أكون واهما.. قلت في نفسي.. لكنني عندما رحت أذرع الممر داخل الصف، ذهابا وإيابا، بانتظار إجابة الطلبة عن السؤال اليومي التحريري، لاحظت أنهم يتضاحكون ويتغامزون، ويشير بعضهم إلى ظهري.. وقلت في نفسي وأنا أتلقى رشقة من الخوف: أرجو ألا يكون شيئا ذا بال..

وتذكرت المعاون الذي يتحرك كالمكوك الطائر بخفته ورشاقته المعهودة في فناء المدرسة متبرعا، بالنيابة عن المدير الذي لا يفارق مقعده، في مراقبة الطلبة والمدرسين معا..

وازداد تضاحك الطلبة وتقافزهم.. ووجدتني أصرخ على غير إرادة مني:

- ماذا يا أولاد؟

بعفوية بالغة أشاروا جميعا إلى ظهري دون أن ينبسوا ببنت شفة فقد كان الضحك المكتوم يخنقهم.. واستطاع أحدهم أن يفك عقدة لسانه ويقول:

- إنه يشبه الذيل يا أستاذ!

■ الأحد ٦-١١-١٩٥٣م:

عندما التفت إلى اللوحة للبدء بكتابة المعادلة ذات الحدين وجدت صورتي مرسومة بالطباشير على جانب منها.. أدهشتني دقة الخطوط، والمهارة الملحوظة في رسم الملامح...:

- إنه أنا بكل تأكيد!

قلت في نفسي..

- ولكن من هو الطالب الفنان الذي نفذها؟.

استدرت بسرعة لكي أواجه الطلبة.. وجدتهم يغصون بالضحك وهم ينقلون نظراتهم بين الصورة والأصل..

وقلت لهم بمودة، في محاولة لاحتواء الموقف:.

- إنها محاولة جيدة على أية حال.. وهي تدل ولا ريب على القدرة الفنية العالية للطالب الذي رسمها.. ولكن من هو هذا الطالب النابه يا أولاد؟ أرجو أن يرفع إصبعه بهدوء لكي أهنئه..

لم يرد علي أحد.. وضاع رجائي في الفضاء..

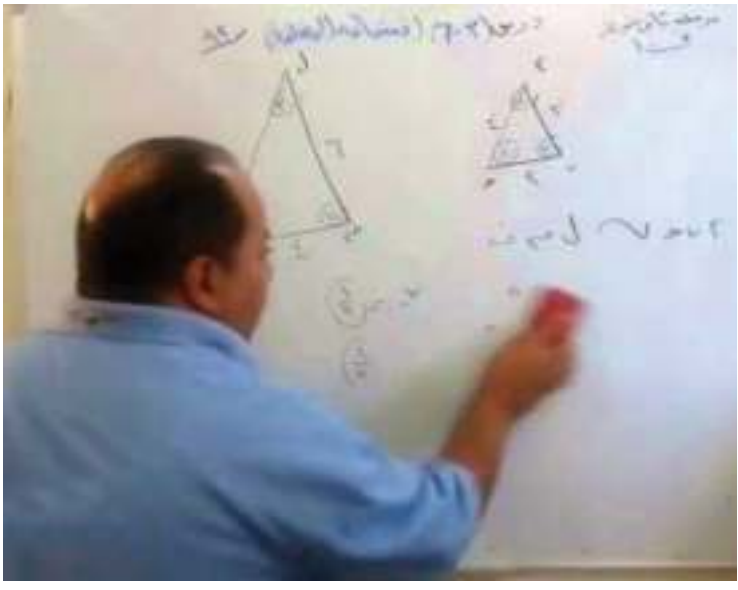

وللحظات انتابني حنين جارف لممارسة ما اعتبرته دائما هوايتي المفضلة: الرسم! لقد نفذت أيام دراستي الجامعية العديد من اللوحات.. كلها أثار الإعجاب.. كنت أملك قدرة فائقة على توظيف اللون، وأعرف كيف أجعله يحكي بلغته الخاصة عما تعجز عنه الكلمات..

النار التي كانت تشتعل في وجداني، والحساسية المفرطة في التعامل مع الخبرات، والأشياء.. وانعدام فاصل الألم بيني وبين العالم، وربما قوة الخيال التي دربني عليها التعامل المدهش مع الهندسة والمثلثات، جعلتني أجد في الرسم الفرصة الملائمة للتعبير.. وطالما أقنعت نفسي بأنني لولا الرسم لتطايرت بددا وأصبحت شتاتا.. لقد غدت أعصابي بمرور الوقت مكشوفة بأكثر مما يجب.. مكشوفة لأبسط المؤثرات وأكثرها خفاء ونأيا.. أن تضرب بفرشاتك على اللوحة ملطخا إياها بالزيت الأحمر يعني أنك تجاوزت لحظات النزف الباطني الذي قد يدمرك.. حررت نفسك من أزيزه المخيف..

انتبهت فجأة إلى أحد الطلبة ينهض قائما، ويتقدم إلى اللوحة بخطوات واثقة.. يقف قريبا مني ويقول وهو يشير إلى اللوحة:

- أنا يا أستاذ!

ربت على كتفه بحنان:

- حسنا يا ولدي.. آمل أن تنمي قدرتك المدهشة على الرسم، ولكن.. ألست معي في أن هذه اللوحة ليست مكانها الطبيعي؟

وقال الطالب، وهو يهم بمغادرة المكان وسط نوبة مفاجئة من الإحساس بالخجل:

- أعدك يا أستاذ!.

■ الأربعاء ٧-١٢-١٩٥٣م:

المرارة تملأ فمي وأنا أدون هذه الكلمات.. لقد استطاع المعاون صبيحة اليوم أن يسجل علي انتصارا ساحقا.. أن يضعني في الزاوية الضيقة قبالة المدير، ويسدد إلي رشقات متلاحقة من سهامه المسمومة جعلتني أترنح قليلا وأتهيأ لاستقبال لعنة الإغماء لولا المقاومة الاستثنائية التي بذلتها لتفادي السقوط.

طلبتي الذين أحببتهم كانوا السبب.. لكن المعاون أصر - كما هو شأنه دائما - على أنني المسؤول أولا

وأخيرا.. وإلا فما معنى أن يدخل حصتي الثانية للاطلاع على الموقف (كما يحب أن يسميه) فلا يجدني في الصف، ويجد (بدلا من ذلك) المدفأة الحديدية وهي تنفث دخانها المختنق بكثافة، وتقذف به في الفضاء فلا يكاد أحد يتبين موطئ قدميه.. بينما سعال الطلبة وصراخهم يتداخلان مع بعضهما ليشكلا لحنا تضطرب فيه الأصوات وتزداد حدة بما يكاد يمزق طبلة الأذن ويمزق الأعصاب؟!

أستطيع اللحظة، وقد استعدت شيئا من هدوئي، أن أتذكر ما الذي حدث على وجه التحديد..

دخلت الصف وأنا أرتجف من البرد، ورشقات المطر الغزير تبلل شعري وثيابي.. ولم تنج منها نظارتي التي كنت أحرص على أن تكون في مكانها تماما، مثبتة بإحكام فوق أرنبة أنفي لكي لا يفلت الطلبة من رقابتي!

هذه المرة كان علي أن أنتزعها، وأن أخرج منديلي من جيب سروالي لكي أمسحها جيدا..

يبدو أن المهمة أخذت مني أكثر مما يجب، ولعل الإحساس اللذيذ بالدفء جعلني أسترخي قليلا، بحيث أنني عندما أعدتها إلى مكانها ثانية رأيت ما لم أره من قبل!.

يبدو أن أحد الطلبة صب قليلا من الماء على خزان المدفأة حيث يشتعل الخشب بهدوء، ثم جاء آخر فوضع قطعة من قماش مبلل فازدادت المدفأة اختناقا.. وراحت موجات الدخان تكافح بشراسة لكي تجد لها منفذا لمغادرة المخزن المختنق.. وفي دقائق أصبح جو الغرفة مشبعا بالرائحة الحادة والدخان..

حاولت أن أكتم رغبة جارفة بالسعال، ولكن عبثا.. لقد تسلل السم إلى رئتي وخيشومي فكاد يمنع عني التنفس ويضعني أنا الآخر في دائرة الاختناق..

صحت بصوت مبحوح وأنا أحاول أن أتمالك أعصابي:

– ما الذي جعلكم تفعلون هذا ياأولاد؟

أجاب أكثر من واحد:

– وما ذنبنا نحن؟ لقد حاولنا أن نزيد قدرتها على التدفئة فانزعجت منا.. البرد يا أستاذ يفوق التحمل..

وصاح أحدهم وهو يوجه إليها رفسة قاسية بحذائه الملطخ بالوحل:

– لك الويل أيتها العاهرة.

وقلت وأنا أكافح السعال مرة أخرى:

– ليس هكذا يا أولاد.. لقد اختنقت كما ترون.. هل تعرفون ما الذي يعنيه هذا؟

صاحوا جميعا بجذل، وهم يتحركون قبالتي كالأشباح التي لا تكاد ترى:

– ما الذي يعنيه يا أستاذ؟

صرخت:

– خسارة الدرس كله!.

وأردفت بيني وبين نفسي: وربما هزيمتي التي طالما تحاشيتها قبالة معاون المدير.

على حين غفلة انفجرت أكف الطلبة بتصفيق كالرعد.. وبين لحظة وأخرى كانت تنطلق صرخة حادة من هذا الطالب أو ذاك:

– اللعنة على الرياضيات.

– هذا يوم الثأر.

– لتخسأ الأرقام والمعادلات.

– الحرية ولا شيء غير الحرية..

أحسست أنني أفقد السيطرة تماما، وحاولت بصعوبة أن ألتقط أنفاسي لكي أواصل المقاومة، ولكن عبثا.. ثمة قوة قاهرة كانت تجرني قليلا فتقذف بي خارج الصف.

وأنا أتلقى الرشفة الأولى من الهواء النقي الممتزج بالبرد والمطر، خيل إلي أن المعاون ينطلق كالسهم فيتجاوز الفناء الواسع ويمرق إلى الصف. ها قد وقعت الواقعة.. قلت في نفسي.. فما العمل؟.

كان علي أن أرجع سريعا إلى دائرة الدخان والاختناق وهدير الأصوات لكي أجابه الموقف.. وجدت المعاون ينتصب قريبا من الباب.. نظر إلي بازدراء يصعب وصفه، ولم يكلف نفسه حتى عناء كلمة يقولها لي: اتبعني مثلا.. واكتفى بإشارة من إصبعه كأنه يصدر أمره إلى تلميذ أو فراش، ثم ما لبث أن غادر الصف.

للحظات حدثتني نفسي بعصيان أمره.. وقلت في نوبة حماسة مفاجئة: ليكن ما يكون! ولكنني ما لبثت أن تذكرت النقل، وربما الفصل والجوع والتشرد، فانكمشت قليلا، ورحت أقنع نفسي بأن التعليمات لها حرمتها هي الأخرى.. وخلال أقل من دقيقة وجدتني في غرفة المدير.

كان جالسا كعادته على الكرسي الدوار بكرشه المنتفخ، وعينيه اللتين أسرهما إغراء النوم.. وإلى جواره كان يقف المعاون كنذير السوء.. ببنيته الضعيفة، ولكن بعصبيته وقدرته الجارفة على اكتساح الخصوم..

قال بنبرة ساخرة ودون أن يأخذ إذنا من المدير:

- هيا يا أستاذ احك للسيد المدير عن تفاصيل المسرحية الكوميدية التي شهدتها حصتك!.

قلت وكأنني أدفع قدرا واقعا لا طاقة لي به:

- أية مسرحية؟

فجأة انفجر بضحك متواصل راح يهتز معه جسده النحيل واضطر أكثر من مرة لإعادة تثبيت (سدارته) السوداء على رأسه قبل أن تسقط على الأرض!!.

مرة أخرى تساءلت وأنا أغوص في بئر عميق:

- أية مسرحية؟

أجاب، وهو يجفف بمنديله المزركش الدموع التي أثارها ضحكه:

- مسرحية الدخان يا أستاذ.. لقد أحسنت إخراجها على أية حال رغم أنك تركت خشبة المسرح في لحظة تأزم الموقف!

تنحنح المدير قليلا وهو يلتفت إلى معاونه متسائلا:

- ما الذي حدث؟

قال المعاون وهو يحاول أن يكون أكثر تأدبا مع مديره:

- اسأله أيها السيد المدير، فأنا أفضل أن يجيبك بنفسه!

- الأربعاء ١٤/١٢/١٩٥٣م:

ألقيت نظرة عابرة من النافذة المطلة على فناء المدرسة فدق قلبي بعنف.. ها هو ذا المفتش القادم من بغداد في إحدى جولاته الموسمية.. وبين يديه يتقافز المعاون بجسده النحيل، وقدرته المذهلة على الحركة السريعة.. وبين لحظة وأخرى يقترب منه ويهمس في أذنه شيئا.. لابد أنه يحدثه عني.. قلت في نفسي.. إنه قادم إلى الصف لا محالة.. والمسألة مسألة وقت.. ودق قلبي بعنف أشد هذه المرة حتى كدت أسمع وجيبه.

التفت إلى طلبتي ريثما أواصل الدرس فوجدت عقدهم قد انفرط كرة أخرى.. بذلت جهدا استثنائيا لإعادة السيطرة فلم أنجح.. توسلت إليهم أن يرجع كل إلى مقعده وأن يلتزموا الصمت لكي أتمكن من إتمام محاضرتي، فلم يأبهوا لي.. لم أقل لهم: إن المفتش قادم بعد لحظات، وإن المعاون سيحظى بالثمرة المرة التي انتظرها طويلا فتسقط بين يديه..

لم أشأ أن أبين لهم أن نصله الحاد قد يحز رقبتي بمجرد أن يرى المفتش رأي العين عجزي عن ضبط طلبتي والإمساك بزمام الدرس.

هرعت إليهم وأنا أدخل مع الزمن بسباق محموم لعلي أعيدهم إلى الطريق.. التحمت بهم، وتوسلت إليهم دون جدوى.. أخذت قطرات العرق تتبجس على جبهتي، رغم برودة الجو، وأنفاسي تزداد تسارعا..

وعلى حين غفلة تلقى سمعي نقرا خفيفا على الباب...

أجبت كمن يعاني من كابوس ثقيل، فيصرخ فلا

يسمع صراخه:

- تفضل!

انفتح الباب بهدوء وهو يئز، وأطل المفتش ومن ورائه المعاون.. عرضا التقت نظراته بنظراتي الزائغة فأحسست كما لو أنه يبتسم ويقول بتشف: ها قد جاء يومك يا نجيب، فلكل شيء نهاية..

وقلت في نفسي وأنا أكافح الدوار والغثيان وأتحرك ببطء صوب الباب لاستقبال المفتش: لم أحاول يوما أن أوذيك فلم تلاحقني؟!

حياني المفتش ببرود، ثم ألقى نظرة مترعة بعدم الارتياح إلى الطلبة المبعثرين على غير انتظام.. وقال بهدوء مشيرا إليهم:

- ما هذا؟

تراكض الطلاب هنا وهناك، وفي لحظات كان كل منهم قد استقر في مكانه والتزموا صمتا موجعا كأن على رؤوسهم الطير.. وشعرت كما لو أنني أزداد انكشافا قبالة المفتش والمعاون.. وأن ثمة فضاء خاويا.. فضاء مخيفا مترعا بالوحشة والكآبة يحيط بي من كل مكان، وأنني تركت فيه وحدي لمجابهة الخوف والمجهول.

ومن مكان بعيد لم أقدر على تبين مصدره سمعت حوارا مفككا وأصواتا متداخلة، وخيل إلي للحظات أن المفتش يسأل الطلبة عن بعض المفردات، وأنهم لم يعطوه ما يريد.. وخيل إلي أيضا أن المعاون عاد لكي يهمس في أذنه أكثر من مرة! ألم أقل لك؟!

وبدون ما كلمة وداع واحدة غادر الرجلان الصف، وتركاني وحدي.. قبالة الوحشة والخوف والفراغ.. إزاء طلبتي الذين أحببتهم كثيرا فخذلوني في ساعة الامتحان!

وقلت في نفسي مرة أخرى وأنا أتهالك على الكرسي، وأمسح بظاهر كفي قطرات العرق المتصبب على جبهتي بغير حساب: لم أحاول يوما أن أوذيك فلم تلاحقني؟!.

- الجمعة ٢٣/ ١٢/ ١٩٥٣م:

أخذت أميل إلى البقاء في الدار.. إنه ملاذي الأخير.. ثم إنني لا أريد أن أخدع نفسي، فإن قدرتي على التواصل مع الآخرين راحت تتضاءل يوما بعد

يوم، وأصبح وجودي مع زملائي المدرسين في(مقهى الحمراء) القريب من المتوسطة التي أعمل فيها غير مرغوب فيه..

وتساءلت بمرارة: ما الذي حدث؟ لقد كانوا إلى عهد قريب يبحثون عني ويلحون علي بالحضور.. وطالما قالوا: إن جلسات الحمراء لا تحلو بدون نجيب.. فما الذي حدث؟

كنت ألحظهم بين الحين والحين يتبادلون

الضحكات المكبوتة كلما تحدثت أو هممت بالكلام.. ما الذي يدعوهم إلى الضحك؟ ما الذي يجعلهم لا يكترثون لكلامي وكأنني صبي لا يدري كيف يصوغ المعاني والعبارات؟

على حين غفلة ناداني هاجس ملح.. أن أعتزلهم حفاظا على كرامتي، فاستجبت للنداء، وأصبحت الدار والأهل هي المأوى والملاذ، ولكن، بمرور الوقت، لحقتني اللعنة إلى الدار والأهل، فلم أعد أقدر على التواصل معهم.. على نقل أفكاري إليهم أو التعبير عنها بشكل واضح محدد.. لقد خذلتني الكلمات.. كما خذلني طلبتي.. فلا حول ولا قوة إلا بالله..

كنت أتوقع أن تجابه أحاديثي المتقطعة مع الأهل بالضحكات المكتومة كما كان يحدث مع الزملاء في مقهى الحمراء، ولكني فوجئت بالحزن العميق يكسو وجوههم، وبالدموع وهي تكاد تطفر من عيونهم كلما قلت شيئا أو هممت بحديث..

-الاثنين ٢٦/١٢/١٩٥٣م:

صدر الأمر بنقلي إلى مدينة زاخو في أقصى شمال العراق.. تلقيت النبأ باستسلام كامل.. لم أكن أتوقعه على الإطلاق.. وقد أعانني ذلك على امتصاص الصدمة إلى حد كبير، رغم ما كان يخترقني بين الحين والآخر من إحساس ممض بالغيظ تجاه المعاون، وكنت أقول في نفسي: لقد انتصر علي أخيرا..

لشد ما كنت أتمنى أن أتحرر من هذه الوخزة القاسية.. عندها - كما يخيل لي- لن يكون ثمة ما يقلقني أو يؤلمني.. ولكن ليس في اليد حيلة.. ويبدو أن الإنسان مكتوب عليه أن يحمل عذابه على ظهره، حتى وهو يعلن موافقته المطلقة على الاستسلام..

برد زاخو يخترق العظام، ومطرها المتواصل ليل نهار، وفضاؤها الرمادي الكئيب، ما كانت لتزيدني إلا إحساسا بالأمن والاطمئنان.. ها هو ذا المنفى الذي كنت أحلم به، وسأجدني قبالة صنف آخر من الطلبة قد يكون أرحم بكثير، وسأعرف كيف أبدأ معهم بداية جديدة في ضوء خبراتي السابقة.. سأعرف كيف أستعيد قدرتي على إدارة الصف كـ(مايسترو) ماهر يحرك بعصاه السحرية جوقته صوب ما يريده هو، لا ما يريدونه هم!.

كان كل شيء يضعني في دائرة الائتمان الذاتي، لولا شبح المعاون الذي ظل يخترقني بين لحظة وأخرى كنصل حاد، وكنت أتلقى في كل مرة يقتحمني فيها رشقات من القهر والمرارة والرغبة المكبوتة بالرد.. ما أحال وجودي في زاخو إلى جحيم مشبوب..

مرارا هممت بركوب إحدى سيارات الأجرة العائدة إلى الموصل، فقط لكي أجابه المعاون وأرد عليه، ولكنني كنت دائما أتراجع في اللحظة الأخيرة.. كان الخوف من الفشل يشلني، وكنت أقول: من يدري فلعله يهزمني مرة أخرى، فكيف سيكون الحال؟.

وبمرور الوقت صرت أهرب من حصار القهر وسكينه الحادة التي تغوص في لحمي لحظة وأخرى.. إلى الشرود.. محاولة لتغييب العقل والذاكرة، وفك الارتباط بيني وبين العالم.. قطع الجسور مع المدركات والحسيات والاعتصام بالجزيرة المنعزلة التي تتأبى على السموم.. وحينذاك - فقط - سأرتاح..

يوما بعد يوم كنت أجدني مرغما على إعطاء مساحة زمنية أكبر لحالة الشرود والانفصال هذه. وقلت في نفسي: لقد أصبحت يا نجيب مدمنا من نوع خاص.. لكن لا بأس...

جلساتي مع الزملاء في نادي المعلمين في زاخو أصبحت تثير الدهشة والتساؤل، ولكنهم ما لبثوا أن اقتنعوا، بمبررات انفصالي عنهم وإغراقي في الشرود.

وكنت أنصت إليهم أحيانا وهم يشيرون إلي من طرف خفي ويقول أحدهم:

- لا داعي لإزعاجه.. دعوه في شروده.. فإن نقله من الموصل إلى هنا لم يكن دونما سبب!

وشيئا فشيئا كانت تصل المدير حكايات عما يجري داخل الصف.. قالوا له: إن شرحه للمادة لا يتجاوز الدقائق العشر، وبعدها يذهل عن طلبته ويغرق في عالمه الخاص.. ولك أن تتصور ما الذي يشهده مسرح العمليات! طلبة البكلوريا رفعوا شكواهم للمدير في أن الموسم الدراسي يمضي إلى نهايته دون أن يكون مدرس الرياضيات قد اجتاز بهم نصف المفردات المنهجية..

أحد الطلبة الأذكياء نقل هذه المعلومة إلى المدير: إن المدرس المنقول عندما يكون في كامل انتباهه يقدم لهم في لحظات ما لا يستطيع غيره أن يقدمه في ساعات.. ولكن...

ويوما استدعاني المدير، وبطريقة مهذبة أعلمني أنني ربما أعاني من مشكلة ما، وأن حالتي النفسية تقتضي بعض التخفيف عني، وأن محاضرات الخامس الإعدادي ستعطى لمدرس آخر..

تقبلت الأمر برضى.. ووجدتني أقول للمدير، وأنا أكرر شكري وامتناني، إنه إذا شاء سحب يدي من بقية المراحل فلن يغضبني ذلك!

نظر إلي بدهشة وأراد أن يقول شيئا ما، لكنه آثر الصمت في اللحظة الأخيرة..

بعدها بيومين تسلمت أمر فصلي من الوظيفة، وخرج المدير بنفسه وعدد من الزملاء لإيصالي إلى الكراج وتوديعي بحرارة.

- الأربعاء ٤/٤/١٩٥٤م:

نظرت أمي إلي بدهشة وقالت وهي تشير إلى ذقني:

- ما هذا يا نجيب؟!

جرفتني موجة من الذهول فلم أرد عليها...

بعد ساعة أو ساعتين سمعتها تقول لأبي وهما يجلسان في الفناء الذي تطل عليه غرفة نومي:

- ابنك انتهى يا رجل!

أجابها، كمن يحاول أن يدفع شيئا فوق طاقته:

- لا تكوني متشائمة بأكثر مما يجب يا امرأة.

اقتربت منه أكثر وهي تقول:

- يكفي أن تنظر إلى ذقنه.

وللحظات تذكرت وأنا أفرك عيني من آثار إغفاءة عميقة، كيف أنني جعلت من ذقني فرصة طيبة لتأكيد علاقتي بتخصصي.. فجعلت موسى الحلاقة ترسمه على كل جانب في صيغة مثلثين متعاكسين.. وكيف أن هذا طالما أضحك زملائي في زاخو، ولكنهم ما لبثوا أن اعتادوه.. والمهم أنني أنا شخصيا كنت مقتنعا به حتى النخاع!

■ الثلاثاء ٦/٦/١٩٥٤م:

قرع الباب بعنف فهرعت زوجتي لكي تفتحه.. تدفق حشد من ذوي الملاءات البيضاء والقبعات الخضراء، وقبل أن يتساءلوا، أشارت زوجتي إلي! فقلت لها وأنا أغوص في بئر عميق:

- حتى أنت يا بروتس؟!

خيل إلي أن المفتش والمعاون يندفعان مع المندفعين لكي يوثقوني رباطا، وناديت على زوجتي أن تحميني منهم فلم ترد علي.. انتحت جانبا من الفناء وراحت تبكي بصمت..

استجمعت قوتي المتلاشية كلها وصرخت:

- ما الذي جرى؟ وهل ارتكبت جرما يستحق هذا كله؟.

فلم يرد علي أحد.. كانوا منهمكين بإحكام وثاقي.. ثم دفعوني نحو الباب.. ولمحت المعاون يقترب أكثر من المفتش ويهمس في أذنه فصرخت مغتاظا:

- ألم يكفك ما حل بي؟

لكنه فجأة ما لبث أن اختفى والمفتش دون أن يكلف نفسه عناء الرد علي.. ووجدتني أرتفع قليلا قليلا كما لو أنني أسبح في الفضاء، لكني ما ألبث أن أستلقي متهالكا على مقعد طويل في باص مقفل انطلق بي بسرعة أسطورية لا أدري إلى أين...

■ السبت...:

إذا استطعت أن أفكك منظومة الحياة وأحيلها إلى أصولها الرقمية.. إذا استطعت أن أفسر لغز الكون بالإحالة على أضلاع المثلث الثلاثة.. إذا استطعت أن أجعل المعادلات حكما بين الإنسان والإنسان.. أطلقوا سراحي وأعادوني إلى بيتي وأهلي ومدرستي، وردوا إلي تلاميذي الذين أحببتهم.. هكذا وعدني المدير الذي اعتقلوني في سجنه الكئيب منذ زمن لا أعلم بدايته.. ترى هل سيقدر لي الخلاص؟!

■ الاثنين....:

لقد أجهزت علي دون سبب معقول.. فهل ستكف عن ملاحقتي؟.

■ الخميس...: ■

أتحبني؟!

ريح المطر - السعودية

(محاولة غزلية.. لترميم قلبين كي لا ينهدم بيت)

أَتُحبُّني؟.. سألتهُ يوماً ماطراً ... أم أنّني ماكُنتُها ليلاكا

أحلامُنا تلكَ التي درجت على ... عُمري الذي في ظلِّه آواكا

أنسيتَها ونويتَ قطعَ وِدادِنا ... وحكمتَ حكماً جائراً.. أرداكا

أَوَ هُنتُ في عينيكَ حتّى لمتني ... وفضحتني بين الهوى ومُناكا

وطعنتني.. أثعبتَ جُرحاً طاهراً ... يا ليتني لسْتُ التي تهواكا!!

وهجرتَ في بحرِ الغرامِ مراكبي ... وقتلتَ روحاً ما ترى إلّاكا

يتّمتَ قلباً في هواكَ متيَّماً ... أذللتَ حبّاً طالما واساكا

أنالستُمن خانَالعهود ولستُمن ... رهَنَت مشاعرَها لِذا أو ذاكا

وأنا الَّتي ناديتُ حُبَّكَ «سيدي» ... وجعلتُ همِّي في هواكَ رضاكا

ما كنتُ إلّا مُهرةً عربيةً ... قد جابَ فارسُها بها الأفلاكا

يوماً ستأتي باكياً متضرِّعاً ... تشكو إليَّ من الذي أضناكا

وتقولُ: اِسقي بالحنانِ تمرُّدي ... إنِّي عرفتُكِ كاليمامِ.. ملاكا

عودي إليَّ فقد سئِمتُ بعادنا ... إنِّي لسحركِ ما رضيتُ شِباكا

لا، لن أعودَ.. فقد خنقتَ توهُّجي ... كلّا وربِّكَ، لا.. ومن سوّاكا

أنا لستُ لُعبَتَكَ التي أدمنتَها ... أوَ كلما ناديتَ.. قلتُ: فداكا

فابكِ كما تبكي النساءُ فإنّما ... ضيّعت قلباً.. مزّقَتهُ يداكا

د.مصطفى عطية جمعة - الكويت

عندما نتأمل حالة الاغتراب الإبداعي التي تظهر لدى الكثير من المبدعين العرب، سواء أكانت بوعي منهم أم تأثراً بغيرهم؛ فإننا نجد كتابات متخيلة، وتنجلي عن ذوات إنسانية تنظر من شاهق للعالم أو تصرخ في الشتات، تدّعي التخلص من بشريتها، ساعية إلى الهروب من العالم الدنيوي، بل من الجسد الحاوي للذات نفسها، فهو في قمة الغربة قابل للاندماج والذوبان، في خضم المشهد.

أزمة الاغتراب في الأدب المعاصر

ويعود أدب الاغتراب إلى ما طرحته الفلسفة الوجودية، خاصة كتابات «سارتر»، أسئلة كثيرة تتصل بوجود الإنسان الحسي والمعنوي في الحياة، فالإنسان المعاصر إذا انتهى من مشاغله اليومية، استبد به القلق، بأسئلة محورية عن مبتدئه ونهايته، فكل شيء حوله هو العدم، ووجوده ذاته سيفضي به إلى الموت في النهاية، كما أن استبدال أسئلة الميتافيزيقا، بالانكباب على النفس البشرية وتحليلها لن يؤدي في النهاية إلا إلى مزيد من التخبط، لأن النفس البشرية لن تجيب عن أسئلة الماهية.

ونرصد - في هذا التوجه - عجز العقل الفلسفي عن تقديم تفسيرات للوجود الإنساني، ولم يفلح التقدم التقني الهائل في تقديم السعادة الكلية للإنسان، لأن المادية صارت طاغية على النفوس، وتحول الإنسان إلى شبيه بالمادة أو الإنسان الأدائي المنغمس في متطلبات الحياة، فازداد الملل وتعاظم الضجر، ويوازي هذا فقدان الروحانية والعقائد الدينية السماوية التي تجيب عن أسئلة الوجود والغيب، فتخبرنا عما كنا قبل ولادتنا، وعما سنصير إليه عقب موتنا، بل عن سبب وجودنا في الحياة نفسها، لأن الفلسفة الحديثة اعتمدت المادية أساساً لها، وأقصت الروحانية، فتوحش الإنسان المعاصر، وتعلّق بالمال واللذائذ وكلها نكبات للروح.

لقد كان الاغتراب - فكراً ورؤية وأحاسيس - شائعاً في الكتابة الشعرية خلال عقود السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات في القرن العشرين، ربما بتأثر واضح بانتشار الفلسفة الوجودية في الإبداع الغربي متجلية في مذهبي السيريالية واللامعقول، مع توافق - دون شك - مع ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية في بلادنا؛ تختلف جذرياً عما مرت به المجتمعات الغربية المعاصرة من حروب وتدمير وفقدان اليقين، ولكن نزعة الاغتراب التي نلاحظها كانت ضمن التأثر بالأدب الغربي الحديث بشكل عام، بجانب السقوط السياسي والاجتماعي والفكري الذي أصاب المجتمعات العربية، وزيادة تهميش الإنسان، وتسليعه، وفقدان معاني الانتماء للوطن.

وقد ساهمت الإبداعات العربية في انتشار نزعة الاغتراب، مما أدى إلى تعمق غربة الشاعر/الإنسان وانعزاله، فبات متأملاً للواقع، غير مشتبك معه أو متعارك، وإنما هو منكب على نفسه، ينأى بها عن آلام واقع طارد أو هكذا تخيّله.

والمشكلة أن الفلسفة الوجودية بنَت معرفتها على فهم الوجود من خلال الحواس، وفهمها للعالم من حولها، وأن المعرفة ذاتها نابعة من تلمسنا للواقع القائم أمامنا، مما جعل المعرفة في النهاية نسبية، وضاع اليقين، واشتدت الحيرة، وساد تصور فكري أن المبدع في حالة صراع مع المجتمع، فإن قبله المجتمع بفكره فهو ينزل من عليائه، وإن نبذه - وهذا حتماً حادث - فالشاعر يمعن في الاغتراب، وهذا تبسيط مخل للظاهرة، فالمبدع ليس في صراع من أجل الصراع مع مجتمعه، وإنما هو عين مختلفة ترصد المجتمع، وتطمح لكماله وسعادته، وترصد في ذلك أوجه القصور، بل تعبر عن المجتمع في لحظات الانتصار وأزمنة النهضة وأوقات الصعود الحضاري، بمفهوم الحضارة الشامل لرقي الإنسان مادياً وروحياً.

وهو الأمر الحادث مع الذات الشاعرة العربية المعاصرة، التي تعاني من هزائم وتراجع وانحطاط مجتمعاتها، بجانب شيوع الاستبداد، وحضور تساؤلات عديدة عن الهوية، وطبيعتها، وإلى أين نسير؟ وكيف ستكون العواقب؟

وظهر الاغتراب في هذا الجيل، والأجيال السابقة واللاحقة عليه، التي تشاهد العجز اليومي، والفرقة والتشتت، فآثرت العزلة، واتخذت من قصائدها ملاجئ زائفة تلوذ بها.

ويمكن أن نرصد مظاهر الاغتراب إبداعياً في ثلاثة أبعاد:

- اغتراب الإنسان عن العالم والكون، وهو اغتراب ميتافيزيقي أو اغتراب أساسي ملازم لوعيه بوجوده وتناهيه،
- ثم الاغتراب عن الجماعة التي ينتمي إليها بما لها من ماض، وقيم وتقاليد.
- وأخيراً الاغتراب عن الذات، وهو أخطر هذه الأشكال الثلاثة وأهمها.

إن الاغتراب في الشعر العربي المعاصر يعبر عن أزمة ذات وجهين: الأول يتصل بفقدان الهوية والانتماء. والثاني: العلاقة المتأزمة مع المجتمع، وكلاهما يؤديان إلى عزلة وضياع وتخبط لأبناء الوطن عامة، وللشعراء - بوصفهم معبرين عن أحاسيس المجموع - خاصة، ولا تزال الأزمة مستمرة، لأن الإنسان العربي يعاني من مسببات عديدة لاغترابه، ولا يجد في الأفق حلا لها.

ولابد من الأخذ في الحسبان أن موقف الشاعر من مجتمعه والعالم من حوله يأتي على أربعة أوجه: الثورة على المجتمع، والعزلة الكلية، والاغتراب عنه، والتأقلم مع المجتمع. ولو أعدنا صياغة هذه الأوجه في رؤية فلسفية؛ لعرفنا أن مهمة المبدع ليست

إحداث تغييرات جذرية في المجتمع، وإنما نشر وعي جديد، وتصحيح لوعي قائم، وأن يربط نفسه بهموم المجتمع، ويطمح – مع آخرين – في تغيير هذا المجتمع للنهضة والتقدم، فالشاعر ليس مقاتلاً، بل ناشراً للوعي الجمالي والفكري، لكي لا يتخيل أحد أنه بقصيدة ستندفع الجماهير للتغيير.

ولنبدأ نقاشنا للأوجه الأربعة بالحالة الأخيرة وهي التأقلم مع المجتمع، فهي حالة تجعل المبدع تابعاً لأحوال المجتمع، وتخص ضعاف المواهب، الذين لا يتكسبون بالإبداع، ويتخذونه وسيلة للوجاهة الاجتماعية والأدبية، مثلما نرى عند شعراء المديح للخلفاء والأمراء قديماً، ومنافقي السلطة والحكومات حديثاً، وهؤلاء لا يعوّل عليهم في تغيير الوعي لدى الناس، لأنه غير مستعد أن يصادم ما لدى الناس من قناعات، بجانب أنه فاقد لفكر الثورة والتغيير.

أما الوجه الأول وهو الثورة على المجتمع، فقلة من المبدعين الذين يملكون هذا الفكر، وغالباً ما يكونون ذوي توجهات إصلاحية، وأفكار فلسفية، ترتبط بمذاهب تقدمية أو راديكالية أو تشبعوا بأفكار إصلاحية ترنو جميعها إلى التغيير الثوري (بمعنى تغيير الواقع بطرق ثورية سريعة في نتائجها)، ويقابل هذا الوجه الثوري: العزلة الكلية عن المجتمع في كهف أو بيت أو غرفة أو قلعة، وهو وجه شديد السلبية، يفر إليه المبدعون المعانون من أزمات نفسية دائمة أو مؤقتة، ولعل أبا العلاء المعري مثال واضح على ذلك، ولكنه يستغل عزلته في إنتاج شعري رفيع المستوى أو ينكب على ذاته ليقرأها، ويزودها بالجديد من الأفكار والفلسفات والرؤى. ويأتي في نهاية الأوجه: الاغتراب، والذي يكون الموقف الأخف من المبدع، لأنه يعيش مع الناس بروح غير الروح، وفكر غير الفكر، وأحاسيس مختلفة.

* * *

إن الاتجاه الاغترابي في الشعر يحتاج إلى إعادة نظر من قبل الشعراء، لأنه بكائية مستمرة، تشكو وتئن وتتألم وتصرخ، وتغيّب ذاتها وتفنيها دون أن تصل بقرائها إلى نتيجة، بل ازدادت غربة القراء أنفسهم، ومن هنا ظهرت اتجاهات أخرى في الإبداع تشتبك مع الواقع بكل ما فيه، وتتخلى عن هروبها المصطنع والمتخيل، موقنة أن مرّ الواقع وجروح الاشتباكات له آثار إيجابية متمثلة في حفز المتلقين، والتواصل معهم، على أمل تغيير حتمي لاحت بوادره لكل ذي عين، وهذا ما نرومه أن يكون المبدع سببا (من أسباب) تغيير الوعي والفكر والجمال■

نقاط

ربيع زعيمية - الجزائر

لن أستسلم...!

قلتها بأعلى صوتي...أمسكت قلمي...نفخت فيه من روحي وأخذت أخط على الورق حكايات من غابر ومستقبل الزمان...أستدعي أبطالا أكسوهم لحما ورقيا، وأسقيهم دما أسود يقطر من قلمي الجريح.

كان اليوم والغد والبارحة...من حسابات البشر القدامى...أما أنا فبشر من طينة الأدباء..أتخطى القرون وسني يحسب بصفحات، بأبطال، بحكايات... بابتسامات وضحكات تتدحرج من عمق النفس وشغاف القلب الذي شرعته أمخر به بحور الحبّ المنبوذ في زمن الكره الذي استشرى في جسد الدنيا كالجذام.

نعم لن أستسلم، سأبقى أكتب على رغم الواقع المرير، على رغم ردود الرفض من عشرات دور النشر، على رغم تكدس رواياتي في درج النسيان... على رغم حالة الفقر المزري الذي أعانيه، رغم أفاعي الأفكار السوداء التي تزحف على جسدي في كل مرة أوسد فيها رأسي لوسادة الأحلام.

كنت شابا، فصرت كهلا، ولكني.. لن.. ولن أكتب بلغة الخشب الجافة، لن أكتب بلغة مصانع الشكولاطة السويسرية المحشوة بكل مكسرات الدنيا...لن أكتب بلغة الفواكه الصيفية والشتوية، لن أكتب كي يرضى عني نقاد الفنادق ذات خمسة النجوم...لن أكتب كي أنال جائزة نوبل...لن أكتب سوى لكي أنال بسمة رضا من إنسان وجد نفسه التي حاول الآخرون تغييبها في دوامة المادية الجوفاء...ضحكة من بعد شم عطر، أو تذوق نكهة من ماضي الأصالة والوفاء.

لكم عشقت الكتابة من زمن بعيد...كنت أكتب وجيبي خالي الوفاض...كنت أكتب وأمعائي في عزف لنشاز قرقرتها المزعجة..كنت أكتب والبرد يلف أصابعي بخيوط الموت الحريرية القاسية...كنت أكتب والجميع يسخرون...كنت أكتب بصمت شديد...والبقية يثرثرون.

كنت أكتب وحالي كمن يُفيق من حلم جميل ليجد نفسه في مواجهة كابوس مفزع، هذا هو حال الأديب إلى أن ينتهي من كتابة إبداعه...

يالوحدتي في هذا العالم...أحس بالرغبة الجامحة في الصراخ بأعلى صوتي:

أريد عالما آخر غير هذا...

أريد منزلا جميلا، واسعا وهادئا....

أريد أسرة متفهمة...

أريد مجتمعا مثقفا واعيا، يحترم الأدب ويقدر مبدعيه..

أريد مكتبة ضخمة بها كل ما جادت به العقول البشرية من سجاجيد فكرية، وزرابيّ أدبية، وما زينته من زهور فنية، وما خلطته من بخور دينية، وعطور دنيوية... أتمنى أن تكون المكتبة بسقف زجاجي مكشوف...تنير الشمس أرضيته بالضياء فأنغمس في قراءات لا تنتهي....

كنت وما زلت أجول بروايتي الجديدة وهي بين أحضاني حديثة الولادة في زمن قديم...لم أضع لها اسما حتى الساعة...أنتظر حتى أسمع لها صرخة حياة... ربما لن أسميها، بل أترك مكان العنوان نقاطاً كثيرة، أترك للقارئ وضع الاسم الذي يشاء...وتبقى الأماني تحدوني أن أجد لها مكانا بين كتب السابقين يقرؤها لي اللاحقون ويضعون مكان النقاط اسما جميلا ■

مع حصول المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في ماليزيا على الترخيص الرسمي وانطلاقة فعالياته الأدبية في رحاب الجامعة الإسلامية العالمية تلتقي مجلة الأدب الإسلامي واحداً من أبرز الوجوه الأدبية في ماليزيا وهو الأديب المشهور بـ(كمالا)، حيث أجاب عن العديد من الأسئلة حول رؤيته عن الأدب الإسلامي.

الأديب الدكتور أحمد كمال عبد الله الملقب بكمالا لـ(الأدب الإسلامي):

الأدب الإسلامي الحقيقي قد ظهر منذ عصر النبي ﷺ

■■ متى بدأت هواية القراءة عندكم؟

■ بدأت أمارس القراءة لما كنت في الثامنة أو التاسعة من عمري، حيث عشت مع زوج أمي وهو شرطي. بدأت بالاطلاع على مجلات ترفيهية وفيها أخبار عن حركة الأدب (٥٠ في أرض ملايو) التي تدعو إلى مدرسة الفن للفن. وقرأت أشياء كثيرة في الأدب لمختلف أدباء الوطن وخارجها.

■■ عرفنا أنكم قد حصلتم على عدة جوائز تقديرية في المستوى المحلي والدولي،

حوار: محمد ذو الكفل - ماليزيا

هل يمكنكم أن توضحوا لنا أبعادها؟

■ آخر الجوائز التقديرية حصلت عليها في دكا عاصمة بنغلاديش، وهي ما يعرف بتقديرات كاتاك (Kathak) العليا، وقد شرفوني بهذه الجائزة نظراً لنشاطي في خدمة الأدب، ليس على المستوى المحلي فحسب؛ بل على المستوى الدولي طوال الخمسة عشر عامًا الماضية.

■■ لقد لاحظنا اهتماماً متزايداً في بعض أقطار المسلمين باتجاه الأدب الإسلامي. ما هو رأيكم في الأدب الإسلامي نفسه؟

■ الأدب الإسلامي ليس بجديد، وإن ظهوره مقترن بالبعثة المحمدية. عندما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وسطع نور الإسلام على قلوب البشر، تحركت معه القريحة الشعرية في صدور الشعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت، وعبدالله ابن رواحة رضي الله عنهما. فقِدَم هذا الأدب هو قِدَم الرسالة المحمدية نفسها. فالشعراء المسلمون كما قرأنا في السيرة كانوا يناضلون الشرك والكفر والجاهلية بلسانهم وقريضهم، بل وجدناهم ينالون جوائز معنوية منحت منذ ذلك الحين، كما حصل عليها الصحابي حسان بن ثابت من تقديرات نبوية.

وبالنسبة لوطننا، فأدباؤنا في العصر الحديث قد تطرقوا إلى ما يدخل في إطار الأدب الإسلامي من أمثال بوديمان راضي في الخمسينيات، وكذلك ذو الكفل محمد الذي نشر بعض أعماله في مجلة الكلام، وله خلفيات تربوية عربية إسلامية حيث تخرج في جامعة الأزهر. ومن المعروف أن الأديب الفقيه (حمكا) من إندونيسيا له أثر قوي في المجتمع الملايوي، وله روايات ذات روح إسلامية واضحة مثل رواية Di Bawah Lindungan Kaabah (تحت ظلال الكعبة) التي تتناول قصة حب لا تنتهي إلى نهاية سعيدة، وSemangat Ayahku (حماسة والدي) التي تعالج قضية الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد احتلال اليابان، وقد كان ثمنه باهظًا مضحيًا

حمكا

بروحه. فهذا يدل على أن علماءنا قديمًا وحديثًا يشتغلون بالأدب، ومن ينفي هذا الأمر فبسبب عدم اطلاعه على كتب السيرة وحياة علمائنا الأجلاء.

■■ هل ترون أن الأدب الإسلامي بمفهومه الناضج، قد ظهر إلى حيز الوجود منذ عصر النبوة؟

■ أنا أومن بأن الأدب الإسلامي الخالص الحقيقي قد ظهر منذ ذاك العصر، ولا أميل إلى اتجاهات جديدة في نظريات الأدب الإسلامي، وإنما أميل إلى الروح الأولى في ظهوره حيث الصفاء والوضوح، فكل شعرائنا المعاصرين عيال على السابقين الأولين من الأدباء المسلمين، فأين لحمزة فنصوري أن يبدع في أدبه لو لم يطلع على السيرة النبوية والأدباء من حول الرسول صلى الله عليه وسلم، كما شأن الشاعر الكفيف أبو بكر فريد؛ فأين له أن يبدع في أدبه لو لم يقتد ويقرأ لحسان بن ثابت وعبدالله ابن رواحة رضي الله عنهما.

■■ وما رأيك بعدة نظريات ظهرت في الأدب الإسلامي في العصر الراهن؟

■ تطالعنا في هذه الأيام نظريات في مفهوم الأدب الإسلامي،

والأسس التي تقوم عليها مثلما وجدنا عند الأستاذ المشارك الدكتور شافعي أبو بكر بنظريته المعروفة بنظرية (التكملة)، والتي تستند مبادئها إلى القرآن والسنة المطهرة، والأدب الإسلامي عنده إحساس فني نابع من بصيرة نورانية في أعماق الفؤاد. وفي الحقيقة الأدب الإسلامي عام يشمل جميع نواحي الحياة مثل وصف الطبيعة والمظاهر الكونية، وبعيد عن عناصر الشرك بالله - وهذا قد نجده كذلك في بعض ما كتبه أديب غير مسلم - ويدخل فيه الشعر بوصفه الكوني والكلي، مثل قضية الحب العفيف. ما دام الأمر لا يناقض العقيدة الإسلامية، فهو يصلح بأن يُتذوق أدبيًا وفنيًا... الأدب الإسلامي أدب كوني وكلي، يُنتفع به أينما يكن.

■■ رأيكم هذا يلفت النظر.. ما موقفكم من الأديب غير المسلم، هل يصدر منه أدب إسلامي؟

■ لا أعده من ضمن الأدب الإسلامي.. ولكنه مقبول طالما لا يناقض العقيدة الإسلامية.. مثل موضوعات الكون، والحب العفيف، واحترام الكائنات الحية، والقيم الإنسانية،.. وبالاختصار كل شيء يتناسب مع الفطرة الإنسانية السليمة. وهذا الأمر كما لاحظنا يؤمن به بعض الناس من غير المسلمين، وكم شاهدنا التعاون الإنساني الإخائي بين المسلم وغير المسلم، وكم مرةٍ ساعدني غير مسلم وأنا في بلدهم، ففطرة الإنسان السليمة تميل إلى التعاون بين البشر مهما يكن جنسه ودينه. وبالمقابل ننكر كل شيء ينسب إلى الإسلام وهو ليس منه في شيء، مثل التعصب المذهبي والعقدي وبالمثل الخلافات الداخلية في صفوف المسلمين التي تؤدي إلى زعزعة كيان الأخوة الإسلامية، كما ننكر ما ارتكبه القليل القليل من المسلمين من جريمة العنف والإرهاب وقتل النفس باسم الإسلام.

شحنون أحمد

■■ في رأيكم كيف ينبغي لأديب مسلم أن يتخذ موقفاً إزاء الأدب الإسلامي؟

■ الأدباء المسلمون كلهم يجب أن يشجعوا الأدب الإسلامي، وأن يتخذوا موقفاً مؤيداً له، للأدب الذي يرتبط بفنه الإسلامي بقواعد التوحيد الصحيح. إن أثر الأدب الإسلامي واضح منذ القدم، فوجدنا أدب التروبادور كيف تأثر بأدب الشرق الإسلامي الذي ظهر في شبه جزيرة إيبيريا (الأندلس) منذ أن افتتحها طارق بن زياد، وأثره قائم حتى الآن. فالأدب الإسباني أدب رفيع.. وشيء مشابه رأيناه عند السلطان محمد الفاتح، فهو رجل لا يتسم بروح النضال والجهاد العالي من نوعه فحسب، بل كانت روحه روحًا أدبية مرهفة الحس والشعور، فكان يتناول موضوع الحب ويدمجه بموضوع الروحانية.

■■ هل ترى في الأدب الملايوي خصائص الأدب الإسلامي؟

■ الجدال حول ماهية الأدب الإسلامي قد أثار حمى وطيس المعارك النقدية بين النقاد الماليزيين، وخاصة تلك التي كانت تدور بين شحنون أحمد وقاسم أحمد في السبعينيات من القرن الماضي، وفي تراثنا الملايوي، ولنقل تراث أرخبيل ملايو، ما يوافق التراث الصوفي، وهذا بالطبع له أثر في أدبنا، فنرى قصائد تنظم في تزكية النفس والقيم المثلى. لا ننكر أن أدبنا ليس كله يساير المبادئ الإسلامية الصحيحة، بل يحتاج إلى أن يقوَّم ثم ينتقى ما هو إسلامي الروح والتوجه، ويترك منه ما هو إلى الجاهلية أقرب، فساحة أدبنا يشهد تأثير أفكار غربية متحررة تقتحمه من كل باب.. ثم إن الأدب

الإسلامي يجب أن يكون على مستوى فني رفيع، وليس على شكل الدعاية على الإطلاق.

■■ من هم الأدباء الماليزيون الذين يهتمون بالأدب الإسلامي؟ وكيف ترون أنفسكم بينهم؟

■ هم كثر، ولكن السؤال الذي يجب أن نفكر فيه هو، هل فعلًا وصلوا إلى مستوى أديب إسلامي رفيع؟ هذا يجب أن يشغل بالنا حتى نبذل جهوداً أكثر في سبيل إعلاء هذا الفن الأصيل. لقد وجدت بأن المحاولات من أدبائنا مستمرة في هذا المجال ومشكورة، والحمد لله.

أما أنا، فقد سبق أن صدر لي ديوان شعر، وشاركت فيه مع غيري من الأدباء الماليزيين الآخرين، في قضية فلسطين خاصة، عن مذبحة صبرا وشاتيلا، وقد ترجم إلى اللغة العربية، ونال اهتمام الجمهور العربي فيما أرى. وفي هذا الديوان قصيدتي بعنوان «الصبح» انتقدت فيها الرئيس الأمريكي بوش، كما استلهمت صور الجهاد لطارق بن زياد. ومؤخراً وليس ببعيد صدر لي ديوان شعر بعنوان «العين»، وقد ترجم هذا بأكمله إلى اللغة العربية، والشكر الجزيل موصول إلى فضيلة الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت ومجموعته فيما بذلوا من جهد كبير في عملية الترجمة. وإلى جانب هذا، أنشأت جمعية أدبية تتكئ قواعدها على التراث الإسلامي خاصة في ناحية جنوب شرق آسيا، وسميته NUMERA وهو اختصار لعبارة: جمعية أدباء أرخبيل ملايو الأعظم، وتسعى هذه الجمعية لإعلاء القيم الكامنة في أدبنا الملايوي الإسلامي، الذي لا ينحاز أبداً عن مبدأ التوحيد الإسلامي.

■■ في الختام: أشكركم يا فضيلة الدكتور الأديب أحمد كمال عبد الله على تكرمكم لإجراء هذا الحوار لمجلة الأدب الإسلامي، وإن شاء الله سنبقى على التواصل في المستقبل.

■ ولكم ألف شكر، ونتمنى اللقاء المستمر والتواصل معكم.. والله الموفق■

يا قبلة كل البشرية

رفعت عبد الوهاب المرصفي- مصر

يا مكة.. يا بكة..
يا قبلة كل البشريةْ
يا عاصمة النور الأبديةْ
يا طارحة.. للطيب وللأنداء
وللنفحات القدسيةْ
ساكنة أنت قصور الشمس
جبين البدر رياض الطهر العربيةْ
وارفة أنت على خفقات الروح
على شرفات التاريخ الملكيةْ
يا ألوية بالحق محلقة
كي تحفظ.. للهدي هويةْ
يا أنهار الفجر الممتدة
في كل الأرجاء الكونيةْ
يا مكة.. يا بكة..
يا سراً يسري في أوردة الدنيا
نوراً وعطوراً ومعاني علويةْ
يا أرض البيت المعمور
وحجر السور المكيةْ
يا من شرفك الله بوحي القرآن
بأعظم إنسان وبروح السنن النبويةْ
يا مكة.. يا بكة..
يا قبلة كل البشريةْ

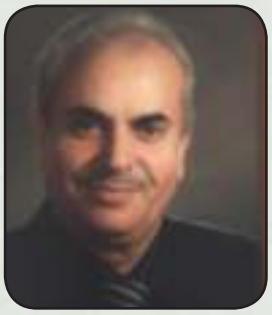

صريعُ هَواكِ

د.عبد الرزاق حسين(*) - الأردن

اللهُ مِـنْ بـينِ الـورى سَـوَّاكِ ... حُـلَـلَ الجـمـالِ بـهـاءَهـا أَعْـطـاكِ

فـشَـدَوْتِ بـالـقـرآنِ شَـدْوَ بـلابِلٍ ... بجَمالِ صَوْتٍ ذاكَ بعْضُ حُلاكِ

يكفيكِ أَنَّ اللهَ أَقسَـم في الملا ... حِفْظَ الكتابِ وأَنْـتِ فيهِ كَفاكِ

قَدْ ضَلَّ مَنْ يمشي لغيرِكِ دَرْبَهُ ... مَنْ يَهْتدي إنْ سارَ دونَ هُداكِ؟

أَمَّ اللُّغاتِ لكِ اللُّغاتُ وَصائفٌ ... أَنتِ المليكَةُ فوْقَ عَرْشِ عُلاكِ

فَلَقَدْ عَلَوْتِ على اللغاتِ جَميعِها ... بِشهادَةٍ مِنْ مالِكِ الأَمْلاكِ

للهِ مَبْسِمُها الأنيقُ وثغْرُها ... نَوْرٌ وَوَرْدٌ والجمالُ بَهاكِ

فالقدُّ غُصْنٌ هائِمٌ بثمارِهِ ... يَحكي قِوامَ السَّرْوِ والآراكِ

والوَجْهُ مِنْ نورٍ بَدا وكأَنَّهُ ... شَمْسُ الضُّحى جَلَّتْ على الأفْلاكِ

عيْناكِ! ما عيْناكِ؟! كُلُّ جميلةٍ ... غَيْرى مُناها لَوْ لَها عَيناكِ

لَحْظٌ مِنَ السِّحْرِ الحلالِ وفِتْنَةٌ ... للهِ روعَةُ لَحْظِكِ الفتّاكِ

وَرِضاكِ حَسْبُ حَبيبةٍ وحبيبِها ... كُلُّ المُنى في أَنْ يُنالَ رِضاكِ

تَهْواكِ روحي فَهْيَ فيكِ أَسيرَةٌ ... لقَبٌ أُسَرُّ بهِ أَسيرُ جَواكِ

وَعَلى الجَبينِ كَتَبْتُ فيكِ قَصيدَةً ... عُنوانُها إنِّي صَريعُ هَواكِ

إنْ كانَ في أَهْلِ الهوى مَنْ يَفْتدي ... كانَ التماسي أَنْ أَكونَ فِداكِ

سِحْرُ البيانِ غدا بِلَفْظِكِ رَوْضَةً ... شَدْوُ الطُّيورِ بها ربيعُ صِباكِ

لا تَهْرمينَ على الزَّمانِ فَتِيَّةً ... لا يَعْتَري طولُ الزَّمانِ فِتاكِ

(*) أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

أَنْـــوارُ وَجْـهِـكِ وَمْـضَـةٌ دُرِّيَّـــةٌ
تَجلو أَشِعّتُها غيومَ سَماكِ

اللـؤْلُـؤُ المكنونُ أَنـــتِ ودرُّهُ
وَلَزائفُ الأصدافِ مَنْ يَشْناكِ

لا ليسَ في الدُّنيا كَـدُرِّكِ مُنْتقى
هُـوَ جَوْهَـرٌ تقليدُهُ لِسِواكِ

وجمالُكِ الأخَّاذُ مِنْ حَسَدِ العِدى
قَـدْ شوَّهتهُ مزاعِمُ الأفَّـاكِ

إِنْ قيلَ عَنْكِ ولفَّقوا ما لفَّقوا
فالنَّقْصُ فيهِمْ والكَمالُ عُلاكِ

قالوا: هَرِمْتِ ضَعُفْتِ لا أَمَلٌ بها
داءٌ وبيلٌ للشِّفا أَعْياكِ

وسرَتْ إشاعةُ موتِها مِنْ حُسَّدٍ
قَدْ شيَّعوكِ بزعْمِهِمْ مَثْواكِ

كَذَبُوا فأَنْتِ على المدى أُغنيَّةٌ
لَحْنًا تُنَغِّمُهُ طيورُ سَناكِ

يَنسابُ عَذبًا مِنْ ثناياكِ التي
هيَ نَبْعُهُ وَمَصَبُّهُ شَفَتاكِ

ولأَنْتِ روْضُ الأرضِ جَنَّتُها التي
تُهدي الرَّوائِعَ مِنْ لَذيذِ زاكِ

عَطَّرْتِ هذا الكونَ صِرْتِ أَريجَهُ
فالنَّفْحُ نفحُكِ مِنْ لمى رَيّاكِ

حتَّى انتشتْ هذي الغيومُ وَقَطْرُها
وَنَسيمُها شَوْقٌ لِفَوْحِ شَذاكِ

وَسَمَوْتِ فوقَ الشِّعْرَيَيْنِ سِماكها
ما طاوَلَ النَّجْمُ القَصيُّ مَداكِ

هذي الدُّنا تَرنو إليكِ بعَيْنِها
مِنْ شوْقِها تهفو إلى لُقياكِ

قَدْ كُنْتِ أَنتِ لِسانَها وبيانَها
لِلفُرْسِ والرُّومانِ والأَتْراكِ

حتَّى غَدَوْتِ كِتابَ كلِّ مُؤَلِّفٍ
أدبَ الأديبِ وخُطْبَةَ النُّسّاكِ

وَلَيَوْمُ عَوْدِكِ عَنْ قريبٍ وَفْدُهُ
فتعودُ تُشرِقُ أَرْضُنا بِرُؤَاكِ

قراءات صيفية:
البعد الديني وصورة اليهودي في الرواية الغربية

في غمرة الأحداث التي تمر بالأمة، يُحرم المرء من قراءة الأدب الذي يحب، بحكم انشغاله بقراءات الشؤون العامة وما يرتبط بها، وكتابة ما يعنّ له متابعة وتحليلاً وتعليقاً على ما يجري. وفي صيف ٢٠١٥م، تسنّى لي الحصول على مجموعة من مترجمات مطبوعات «كتابي» التي كان يصدرها حلمي مراد في خمسينيات القرن العشرين.

د.حلمي محمد القاعود- مصر

(١)

وسلسلة كتابي تخصصت في نشر الأعمال الأدبية الشهيرة التي طبعت التاريخ البشري الحديث، وأثرت في ثقافات شعوب الأرض بسبب انتشارها الواسع في أقطار العالم، وتركت تأثيراً واضحاً في نفوس قرائها على مختلف لغاتهم وأعراقهم وقومياتهم.

كنت في صباي الأول قد قرأت بعض كتب هذه السلسلة من الروايات العالمية مثل «الطريق إلى بئر سبع» للكاتبة الإنجليزية المتعاطفة مع قضية فلسطين إيثيل مانين، وقرأت الحرب والسلام، وأنا كارنينا لتولستوي، والبؤساء لفيكتور هوجو، ومرتفعات ويذرنج لإميلي برونتي، وجين إير لشقيقتها شارلوت برونتي.. وغيرها.

أتيح لي في هذا الصيف أن أستعيد قراءة ما سبق لي قراءته في الصبا، بالإضافة إلى مجموعة أخرى مهمة منها: رواية المسبحة للكاتبة فلورنس باركلي، ومجموعة أرواح هائمة القصصية، ورواية الخاطئة لسومرست موم، ورواية إلى سوان لمارسيل بروست، والمفتون، والحب هو الكنز لبربارا كارتلاند، وحذار من الشفقة، والخريف لستيفان زفايج، بالإضافة إلى كتاب نقدي تحليلي للكاتب الفرنسي أندريه

مـوروا تنـاول فيـه مجمـوعة من الروايات الفرنسية الشهيرة كتبها جان جاك روسو، وستندال، دي لا كلو، وجوستاف فلوبير، وبلزاك، ومـارسـيل بـروسـت، ومـدام دي لافاييت.

(٢)

حـفـزني عـلـى قـــراءة هـذه المترجمات ما لمسته فيها من دقة في التعبير، وطلاوة في الصياغة، وحرص على اللغة في نصاعتها وقوتها، والاهتمام الواضح بإخراج النصوص خالية من أخطاء الطبع والتصحيف والإملاء، ونـادراً ما يقع القارئ على خطأ واحد في كل خمسين صفحة.

ويعد ناشر السلسلة حلمي مراد من أفضل المترجمين بحكم نشأته في مرحلة ما قبل الخمسينيات من القرن العشرين، وهي مرحلة شـهـدت الـعـهـد الـذهـبـي لـلأدب الحديث، وخاصة الترجمة، وكان لدى العرب عدد ممن تفاخر بهم الأمـة في مجال الترجمة منهم : بـدران، والسباعي، والقصاص، وزعـيـتـر، والـدروبـي، والـزيـات، وغيرهم..

كـان الـفـريـق الـذي يعمل في الـتـرجـمـة مـع حلمي مـراد يضم عـدداً من كبار الأدبـاء المعروفين بعمق ثقافتهم وموسوعيتهم، وبعضهم كان يترجم من دون أن يذكر اسمه، كـان يتصدر أهـم الترجمات مع الناشر، الدكتور نظمي لوقا جرجس، المشهور باسم نظمي لوقا (١٣٣٩-١٤٠٨هـ) = (١٩٢٠-١٩٨٧م)، وكـان زوجـاً للأديبة المعروفة صوفي عبد الله، وهـو من مواليد مدينة دمنهور بـالـبـحـيـرة، وتـوفي في الـقـاهـرة، وقضى حياته في مصر. ودرس الآداب، قسم الفلسفة (١٩٤٠م)،

والحـقـوق الفرنسية بالقاهرة، وحصـل عـلـى درجـة الـدكـتـوراه في الفلسفة. وكـان أستاذًا بكلية المعلـمين بـالـقـاهـرة، ثـم بكلية الآداب، جامعة عين شمس. كما كان عضوًا بنادي القلم الدولي، وعضوًا باتحاد كتاب مصر، ونظم الشعر، وكتب القصة والرواية.

وقـد انـعـطـف نـحـو دراسـة الإسـلام وتـاريـخـه، وبعض كتبه يتعاطف بصورة عظيمة مع نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – منها: «محمد: الرسالة والرسول»، و«محـمـد في حـيـاتـه الـخـاصـة»، و«عـمـرو بـن الـعـاص»، و«أبـوبـكـر حواري محمد»، و«أنا والإسلام»، و«وامحمداه».

وترجم عدداً كبيراً من روايات تولستوي وديستويفسكي وبوريس باسترناك وهنري بوردو ومارسيل بروست وفيكتور هوجو وغيرهم.

(٣)

أهـم مـا لفت نظري في كثير مـن الـروايـات الـتـي قـرأتـهـا في المجموعة وضوح النزعة الدينية لـدى شخصياتها، وهـي نزعة إيجابية في كثير من المواضع.

في روايـــة الـبـؤسـاء نـرى شخصية مسيو ميرييل، كاهن إحـدى المـدن في جنوب فرنسا، يـعـيـش مـع شـقـيـقـتـه وهـــو في

الخامسة والسبعين، عيشة الزهد والكفاف والتسامح، ويتنازل عن كل ما يملك حتى راتبه الذي لا يبقي منه إلا القليل، ليساعد الفقراء والمتعبين، ونتعرف من خلاله على كثير من النماذج البشرية التي صنعها البؤس في صور شتى، فيغيرها من خلال عطفه وتسامحه وإرشاده الديني، ولا يتوانى هوجو عن الاستشهاد على لسان الكاهن بآيات التوراة والإنجيل حتى لقد هممت أن أكتب مقالاً بعنوان « فيكتور هوجو أديباً إسلامياً» لألفت نظر الرافضين لمصطلح الأدب الإسلامي، والقائلين بضرورة فصل الدين عن الأدب، وأقول لهم: ها هو الكاتب الفرنسي المسيحي يكتب أدباً دينياً من خلال فن جميل.

وفي رواية سوان لمارسيل بروست يترجم نظمي لوقا الرواية الأولى، وظهرت في ثلاثة أجزاء من هذه الملحمة الروائية الطويلة التي تقع في سبع روايات، وأطلق عليها «البحث عن الزمن المفقود»، فيقدم نماذج بشرية تتفاوت في أخلاقها وسلوكها العام ومشاعرها الإنسانية. وذلك من خلال عرض صورة جغرافية وتاريخية واجتماعية وفنية وأدبية للحياة الفرنسية في القرن التاسع عشر.

ويستعرض الكاتب البريطاني الشهير سومرست موم في بعض رواياته وقصصه المطولة مشاهداته في الشرق الأقصى وأرخبيل الملايو والصين بحكم عمله في المخابرات البريطانية في النصف الأول من القرن العشرين. وموم بارع في وصف النفس البشرية في حالات ضعفها وقوتها، ويضع يده على أسباب الضعف والقوة، ويقدم مصائر النفوس المنحرفة بما يتفق مع طبيعة ما اجترحته من أخطاء وخطايا، وهو ما نراه في رواية الخاطئة ومجموعة أرواح هائمة.

إيميلي برونتلي

أما مرتفعات ويذرنج لإميلي برونتي فهي رواية ضخمة شهيرة في الأدب الإنجليزي، وتقدم حياة الفتى الغجري اللقيط الذي تبنته أسرة بريطانية، لها عاداتها وتقاليدها ونظام حياتها. وفي سلوك هذا الفتى وتحولاته وأخلاقه ما يكشف فكرة الصراع بين الأنانية والقسوة، والحب والخير.

أما الكاتبة فلورنس باركلي فتعالج في روايتها الرومانتيكية وعنوانها المسبحة، (تقع في جزأين، وترجمها نجيب ميخائيل بشارة) حالة الزواج القائم على الإحساس بعدم التكافؤ، وإحساس المرأة التي تبدو لنفسها غير جميلة فترفض شاباً جميلاً أصغر منها بثلاث سنوات، حيث تدرك أن طول المعاشرة لن يلبث أن يفتح عيني الشاب على دمامتها، ولا تجد علة تبديها له سوى صغر سنه وأنه في نظرها (مجرد غلام). وتشتد بها الحسرة والألم وتباريح الحب بعد أن تركت منصة العقد في الكنيسة

رفضاً للزواج أو هرباً منه، ولكنها لا تلبث أن تقوم برحلة حول العالم لتنسى، وفي مصر تقرأ نبأ فقدان الشاب الذي رفضته بصرَهُ، فتسرع عائدة إليه كي تواسيه، وتخفف عنه مأساته، ويتزوجان.

أما الروائية الإنجليزية إيثيل مانين فقد تعاطفت مع الفلسطينيين في رواياتها «الطريق إلى بئر سبع»، وعبرت عن محنتهم في اللجوء والتشرد، وعدم قدرتهم على العودة إلى وطنهم في أرض فلسطين نتيجة صراع بين واقع مرير وعواطف وطنية ملتهبة. إن الكاتبة تنحاز إلى الحق الفلسطيني، والشهادة على أرض فلسطين، وترفض الخروج واللجوء جميعاً.

ويعالج ستيفان زفايج بعض الموضوعات الإنسانية التي يمكن وضعها تحت عنوان «حالات خاصة»، ففي رواية «حذار من الشفقة » يقدم مشاعر العجز وأحلام العاجزين وموقف الأقوياء وسلوكهم تجاههم، ويصور النفس البشرية وهي تعاني وتتألم، وتتمنى وترغب، حتى تصل إلى مصائرها المحتومة.

وفي روايتيه «الأرملة» و«الأم» يعالج نزوات المرأة، وهي في

ستيفان زفايج

مرحلة الخريف، واندفاعاتها نحو تحقيق الرغبة دون أن تعبأ بما يحيط بها من التزامات أو واجبات، وقد تصحو متأخراً فتلملم أشلاءها وتعود إلى الجادة مرة أخرى.

هناك روائية اسمها باربارا كارتلاند تكتب الرواية الرومانتيكية بمهارة، وتعالج الصراع بين المادة والعاطفة وتنتصر للأخيرة، وفي رواياتها المفتون ترصد تحول الشخصية الأساسية من الغرق في اللذات والماديات والمظهريات إلى المشاعر والعواطف والروحانيات. وبالمثل في رواية «الكنز» حيث تنتصر للعاطفة على المادة.

ولم تحرم مطبوعات (كتابي) قراءها من تقديم الرؤية النقدية التحليلية لأبرز نقاد فرنسا أندريه موروا، وهو يقرأ بعض الروايات السابقة وغيرها من أشهر الروايات العالمية من خلال سرد قصصي ودراسة أدبية ممتعة وأسلوب شائق.

(٤)

ويمكن القول: إن هناك خطوطاً أدبية وفنية تبرز من خلال هذه الروايات، ولعلها تنسحب على معظم الآداب الغربية الشهيرة في مرحلة العصر الذهبي للرواية؛ إن صح التعبير، وهي مرحلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ويتمثل بعضها فيما يأتي:

البعد الديني بعناصره المختلفة. الوصف والجزئيات البسيطة والاهتمام باللغة والتشبيهات، وخاصة في تصوير الطبيعة والمعالم السكنية والبشرية. صورة اليهودي في العديد من الروايات.

أولا – الحضور الديني:

لاحظت أن معظم النصوص تحمل الروح الدينية المسيحية ورموزها، ويبدو العديد من الكتاب والمؤلفين متسقين مع هذه الروح دون غضاضة أو سخط، بل هي جزء من السلوك والفكر، حتى لو كان المجال الروائي يعالج مسائل الحب والغرام.

قد يكون السلوك العام في الغرب متناقضاً مع هذه الروح، ولكن الكتاب والروائيين يحملونها بصورة ما، ويعبرون عنها، ويستدعونها – على الأقل – في الشق الشخصي الذي يتعلق بالميلاد والموت والزواج والمواقف الصعبة.

هناك تجد الكنيسة معلماً رئيساً موجوداً دائماً، ورجل الدين الذي يقوم بتعميد الأطفال، وعقد القران بين الأزواج، والصلاة على الموتى.. ثم هناك النصوص التوراتية والإنجيلية التي تتلى في مناسبات شتى، وهناك من يجعل رجل الدين رمزاً لحل مشكلات المأزومين والبائسين. ولم تكن رواية البؤساء لفيكتور هيجو إلا تعبيراً عن دور رجل الدين المسيحي في تغيير الحالة الفكرية والسلوكية لأفراد المجتمع من الحالة السلبية إلى الحالة الايجابية.

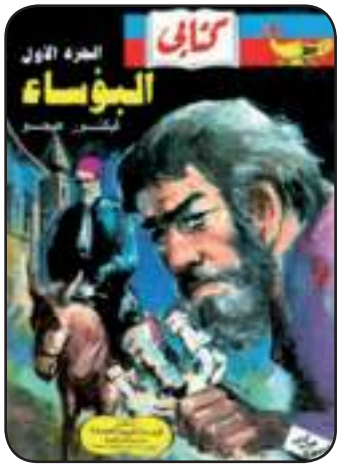

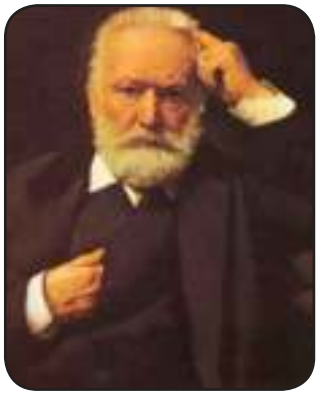

فيكتور هيجو

رواية البؤساء – والصواب أنها تجمع جمعا سالماً «البائسون»، ولكنه خطأ شائع- ترجمت مبكراً إلى العربية أكثر من مرة، وأشهر هذه الترجمات ترجمة حافظ إبراهيم في مطالع القرن العشرين. ويكشف الاهتمام العربي بها عمّا تحمله من رؤية إنسانية ومسيحية تتعاطف مع المظلومين والفقراء والتعساء الذين ظلمهم المجتمع وقسا عليهم، ووضعهم في موضع البؤس والفقر. وفي الوقت نفسه تصور مادية المجتمع الغربي، وأنانيته المفرطة، واهتمامه بالقيم المادية، وبعده عما يعرف لدينا -نحن المسلمين- بالمروءة والشهامة والالتزام الخلقي.

وتقدم الرواية رجل الدين مسيو ميريل أو الأسقف بنيفتي الشخصية الأساسية في البؤساء موسوماً بالتواضع والفقر مع أن منصبه يهيئ له دخلاً كبيراً مما جعل هالة المتملقين تختفي من حوله.

إنه زاهد ينفق كل ما يحصل عليه من منصبه، منغمس في أعمال الخير والبر. أيامه حافلة بالصلاة وإقامة المراسم الدينية، وتوزيع الصدقات، وتعزية المنكوبين، وزراعة ركن من الأرض في بيته، بالإضافة إلى أداء واجبات الإخاء والضيافة، وإنكار الذات، والثقة والدرس، والعمل الدائب مع التقشف العام.

كانت أيامه ملأى حتى الحافة بالأفكار الطيبة، والأقوال الطيبة، والأعمال الطيبة، ولكنها لم تكن لتكمل على ما يهوى ويحب.

كان يفكر في عظمة المثول بين يدي الله، وفي الأبدية المقبلة وأسرارها الغريبة، وفي الأزلية

الماضية وأسرارها الأعجب.. هو ليس رجل مذهب فكري، بل رجل أعمال بر ومحبة ورحمة.. ولئن كان هناك من يشتغلون باستخراج الذهب، فقد كان هو مشغولاً ومنشغلاً ليل نهار باستخراج الرحمة.. وكانت التعاسة الكونية منجمه الكبير، فكل مذهبه يتلخص في هذه الآية: «أحبوا بعضكم بعضاً»[1].

لقد عاش الأسقف الذي تولى منصبه عام ١٨٠٦م، في إحدى المدن جنوب فرنسا على طريق (طولون – باريس) مع شقيقته الآنسة، وهو في الخامسة والسبعين من عمره، ويزوره أحد الأشخاص ويدعى «جان فالجان» الذي قضى في السجن تسعة عشر عاماً، عقاباً له على سرقة رغيف من الخبز، وعلى محاولاته المتكررة للفرار من محبسه. وبعد الإفراج عنه يعجز عن العثور على عمل أو مأوى بسبب صحيفة سوابقه التي وقفت حجر عثرة في طريق توبته واندماجه في المجتمع. فلما فتح له الأسقف باب بيته وآواه وأطعمه عض اليد التي أحسنت إليه فسرق الشمعدان والأواني الفضية من بيت الكاهن تحت جنح الظلام، وحين ضبطته الشرطة وأعادوه إلى الكاهن، كرر الكاهن المحسن موقفه النبيل، وزعم للشرطة أنه أعطى الشمعدان والأواني للسارق بمحض اختياره هدية تعينه على مواجهة الحياة فأطلقت سراحه.

وتستمر الرواية في رصد التحولات التي تطرأ على الشخصيات، وصراع البؤساء مع المجتمع وقوانينه الظالمة، وأوضاعه المتردية، وعدم معالجته

لضحاياه بطريقة إنسانية تتفق مع منهج الأسقف الطيب.

لا تغيب الروح الدينية المسيحية عن المناسبات المختلفة التي تمر بالشخصيات حتى في أكثر الروايات رومانتيكية كما نرى في رواية المسبحة، مثلا نجد الأدعية المتجهة إلى الله مفعمة بهذه الروح، فضلاً عن الترنيمات الدينية من قبيل: «تعالي أيتها الروح الخالقة» المقطع الختامي لترنيمة تقول: «أبعد عنا أعداءنا.. وهب السلام للوطن. وحيث تكون مرشدنا، فلن يكون ثمة مرض.»[2] أو ما نراه في هذه الأنشودة التي ترددها شخصية جارث في الرواية ذاتها:

«انقضى الصباح الوضاء،
واستنفد سريعاً مكنونات مخزونه الذهبي..
وبدأت ظلال النهار المرتحل..
تزحف من جديد..
ما حياتنا سوى فجر يولي الأدبار..
لا يلبث ضحاه الوهاج أن ينقضي سراعاً..
فاهدنا يا يسوع – حين ينفض عنا الجميع – إلى موطن الأمان، أخيراً،
حيث يتشح الملائكة ببياض لا شائبة فيه،
ولا تهبط ظلال الغروب أبداً.. حيث أنت،
يا نور الأنوار الأزلي.. يا رب الجميع!»[3]

وتقتبس إيثيل مانين نصوصاً توراتية وإنجيلية في سياق معالجة الصراع بين اليهود الغزاة والفلسطينيين الضحايا الذي تصوره روايتها «الطريق إلى بئر سبع».

ويرسم سومرست موم جيداً المشهد الذي تصنعه الراهبات إسهاماً في معالجة مصابي الكوليرا بالدير الذي يعشن فيه بأحراش جنوب شرقي آسيا، بما يثير التعاطف معهن، وتقديرهن إنسانياً.

وتتواتر عناصر الروح الدينية في معظم الأعمال الروائية والأدبية الأخرى التي طالعتها في هذا الصيف، وتبدو طبيعية للغاية في السياق الروائي الفني الذي ينحاز إلى القيم الدينية المسيحية والخلقية، ولا يتذمر نقادنا العرب من وجود هذا الأدب، ولا ينفعلون بسببه ويتهمونه بأنه أدب وعظي، أو أدب طائفي، أو أدب ديني، أو غيره من مصطلحات يرمون بها من يتكلم- مجرد كلام - عن الأدب الإسلامي.

لاريب أن هناك تأثيراً كبيراً لعقيدة الكاتب أيّاً كانت في عمله وأفكاره، وتصورات شخصياته، ورؤيتهم للحياة والواقع والطبيعة وما وراء الطبيعة، حتى لو كانت هذه العقيدة إلحاداً أو عدم الإيمان بوجود خالق!.

من ثم، يجب أن نؤمن بوجود أدب إسلامي، وأنه قائم في تعبير الكتاب والأدباء المسلمين مع تفاوت صلتهم بالعقيدة الإسلامية، حتى لو آمن بعضهم بعقائد مادية لا تؤمن بالوحي.

(٥)

ثانياً – تهتم الرواية الغربية عموماً بما يمكن تسميته الوصف والتصوير، فالكاتب الروائي عادة يحرص على نقل المكان والزمان والشخصيات والأحداث إلى القارئ بتفاصيلها الدقيقة ليكون القارئ على صلة كاملة بالموضوع الذي يقصه أو يحكيه.

ويمكن القول: إن الأدباء الغربيين اهتموا بوصف الطبيعة، ونقلوها إلى القارئ، وكأنهم يصورونها بآلة تصوير دقيقة لتشكل ما يمكن تسميته بشريط سينمائي مكتوب يجسد الحكاية التي يحكيها المؤلف، وتراوح اهتمامها بين نقل المشاهد بأجوائها العامة، والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة..

وقد استعانوا على ذلك بالتشبيهات والاستعارات في تقديم صور جزئية وكلية تساعد على إبراز الفكرة التي يريدون، أو المشهد الذي يصورون.

ويمكن القول مثلاً: إن سومرست موم كان يحرص على تصوير المشاهد العامة، والجو الذي تعيشه الشخصية جغرافياً ونفسياً وذهنياً، كما نرى مثلاً في الروايات والقصص التي كتبها عن جنوب شرقي آسيا، وهي في زمانه كانت تعد من الأماكن البكر التي لم يكن العالم يعرف عنها شيئاً كثيراً، وإن كان تطور المواصلات والاتصالات ووسائل الإعلام قد أسهم في تعريف الناس بهذه البيئة، وتقديم ملامحها الدقيقة جغرافياً وبشرياً وتاريخياً واجتماعياً.

في قصة «أرواح هائمة» يصف سومرست موم حركة السفينة في أحد الأنهار ومن حولها الطبيعة والبيوت في الملايو (جزء من ماليزيا الآن)، فيقول:

«وكانت السفينة عندئذ تمخر النهر، وشوهدت عند مصبه قرية للصيادين قائمة على أعمدة في وسط الماء، وقد اكتسى

الشاطئ بالنخيل وأنواع أخرى من الأشجار، امتدت وراءها غابة كثيفة. وظهر في الأفق شبح جبل يرتفع إلى السماء الزرقاء.. وأثار «نييل» هذا المنظر، فأخذت ضربات قلبه تشتد، وهو يستوعب هذه الصورة الرائعة بعينيه.. واستولت عليه الدهشة، إذ كان يتوقع أن يرى أرضا محفوفة بالأسرار، ولكنه لم يكن يتوقع أن يرى هذه السماء الزرقاء الصافية، ولا السحب البيضاء القليلة الظاهرة في الأفق، وكأنها أشرعة سفن ساكنة لا حركة فيها، تتجلى تحت أشعة الشمس.. وكانت الأشجار الخضراء في الغابة متألقة تحت الضوء الساطع، وقد تناثرت بيوت الملايو ذات السقوف المغطاة بالغاب، وقبعت في أحضان أشجار الفاكهة. ورأى نييل الأهالي في قوارب صغيرة، يجدفون وهم وقوف. ولم يخامره أي شعور بأتفه اكتئاب، بل شعر في هذا الصباح المشرق بالحرية، وأحس بالفضاء الواسع....»[٤].

ويبدو الاهتمام برصد التفاصيل الصغيرة واضحاً بشكل بارز في سرد مارسيل بروست؛ إذ يبدو اهتمامه بها مبثوثاً عبر الصفحات في وصف المكان والزمان، وحركة النفس البشرية في مدها وجزرها، والأشياء الصغيرة المتناثرة في الغرف والشوارع والحدائق، فضلاً عن تكوين الشخصيات وملامحها وسماتها...

ومارسيل بروست يبدو الملهم الرائد لنجيب محفوظ في اهتمامه بالتفاصيل في رواياته، مع أنه اهتم في الموضوع بالواقعية النقدية التي وجدها عند بلزاك وشارلز ديكنز. ويمكن القول: إن الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة

مارسيل بروست

مع وصف الأحداث التي تبدو هامشية يؤكد على قدرة الكاتب في التتبع من خلال قوة ملاحظته وحرصه على نقل الصورة التي يرسمها برتوشها جميعا..

لنقرأ بعض السطور من ملحمة البحث عن الزمن المفقود (رواية سوان):

«وقررت فرانسوا أن الجو أبرد من أن نقف فيه، لذا مشينا إلى جسر الكونكورد كي نرى نهر السين الذي تجمد، وصار الجميع حتى الأطفال – لا يتهيبون المشي فوقه، وكأنهم يمشون فوق ظهر حوت هائل يرقد بلا حراك ولا قدرة له على الدفاع عن نفسه، في انتظار أن يقطعوه إرباً. ورجعنا إلى الشانزليزيه، وقد استولت عليّ التعاسة بين الأحصنة الخشبية الساكنة والمرج الأبيض وسط شبكة من الدروب السوداء التي أخليت من الجليد، بينما التمثال الذي يعلوها يمسك بيده مدلاة طويلة من الثلج وكأنها تفسر إيماءاته، والسيدة العجوز نفسها قد طوت صحيفتها وسألت مربية عابرة عن الساعة، ثم شكرتها بقولها: ما أكرمك!

ثم رجت الكنّاس أن يطلب إلى أحفادها الحضور إليها لأنها شعرت بالبرد، ثم قالت له : وألف

شكر لك، وكم يؤسفني أن أكبدك كل هذه المشقة!؟

وفجأة انشقت السماء شطرين: فبين القراقوز والأحصنة الخشبية، وعلى صفحة الأفق المتكشف رأيت لتوي علامة إعجازية هي ريشة قبعة «الآنسة»، وها هي جيلبرت تجري بأقصى سرعتها نحوي، متلألئة وردية اللون تحت قلنسوة مطوقة بالفراء، وقد أتعبها البرد، واستثارها في الخروج وتلهفها على اللعب. وقبل أن تصل إليَّ انزلقت فوق قطعة الثلج....».[٥]

(٦)

ثالثاً – تبدو شخصية اليهودي في الروايات التي طالعتها غير سوية أو غير طبيعية في سلوكها العام. ومع أن من يتناولها من المؤلفين ينتمي إلى ديانة غير إسلامية أو قد يكون يهودياً، فإن صورة اليهودي تظهر عدوانية، أو انتهازية، أو فيها من الخبث أكثر مما فيها من الوضوح والنقاء.

تصور إيثيل مانين في الطريق إلى بئر سبع وحشية اليهودي وهو يحتل أرض فلسطين، ويقتل أهلها، ويطردهم خارج ديارهم وأرضهم، وتقدم نماذج بشعة للسلوك اليهودي في عديد من المواقف تخرجه من طبيعته الإنسانية أو البشرية.

أما ستيفان زفايج فإنه يتسلل إلى داخل النفسية اليهودية، ويكشف ميلها إلى الخداع والمخاتلة والكسب المادي بكل السبل، ومن خلال شخصية الأب في روايته «حذار من الشفقة» نجد السيد «كانيتز» الذي تحول إلى «الهير فون كيكسفايا»، وصار من كبار الشخصيات في المنطقة

التي يعيش فيها، يمارس ألواناً من الحيل والخداع حتى دخل نادي الأغنياء. كان يعمل بالسمسرة والوساطة في تجارة التحف والعاديات والتأمين عليها حتى وقع على فرصة نادرة استطاع من خلالها أن يخدع خادمة وريثة لإحدى الأميرات الروسيات، فيستولي على ضيعتها بثمن بخس، ويتزوجها وينجب منها طفلة جميلة. لقد استثمر ذكاءه وخبرته التجارية في استغلال هذه الوريثة الضعيفة التي لا تجيد الحركة إلا من خلال أسيادها، فساعدته مهارته التجارية ليكون من الأثرياء بمقابل قليل.

وكأن ستيفان زفايج أراد أن يعاقبه على خداعه فجعل فتاته الجميلة وهي في العاشرة تصاب بمرض يقعدها عن الحركة بعد وفاة أمها يستمر سنوات طويلة مريرة، وتتعرض بعدها لنهاية مؤلمة تعصف بكيانه ومستقبله.

ستيفان زفايج من الكتاب الذين رفضوا الحرب ونازية هتلر مما اضطره إلى الهرب إلى لندن، فالولايات المتحدة، فأميركا الجنوبية، حيث كانت نهايته المأساوية في البرازيل عام ١٩٤٢م، بعد أن يئس من الواقع الذي تمر به بلاده وأوربا والعالم.. ولكن ضميره الحي فيما يبدو كان أقوى من تعصبه لبني جلدته وأتباع ديانته، لدرجة أنه كان يقول: لقد كنت يهوديا بالصدفة.

أما مارسيل بروست – وهو نصف يهودي – فقد صور شخصية اليهودي سوان بطل الرواية الأولى «البحث عن الزمن المفقود» في صورة شبه غامضة،

وإن كان يتحرك في المجال الاجتماعي حركة رتيبة يحرص من خلالها على مشاركة الآخرين بانتظام، ويبدو أقرب إلى الأنانية والشك والسعي لإشباع طموحاته دون تضحيات في سبيل الآخرين!.

ولعل هذه الصور المتشابهة لليهودي في روايات كبار الأدباء الغربيين تكشف عن المشاعر الحقيقية للأوربيين تجاه اليهودي، وإن كانت الحكومات الغربية الآن تتخذ مساراً آخر يتفق مع مصالحها وسياساتها.

(٧)

لاريب أن قراءة الرواية الأوربية في نماذجها الجيدة تكشف كثيراً من ملامح الحياة الأوربية وطبيعتها بعيداً عن البهرجة الإعلامية، وما ينقله الإعلام من مشاهد سلبية في الأغلب الأعم عن السلوك والأخلاق والقيم، فمازال المجتمع الغربي يتمسك بقيم العمل والنظام والنظر إلى العلاقات الإنسانية من خلال قيم عليا وأخرى هابطة، ويرى أن هناك نظاماً اجتماعياً يرفض ما يحط من شأن الإنسان السوي، وإن كان لا يتدخل في شؤون الآخرين إلا بمقدار ما يفرضه القانون■

الهوامش:

(١) فيكتور هيجو، البؤساء، ترجمة نظمي لوقا، مطبوعات كتابي، عدد ٨، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د.ت. ص٧٩ – ٨٦ /١.

(٢) فلورنس باركلي، ترجمة نجيب ميخائيل بشارة، المسبحة، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، عدد ٥٤، د. ت. ص٢/١٢٠.

(٣) السابق، ص ٢/٢٨٨.

(٤) سومرست موم، أرواح هائمة، كتابي ٥٢، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د.ت. ص٢٦.

(٥) مارسيل بروست، غرام سوان، ترجمة: نظمي لوقا، كتابي ٢٣، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د. ت. ص ٣/١٩٤.

رثاء الأبناء

د.عبد القدوس أبو صالح

ما ينازع أحد في أن الرثاء من أهم الأغراض الشعرية، وأشدها وقعاً في النفس حتى قال فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى: «إنه أهم مناطق الشعر». وقال فيه المبرد: «وهو أكثر ما تكلم به الناس، لأنه لم يَعْدُ أحد من مصيبته بحميم، وذلك قضاء الله على خلقه. إما متعزياً، وإما معزياً، وإما متصبراً محتسباً.

وقال أبو الحسن المدائني: «كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمراثي. قيل: ولم ذلك؟ قيل: لأنها تدل على مكارم الأخلاق».

وقد سئل أعرابي: «ما أجودُ الشعرِ عندكم؟ قال: ما رثينا به آباءنا وأولادنا، ذلك أنا نقولها وأكبادنا تحترق».

والحق أننا لا نكاد نجد في الشعر أصدق عاطفة، وأعمق أثراً من بكاء الشعراء على أنفسهم حين يحسون دبيب الموت في أوصالهم، أو من بكائهم على أولادهم وهم فلذات أكبادهم، ومهوى أفئدتهم، ومصدر جاههم.

ولعل من أروع ما حفل به الشعر العربي من رثاء الأبناء ما أورده المبرد في كتاب التعازي مقدماً له بقوله: «كان بشر بن أرطاة قد قتل خلقاً باليمن.. حتى أخاض الخيل في الدماء، وكان فيمن قُتِل طفلان لعبد الله بن العباس رضي الله عنه أخذهما من الكُتّاب، فَرُوي أنه قتلهما وهما يقولان: يا عم لا نعود إلى ما تكره.

وأما الرواية الفاشية التي كأنها إجماع، فإنه أخذهما من تحت ذيل أمهما، وهي امرأة من بني كعب، ففي ذلك تقول:

يا من أحسَّ بُنَيَّيَّ اللذين هما
كالدُّرَّتين تَشَظّى عنهما الصَّدَفُ[1]
يا من أحسَّ بُنَيَّيَّ اللذين هما
قلبي وطرفي، فقلبي اليوم مختلف
يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما.
مُخُّ العظام، فمخي اليوم مزدهف[2]
نُبِّئْتُ بُسْراً، وما صدَّقتُ ما ذكروا.
من قولهم، ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على وَدَجَيْ شِبليَّ مُرهَفَةً
بغياً، كذا وعظيمُ البغي يُقتَرَفُ[3]

وإذا كان الناس قد فتنوا بدالية ابن الرومي في ولده الأوسط؛ فأين هم من قصيدته في رثاء ولده الأصغر حيث يقول:

أبنيَّ إنك والعزاءَ معاً
بالأمس لُفَّ عليكما كفنُ
يا حسرتا فارقتني فنناً
غضاً ولم يُثمِرْ لي الفَنَنُ
تالله ما تنفكُّ لي شَجَناً
يمضي الزمان وأنت لي شجن
ما أصبحَتْ دنياي لي وطناً
بل حيث دارك عندي الوطن

ما في النهار وقد فقدتُكَ من
أُنْس ولا في الليل لي سَكَن
ولقد تُسلّي القلبَ ذكرتُه
أني بأن ألقاك مُرْتهَن
أولادَنا أنتم لنا فتَنٌ
وتفارقون فأنتمُ محَن

ومن عيون المراثي ما رثى به إبراهيم بن المهدي ولداً له، وكان فيما يؤثر عنه يستحق أن يُرثى وأن يوصف، وشعره فيه -كما قال المبرد - يستحق أن يبكي القلوب، ويستدر الدموع لحسن لفظه، وصحة معناه، وشرف قائله، ومن قوله فيه:

نأى آخرَ الأيام عنك حبيبُ
فللعين سَحٌّ دائم وغروبُ[٤]
يؤوب إلى أوطانه كل غائب
وأحمدُ في الغيّاب ليس يؤوب
تولّى وأبقى بيننا طيبَ ذكره
كباقي ضياء الشمس حين تغيب
كأن لم يكن كالغصن في مَيْعة الضحى
سقاه الندى فاهتزَّ وهو رطيب[٥]
وريحانَ قلبي كان حين أشُمُّه
ومؤنسَ قصري كان حين أغيب
قليلاً من الأيام لم يُرْوَ ناظري
بها منه حتى أُعْلقَتْهُ شَعوب[٦]
كظل سحاب لم يَغِمْ غير ساعة
إلى أن أطاحته فطاح جَنوب
وكان نصيبَ العين من كل لذة
فأضحى وما للعين منه نصيب
جمعتُ أطبّاء العراق فلم يُصِبْ
دواءَك منهم في البلاد طبيب
ولم يملك الآسون دفعاً لهجة
عليها لأشْراك المنون رقيب[٧]
سأبكيك ما أبقت دموعي والبُكا
بعيني ماءً يا بنيَّ يُجيب
ومالاح نجم أو تغنّت حمامة
أو اخضرَّ في فرع الأراك قضيب[٨]
فما لي إلا الموتُ بعدك راحةٌ
وليس لنا في العيش بعدك طيب
ولا رُزْءَ إلا دونَ رزئك رزؤُه
ولو فُتنت حزناً عليك قلوب
وإني وإن قُدِّمْتَ قلبي لَعالِمٌ
بأني وإن أبطأتُ عنك قريب
وإنَّ صباحاً نلتقي في مسائه
صباحٌ إلى قلبي الغداةَ حبيب

الهوامش:

(١) تشظّى: انفلق
(٢) مزدهف: ذاهب.
(٣) الودجان: وريدان في العنق.
(٤) السح: الغزير المتتابع. الغروب: جريان الدمع.
(٥) ميعة الضحى: أوله.
(٦) الشعوب: المنية.
(٧) الأشراك: جمعَ شرك وهو حبالة الصائد.
(٨) الأراك: شجر تتخذ من أغصانه المساويك.

حين يُلتَمَسُ الوَجْدُ سبيلاً للمَجْد
قراءة في قصيدة الشاعرة نبيلة الخطيب: (هل جادك الوجد؟)

د. أماني حاتم بسيسو - الأردن

حاورتُ هذه القصيدة رَدْحاً من الزمن، فباتت أبياتها وصورها وتعبيراتها اللغوية تراودُ خاطري، وتستحثني لأكتبَ عنها، شاقني عنوان القصيدة: (هل جادك الوجد؟) في ديوان الشاعرة: (هي القدس)[1]، فكان اختياري لقراءتها قبل سائر قصائد الديوان، وما شدّني للعنوان، هو تلك المفارَقة بين (الجود) و(الوجد)، فالذي يتبادر إلى ذهن القارئ بمُجرّد أن يُطالِعَ كلمة (جادك)؛ أنّ الكلمة التي تليها ستكون سِمَتُها العطاء والبذل. واستدعى المطلع إلى ذاكرتي صدرَ قصيدة لسان الدين بن الخطيب (الشاعر الأندلسي) في رثاءِ الممالك الأندلسية:

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس

لكن كلمة (الوجد) راعتني، فالوجد هو العشق أو الظمأ، وجُودُه هو إعطاؤه الكثير والمزيد، فالعطاء هنا إنما هو مزيدٌ من المحنة والشقاء!

والقصيدة ترثي حالَ عاشقٍ مُسْهَدٍ أضناه الوَجْد وبَرّح بأضلاعه:

هل جادك الوجد والأشواق تحترق
وأمعنَ السُّهدُ في عينيكَ والأرقُ
فُديتَ من عاشقٍ لا يستقيم له
إلا التباريح في الأضلاع تختفقُ

هذه تجربة الشعراء الذين لا يصحُّ لهم إلا (الاستغراق) و(الإمعان) في العاطفة[٢]، إنها تجربة الحبّ والعشق، وهي من أرفع العواطف الإنسانية التي تتجلى فيها قيمة البذل والتفاني في العطاء[٣]، وقديماً ركّز الشعراء في مطالع قصائدهم على بثّ مواجدهم، جذباً لاهتمام القارئ، وشدّاً لانتباهه، وتحفيزاً لعاطفته، وكذا، تُثيرُ آهاتُ هذا العاشق المصاب ناراً في وجدان الشاعرة، فتشاركه بثه ووَجده على سبيل (المشاركة الوجدانية):

لِـزفـرة الآه نـار فـطّـرت كبـدي
وبـات منـها الحشـا يغلي ويستلق

وغايةُ ما تُشير به شاعرتنا على هذا الواجد المصاب، هو لملمة جراحه، والصبر على ألم البَيْنِ والفراق، والصبر بابٌ من المجاهدة[٤].

لَـمْـلـم جـراحـك فـالأيـام سـادرة
بـالـبـين تُـسـلـطـه سـيـفـاً وتمتشق
فـلا الـتـعـطـف يـجـدي في تَـودُدهـا
ولا الـتـمـاس الأمـانـي حـين نـرتـفق

هنا باتَ مصابُ الواجد مصابَها، ولعلّ الشاعرة إنّما تُناجي نفسَها، تَبُثُّ مواجعَ وجدانها، لكنّ فطرتها الإنسانية تأنس أن يُشاركها غيرُها مشاعرَها، أو كما قال أمير الشعراء (شوقي):

إن المصائب يجمعن المصابينا.

لذا رسَمت الشاعرة في خيال القارئ صورةَ العاشق المصاب الذي يشكو ألَمَه، وصورةً أخرى لِيَدٍ تمتدُّ لِتربِّتَ على جراحه، وتواسي هَمَّه، وبقولها (حين نرتفق) يبدو الهمّ عامّاً، لا همّاً خاصّاً فحَسْب، لأن ضمير الجمع يحل محل ضمير المفرد فيما يلي من أبيات: (بهجتنا، أمانينا، يماحكنا،...) وهذا ممّا يُسلّي المُصاب، والقصيدة كلُّها تسليةٌ وعزاءٌ لِكلِّ مصاب في الدُّنيا بأن له حياةً أخرى ملؤها الأمن والسعادة والعِوضُ عن مشقّة الدُّنيا في ظلِّ عالم الرُّوح حين تنطلق وتتعلَّق بالله تعالى.

والتماس الأماني غيرُ مُجْدٍ، لأن الأيام سادرةٌ تَخْبِطُ كالهائم على وجهه، فهي بيداء جرداء، بَيدَ أن أمواجها مُغرقة مُهلكة:

بـيـداء بَـيْـدَ بـهـا الأمـــواج صاخبة
جـــرداءُ يُـحـكـم في أنـوائـهـا الـغـرقُ

وتُحكِم الشاعرة تشبيه أيام المحنة في تقلّبها – بالصحراء الجرداء التي لا يقتلك مَحلُها أو جَدْبها، بل أمواجها الصاخبة التي تُوعِد المصاب بالغرق!!، وهذا بابٌ من المفارقة أو التّضاد، والتّضادُّ جمعٌ بين متضادّين لا يمكن أن يجتمعا إلا في نفس الشاعر الذي يعيش انفعالَه الخاص، وبناء التّضادّ يبلغ الغاية في التعبير عن الأسى والعذابات، والشاعر يستخدمه في قصيدته ليزيد من إحساسنا بوقع المأساة وفظاعتها – بحسب رتشاردز[٥]، وقديماً قال الشاعر: وبِضدّها تتميّز الأشياء، فالتّضادُّ يبرز الأشياء في أوج تَمَيّزها، وأخصّ صفاتها.

والشاعرة تحيل المعنى الذهني إلى صورةٍ محسوسة (على سبيل التجسيد)، إذ تُشبّه حياةَ الإنسان المادّيّة الفقيرة إلى لمسة الروح بـ (البيداء)، ووجه الشبه هو الشعور المشترك بين الحياة الجافّة والسَّيْر في الصحراء القاحلة، فتجسيد المعاني نقلٌ لها إلى عالم الإدراك الحِسّي لتقريبها إلى وجدان القارئ، وما يوحّد بين المعنى وصورته الحسيّة هو الانفعال المشترك بين التجربتين كلتيهما.

وهذا العالم المؤلم القاسي الذي برّح بوجدان المحب حتى أضناه، يستغرق وصفه معظم أبيات القصيدة، أما العالم الذي يحلم الواجد بالانتقال إليه والعيش في أكنافه فشاعرتنا تُلمِح إليه في نهاية القصيدة بألفاظ مطمئنة، فبعد أن كانت الحالة النفسية للواجد مضطربة عبّرت عنها الشاعرة بأنها (نافرة، لاهثة، عادية، تنازعنا، ينفتق،...)، باتت عقب انتقالها للعالم الآخر ذات صفات راضية: (سكن، نبع لا يغيض به ود، لا بَيْنَ نخشى أن يُداهمنا).

والعاشق في ارتقاب للانتقال من عالم المحنة إلى عالم الراحة:

هل جادك الوجد؟ هَدْهِدْ بعض ثورته
فالهدأة الحق (حين الروح تنعتق)

هذه صفةٌ للصراع بين حياة الروح وانطلاقها ونعيمها، ومحدودية الجسد ومعاناته في سبيل نيل مطالبه، وتعبير الشاعرة بحال العاشق المتعب يقرب المعنى إلى إدراك المتلقي ويجعله يعيشه، بل يعانيه، ويُدرك مدى تَوْقِ المُعذَّب المحدود بقيود الدّنيا إلى انطلاق روحه في عالم المُثل الذي لا تفنى مآثره:

هناك لا بَين نخشى أن يُداهمنا
ولا يقضّ تدانينا بها فَرَقُ

العاطفة السائدة في القصيدة، والانفعال الذي يجمع أبياتها في انسجام هو: التفاني في البذل والعطاء في سبيل الفكرة التي يعيش الإنسان لأجلها، والقيم العليا التي يبذل في سبيلها كلَّ نفيس، والتي تمثل له عالماً علوياً يرقى إليه فوق ماديات العالم الإنساني الضيق، ويحيا به في عالم روحاني يستغرق وجدانه، ويَملك عليه تفكيرَه كلَّه.

وفلسفة القصيدة تقترب من عالم الرّوح والخلود هرباً من طغيان العالم المادّي، إنها مواساةٌ للمؤمن ودعوةٌ إلى مجالدة الدنيا والاستعانة بالصبر، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ الكهف:٢٨)، والموقف الإيجابي عند شاعرتنا هو الصبر في تحدي السّلب والإحباط.

ونلاحظ أن عناوين القصائد في ديوان الشاعرة على وجهٍ عام- نابضةٌ بالشوق والحنين: (أعوذ من الهوى، يا شوق صبراً، ما غيبوك، أقرئه عني الجوى، أم ما زلت ظمآنا)... إنها رحلة المُحبِّ في دربِ الحُبِّ.

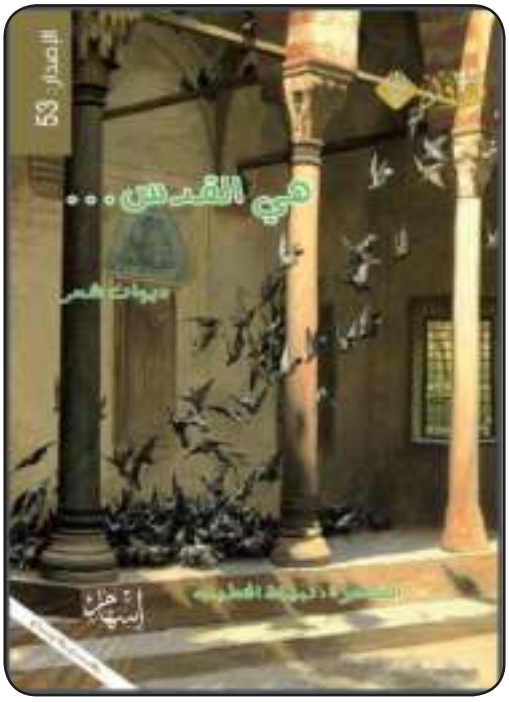

نرتدّ نبحث عن ماضٍ تنازعنا
ذكرى تفيض بنا من طيفها عبق

تساءلتُ طويلاً: ما هي الذكرى التي لا تبرح خيال شاعرتنا، ولا تنفك تتنسّم شذاها وتستروحه، وقادني التأمل – المرة تِلْوَ المرة – إلى عنوان الديوان..(هي القدس)، وهي ذكرى تسمو بشاعرتنا إلى عالم الرُّوح، وإن كانت مادّتُها من تراب هذه الأرض (بعض أديمها):

فلله أرضٌ نحن بعض أديمها
ونبض هواها في الخوافق روح

القصيدة تبدو في لوحاتٍ أربع: المَطْلَعُ حنينُ المشتاق، ولهفةُ المتوجِّع المُتألِّم الشّغِف إلى اللقاء، والشاعرة في المطلع تتحدّث للعاشق تخاطبه، وتستشفُّ آلامه، بل تُشاركه وَجدَه وحزنه، وتبيتُ زفراته تقطِّر كبدَها:

لزفرة الآه نار فطرت كبدي
وبات منها الحشا يغلي ويستلق

وتَنْحو عليه باللوم والعتاب لِشدّة ما أرهقه الوَجد واستهلك قواه، وأعتقد أن الشاعرة إنما تخاطب نفسَها ووجدانها وتواسي ذاتَها، فهي قد اشتقّت من ذاتها صورةً لِشخصٍ تُخاطبه كي يكون أبلغ في مَقام اللوم والعتاب

وتبدو إلى جوار شخصيّة الشاعرة شخوص فتية (عاهدوا الله أبراراً وقد صدقوا)، لِتَطرح في خيال المُعاتَب صورةً لِتجربةِ مَن سبقهم في الوصول:

نرتاد في زمرة الأحباب صفوتنا
من عاهدوا الله أبراراً وقد صدقوا

واللوحة الثانية من القصيدة تُركز على وصف سير الأيام السادرة التي تَخْبِط دون هدى، ولأن مَسارها غير ممهد فهي تحمل الصفة وضدها (المفارقة)، لذا كانت (صخور الهم) في مقابل (معول الصبر)، وصيغة الفعل المضارع تنبي عن أن الحزن دائب في عمله، وأن هذه سيرته لا ينفك عنها،

ومعول الصبر كم ينبو ونشحذه
فهل عليه صخور الهم تنفلق؟

والفعل (ينبو) على الضدّ من (نشحذه)، كما ورد الفعل (ترتقه) في مقابل (ينفتق)

فكلما راحت الأيام ترتقه
وهماً تضاحك منها وهو ينفتق

والإمعان هو سِمَةُ الأفعال التي تبدو واضحةً في هذه اللوحة:

يمتدُّ حزنٌ على أطراف بهجتنا
نمسي نُكفكفُه فينا وينهرقُ
له جناحانِ كالغربانِ يفردُها
تَنضمُّ فوقَ أمانينا وتفترقُ
يُطِلُّ مثلَ فضوليٍّ يُماحكنا
تطاولَ الصدرُ والكَتْفانِ والعُنقُ

(يماحكنا): يُمعن في إعيائنا ويُطيل جدالَنا فيما نحن به موقنون، ولا ينفك يحاول زعزعة إيماننا (نكفكفه وينهرق).

أما اللوحة الثالثة فهي إنكارٌ على حال مَن يتعلّق بالأوهام في دنيا لا يثق الإنسان فيها بموطئ قدميه، فكل الصور في هذا المقطع مرتبطة بالسفر والمسافر:

فما الترقب والدنيا على سفر
من ذا يلجلجها شكاً ومن يثق

وكلّ نوع من الحركات له انطباعه النفسي الخاص فكلمة (يلجلج) تحمل في جَرْسِها الصوتي سِمَةَ الاضطراب، والحركة العشوائية، بينما تُجلّي كلمة: (يثق) معنى الاستقرار والضّبط، وتوحي كلمة: (التّرقُّب) بمتابعة التّرصّد والتأمُّل المرّة تِلْوَ المرّة.

وفي هذه اللّوحة تعمل الحواسُّ كلُّها مجتمعةً: (الشمّ: عبق)، (الحركة: تستبق)، (البَصر: العيون):

نرتدُّ نبحث عن ماضٍ تُنازعنا
ذكرىً يفيض بنا من طيفها عبَقُ
تستوطنُ الشمسُ شَيْبَاً في ذوائبنا
وفي العيون لهاتيك اللظى شفقُ
فما الترقُّبُ والدُّنيا على سفَرٍ؟!
وما التّريّث والأعمار تستبقُ؟!

(تستوطن الشمس شيباً في ذوائبنا): طلوع كلّ شمس إيذانٌ بمرور الزمن، يورثنا الهَرَم، ونحن ما زلنا نتأمّل عطاءَ الدّنيا، ونترقّب النّور والشفق وإن كان نوراً ناجماً عن (اللظى) وإن كان سبباً في جَلْب الأذى لنا!، ونتساءل: لمَ جاء تعبيرُ الشاعرة باسم الإشارة (هاتيك) للمفرد المذكر: (اللظى)، عوضاً عن (ذيّاك) مثلاً، وأظنّ أنها قصدت إضمار لفظة (شُعلات) لِلّظى، كنايةً عن مجيئها على هيئة دفعات متفرقة.

واللوحة الأخيرة هي التي إليها يطمح وجدان الشاعرة: لوحة الهدأة الحق، إذ لا بَيْنَ ولا فراق:

هل جادكَ الوَجْدُ هَدْهِدْ بعضَ ثورته
فالهدأةُ الحقِّ حين الرُّوحُ تنعتقُ

(تَنْعَتِق) من محدودية العالم المادّي الذي يُقَيِّد الإنسان، إلى عالَم الرّوح بتَألُّقه وسحره، وقد كنتُ أُشفقُ عليكَ من الوَجْد، لكنّي إذ عرفتُ أنه تَعلُّقٌ بالعالم العلوي، وذُقتُ لذّة الحياة فيه، طلبتُ لكَ الصّبر عليه:

وسِمَةُ هذا المقطع الأخير جمال الألفاظ وتأنُّقها:

ويـا لـذكـرك مـن زهـر لـه عبق
يضفي على الشعر إيناقاً ويأتلق

وهذا ما يُسمّى في البلاغة بـ(التشبيه المقلوب)، إذ أضحى ذِكْرُكَ هو ما يُحَسِّن الشعر، وليس الشعر هو ما يُحسِّنه.

وتتغير صيغة الاستفهام الإنكاري (هل جادك الوجد) الذي يحمل طابع الرثاء والتأسّي لِحال العاشق المُضنى، فتتحوّل في نهاية القصيدة إلى صيغة للمبالغة (كم جادك الوجد)، لم يَعُد تَوقُ الشاعر ووجدُه مستَهجناً، إنّه انتقالٌ إلى عالَم أرحب فضاءً (حين الروح تنعتق)، إنّ الاستغرابَ كلَّه بات في قدرة الواجد على تحمّلِ ما يُلاقي في سبيل الوصول إلى عالم الطمأنينة والظَّفَرِ به، وهو الصبر، وهنا بدأت معاناة جديدة للواجد المضنى وهي معاناة السّرّ والكتمان، لأن الواجد غالباً ما يبوح بمواجده فيتصبّر على وجده بالبَوح، أما الكتمان فهو أوجَدُ وأبرح:

كم جادكَ الوجدُ اهل كتّمتَه جَلَداً؟!
فالصابرون لهم في المرتقى فَلَقُ

فالجَلَد هو مقاومة الهروب من التّحدّي والصّبر في مواجهة الدّنيا، وعدم الاستسلام إلى حين الظفَر بالعالم المثالي الذي لا يتحقّق إلا بالصبر:

ومعول الصبر كم ينبو ونشحذه
فهل عليه صخور الهمّ تنفلق

والصبر ليس إذعاناً أو رضوخاً أو استسلاماً سلبيّاً، إنّما هو ضربٌ من المقاومة، لأنها تختار لصفته قولها: (معول الصبر)، فالموقف موقف تَحَدٍ وأمل بأن تنفلق صخور الهمّ في مواجهة الصبر على أذاها.

ومن خلال القصيدة تبدو رحلة الواجد رمزاً، والرمز كشفٌ للأشياء المجهولة[٦]، ومحاولة اقترابٍ من عالم الأفكار التجريدي، وعالم الوجدان المتراحب.

والصورة التي تُهيمن على سائر الصور في القصيدة هي صورة الخيل في سباق، تسعى لِهدفٍ مُعيّن، فالشاعرة تَصِف الوجد، وهو موضوع القصيدة الأول، بقولها: (هدهد بعض ثورته).

والانفعالُ السائد في القصيدة هو الإمعان في (المعاناة)، والتّوق للانعتاق منها، والصورة الأوضح هي صورة المسافر المُعنّى، والوصية التي يتلقاها إنما هي الصبر، وصيغة الأفعال الغالبة في القصيدة صيغة الفعل المضارع الذي يُكسِب الحركة انفعالاً وحيويّة: (تظل)، (تضبح)، (تلوي)،...،أو الصّفة باسم الفاعل، الذي يؤكّد لزوم الفعل للفاعل، واستمرار الفعل: (نافرة)، (عادية)،..

وأخيراً،...

نتساءل عن مدى التقارب بين رؤية الشاعرة لصراع البشر في الحياة ونظرة الرومانسيين إليها، بأنها دربٌ شَاقٌّ على المسافر، ونظرتهم إلى صراع البشر فيها، الذي يُجلّيه قول أبي ماضي:

قـال: الـتـجـارةُ في صـراعٍ هائـلٍ
مـثـل المسـافـرِ كـاد يـقـتـلـه الظـمـا
أو غـادةٍ مسـلـولـةٍ محـتـاجـةٍ
لِـدمٍ، وتـنـفـثُ كـلّـمـا لَـهـثـت دمـا

وتَوقُ الشاعرة إلى عالم الروح هل هو نظير تَوقِهم

إلى الهروب إلى الخيال وعالم الأحلام المجهول، كما يقول أبو القاسم الشابي:

جـفّ سـحـر الحـيـاة يـا قـلـبـي الـبـا
كـــي فـهـيّـا نُجـــرّب المـــوتَ هـيّـا

فتجربة الموت بديلٌ وهميٌّ عن الحياة، وحلم الهروب طالما راود الشعراء الرومانسيين[٧]، ويفرّق إحسان عباس بين نوعين من الرومانسية ويرى أن الرومانسية قوة عضوية دينامية، ولكن بعضها إيجابي يقود البطل إلى الولادة من جديد، وبعضها سلبي يقوده إلى اليأس والانهزام والفرار من المجتمع[٨].

إنّ الرّومانسيّة في تجربة الشاعرة من النّوع الإيجابي، إنّها تَعَلُّقٌ بعالم القِيَم، وجهادٌ في سبيل الوصول إليه، وشاعرتنا مؤمنة بسبيل الصبر، وكونه طريقاً للفرج، لا مجرّد حيلةٍ يحتال بها المتصبّرون على مواجد الحياة، وهكذا، يصبح الوَجدُ طريقاً للمَجد، وحافزاً إلى عالَمه البَهِيِّ الجليل، وتتحوّل قيمةُ الوَجد من مجرّد ضعفٍ وبكاء إلى قوةٍ فاعلةٍ ناميةٍ دافعةٍ إلى العمل في شعر الثورة والثوّار■

الهوامش:

(١) ديوان هي القدس، نبيلة الخطيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت، سلسلة روافد، ط١، ٢٠١٢م.

(٢) ينظر: الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر: ٥٠٣، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م..

(٣) الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشيري:١٦٢، ١٦٣، تحقيق عبدالحليم محمود، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٤) ينظر: الرسالة القشيرية: ٣٢٤.

(٥) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي:١٦٠، دا ر النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

(٦) ينظر: الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر: ٨٧.

(٧) ينظر: نظرية الأدب، رينيه ويليك، أوستن وارين: ٣٠، ٣١، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(٨) ينظر: فن الشعر، إحسان عباس: ٤١، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٦م.

استفسار

عبد الرحيم الماسخ - مصر

أين صوتُ الحقيقةِ من صيحةٍ زائفةْ؟
أين أغنيةٌ من هدير الرصاص على الأعين الخائفةْ؟
أين نهرٌ رقيقُ الخُطا في دروبِ الحنانِ
من البحر في ثورةِ الغليانِ على شفةِ العاصفةْ؟
يتهادى الظلامُ بنا
فالمعاني هُنا لا تدُلُّ
الأغاني يُغلِّلُها الخفقانُ المُملُّ
الهواءُ على شجر الضوءِ: ماءٌ يُراقصهُ الظلُّ
والريحُ مطويّةُ الغيم تحت الفضاءِ المُهَدَّم
في لحظةٍ خاطفةْ
مَن لقلبيَ إذ مزّقتهُ الخُطا في الرمال إلى بسمةٍ
تسْحبُ العمرَ حدَّ الصِّبا
يدُها في يدِ العطرِ
تهوي، تقومُ، وتجري إلى شهقةِ البُرتُقال؟
انحنى الوقتُ بيْ وتلولبَ
فالحُبُّ في كبوةٍ يتعذّبُ بين الأسى والكمال
فكيف المقامُ؟
وفي الظلِّ أغنيتي
ودمي هائمٌ في جهاتِ التلفُّتِ
بحثاً عن الثورةِ العارفةْ.

أشباح الروهنجا

إبراهيم حافظ غريب – السعودية

وسط أزيز الرصاص وطلقات المدافع كنا نتساقى أحيانا أحاديث الحب، ونتعاطى ذكريات الغرام!!

الشتاء الأراكاني بارد وموحش، يجاوز اللحم والعظم حتى يصل إلى النخاع. ولياليه الطويلة المرتعدة تطلب الدفء المفتقد، وتبحث عنه في حرارة الموضوعات والنقاشات الليلية الساخنة. على كوننا مرابطين على الثغور المشتعلة فإننا لا نقوى أن نتجرد من فطرتنا وطبيعتنا البشرية، وأن نحمل في داخل أنفسنا مشاعر وأحاسيس إنسانية حية لا تكاد تنفك عنا بحال.

كانت قد مضت ستة أشهر فقط منذ قيام الثورة الروهنجية الشاملة التي قادتها المقاومة المسلحة من الخارج. انطلقت في البداية كشرارات اشتباك هنا وهناك، وازدادت ضراوتها يوما بعد يوم، وفرضت نفسها بقوة على أرض الواقع، وغيرت كل موازين القوى في الميادين وساحات المواجهة.

البوذيون مجردون من كل أسلحتهم، ممنوعون من لقاء رهبانهم المحبوسين داخل معابدهم؛ بعد جلساتهم الطويلة على طاولة المفاوضات مع حكومة بورما. وكانت «ضربة معلم» أحكمت الحكومة تسديدها باتجاه المتمردين البوذيين. القوات الأمنية المتناقصة يوما بعد يوم تواجه حربا عنيفة شعواء من قبل الروهنجيين؛ حرب شوارع حقيقية لا هوادة فيها.

القتلى في الجانب البورمي بالعشرات كل يوم، وجرحاهم بالمئات في بعض الأيام.. تقلصت قدرتهم على الثبات فضلا عن التقدم للأمام.. باتوا يتخلون عن أماكنهم متراجعين باستمرار.. أصبح الشبح الروهنجي مصدر رعب وتهديد دائم لهم.. يطاردهم ويتخطفهم من كل جانب، وفي كل لحظة وحين.

فجأة برز الروهنجيون على أرض الواقع وفي ميادين المواجهة وساحات القتال كتائب مسلحة

مدربة، ومجهزة بكل أدوات القتال ووسائل المواجهة في الحرب المصيرية التي يخوضونها بكل شراسة وعنف واقتدار حتى الآن.. لم يعودوا خانعين مستسلمين كما كانوا قبل ستة أشهر فقط.. لم يعودوا متنازعين مختلفين كما كانوا قبل اندلاع الثورة بقليل.. من كان يظن أن «الأقلية الأكثر تعرضا للاضطهاد في العالم» كما كانت تصفها الأمم المتحدة تواجه اليوم وحدها أعتى الأنظمة القمعية في منطقة الآسيان؟

من أين أتوا بكل هذا العتاد والخبرات؟ من أين جاؤوا بكل هؤلاء الفدائيين المغامرين؟ أين كانوا يختبئون طيلة الفترة الماضية؟ هيهات أن يجيبوك مهما سألتهم.. إنهم مشغولون الآن بتحقيق الانتصارات الحقيقية والإنجازات الميدانية بعد فظائع القتل والتشريد التي طال أمدها عليهم.. كانوا هم أنفسهم يظنون أنها كابوس أسطوري قُدِّر عليهم أن يعيشوه بلا نهاية.

– يكفيك شرفا أن تناضل معنا في سبيل استعادة حقوقنا، وأن تنقل للعالم صورة ناصعة للنضال الروهنجي عبر الإعلام الأحوازي!.

هكذا أجابني زميلي الروهنجي في المناوبة الليلية التي كلفتنا بها قيادة المنطقة لحراسة المعسكر فور توقف الغارات البورمية مع غروب شمس أكتوبر؛ ولكنه لم يبخل علي بإجابة شافية وافية، إجابة شهية ولذيذة حين سألته عن زواجه كيف تم؟

كنت في الحقيقة أريد الدخول في حياة الروهنجيين أيام سلمهم في المهاجر والمنافي، والتعرف عليهم في كل جوانب حياتهم، خصوصا فيما يتعلق بالطريقة الروهنجية المتبعة في مراسيم الزواج وطقوسه ومقدماته.. أردت أن أجري مقارنات بينها وبين طريقتنا الأحوازية الشائعة، وربما نشرت عنها تقريرا صحفيا ذات يوم..

– ما أظن أحدا من الخُطّاب ظفر بنظرة شرعية كالتي ظفرت بها؟

قالها زميلي الروهنجي منتشيا ناظرا لبعيد، كأنما يستعيد لحظاتها ويعيش نشوتها من جديد.. أثار فضولي وحرك رغبتي في معرفة الدقائق والتفاصيل.. أردت أن أستفزه ليبوح أكثر والليل يبسط رداءه المظلم من حولنا شيئا فشيئا:

– إنما هي نظرة عجلى خاطفة لا تكاد تتجاوز خمس دقائق أو أقل..

– بل هي نظرة حالمة لا تقل عن عشرين دقيقة!!

– عشرين دقيقة؟!

– إن لم تكن أكثر!

قالها وهو يمتلئ ثقة، وتلمظ، ثم أضاف:

– والأعجب أنها ليست نظرة شرعية بالمعنى المعهود، ولكن..

وهنا تردد قليلا.. فشجعته بإيماءة من رأسي وابتسامة سريعة من شفتي فأكمل:

– هي أقرب ما تكون لجلسة غرامية واعدة!

وأدركت من فوري أني على أبواب حكاية لذيذة وتجربة مثيرة وسط هذا الجو الكئيب من الحرب الروهنجية الضارية.. عدلت من جلستي، وأصلحت من هيئتي، وتوجهت إليه بكليتي، كأني أريه أني مصغ إليه بكل جوارحي وذراتي، وعزمت في نفسي أن أتركه يستفيض في الحديث دون أن أقاطعه.. فأنشأ يكمل:

– قبلها بيوم سألت أمي في السيارة وأنا عائد بها إلى البيت على مسمع من أبي:

– ماذا رأيت أمي؟

– رأيت حوراء كبيرة العينين، حسناء أسيلة الخدين، هيفاء دقيقة الجنبين!

– آه، وأنت يا أختاه ماذا رأيت!؟

– رأيت فتاة وضيئة جريئة بريئة!

– والله ما أسمع إلا إغراء يتوالى منذ اليوم، وددت لو انطلقت لأراها الآن..

وتتعالى الضحكات الماكرة من كل جوانب السيارة..

في اليوم التالي لبست جديدا وتأنقت ما وسعني التأنق وخرجت.. أخذت معي هدية: خاتما من ذهب، ومآكل ومشارب.. كان الموعد أن أصلي المغرب قريبا من بيتهم.. وجدت أخاها ينتظرني في المسجد.. قادني إلى بيتهم.. تعطرت قبل أن أخرج من السيارة.. دخلت يسبقني عطري بأمتار.. فاح في كل أرجاء البيت.. استروحته، فعلق بذهنها لأيام طويلة كما ستخبرني فيما بعد..

جلست في المجلس وحدي.. كأن ليس في البيت من إخوانها غير من قادني إليه من المسجد.. في العادة يكون أحد الكبار موجودا مع الخاطب والمخطوبة خلال النظرة الشرعية التي لا تتجاوز بضع دقائق، ولكن لحسن حظي اختلف الأمر معي وتركوني آخذ راحتي كاملة دون أي حرج أو تضييق..

فرش أخوها سفرة الطعام أمامي.. أخذت تتتابع علي الصحون والأكواب كل دقيقتين صحنا بعد صحن.. كوبا بعد كوب.. ماء.. بسبوسة.. كنافة.. بيتزا.. منفوش.. عصير.. شاهي.. إلخ..

ومضت خمس دقائق.. بل عشر.. بل عشرون.. كأنهن في حساب الإحساس أعوام وسنون.. ويطول الانتظار.. يطول ويتمدد.. وأهم بالنطق ثم أتردد.. أتحرق شوقا فأدفع نفسي وأتشجع..

أتوجس خيفة من ارتكاب زلة غير مغتفرة فأتراجع.. أظل قلقا متوترا تتناوشني مشاعر متنافرة.. كقارب صغير تتلاعب به الأمواج يمنة ويسرة..

أخيرًا أتجرأ وأنطق وأنا أتكلف الهدوء:

– ترسل إلي صحنا بعد صحن ولا تأتي.. هي من أريدها ولأجلها أتيت، لا لأجل هذه الصحون يا حميد!..

يطأطئ رأسه خجلا ويبتسم..

يضع الصحن على السفرة ويسرع إليها.. لم يمض وقت طويل حتى رأيت حركة وسمعت خشخشة من وراء الستار.. كأنها أقبلت تريد الدخول.. دق قلبي بعنف.. كأنه لم يكن يدق قبل اليوم.. كأنه يريد أن يفر.. مهلا يا قلبي الجبان.. أتريد أن تتركني وأواجه المصير وحدي وتفر؟ كن معي في هذه اللحظات العصيبة.. ساندني ولا تتخل عني.. تذهب كل توسلاتي سدى.. لا يجيب قلبي إلا بمزيد من النبضات العنيفة المتتابعة..

وأخيرا دخلت «الحورية الفاتنة»! كذلك سميتها من لحظتئذ.. دخلت وأشرقت، فإذا الدنيا غير الدنيا، وإذا الشعور غير الشعور، وإذا الفتنة أمامي قائمة تتلألأ بالحسن بهاء وجمالا، وتكاد تسيل بين يدي رقة ودلالا، وتود لو استطاعت أن تذوب حياء مني وخجلا!

دخلت مطأطئة الرأس لا ترفعه، وظلت واقفة بتأدب ولا تقعد، وآذن لها بالقعود فتقعد، وأسألها فتجيب، وأكلمها فترد، وأطلب إليها فتستجيب.. سألتها عن حالها، وعمن طبخ ما في الصحون أمامي، فأجابت بأنها هي، وكلمتها عما حدثتني به أمي وأختي من شأنها فردت بما يناسب الحال، وطلبت إليها أن تقطع لي الكعكة لآكل منها فاستجابت؛ كل ذلك بهدوء وتماسك مصطنع لا ينجح في إسدال الستار على ما في نفسها من موافقة وارتياح ورضى..

وأحدث نفسي: قد صدقت أختي.. حقا إنها لوضيئة وجريئة وبريئة، وبراءتها في عينيها حينما تشعان بلمع وبريق، وجراءتها في شفتيها حينما تنفرجان عن صوت دافئ ورقيق، ووضاءتها في خديها حينما يتوردان بحمرة وحريق!

وكنت أقرأ وأسمع من قبل أن أراها عما يسمونه: الحب من أول نظرة، وكنت أتوهم أني أفهم معناها، وأني أعرف مغزاها، فلما رأيتها، ووقع نظري عليها، وقرأت سطور الرضى في عينيها؛ أيقنت أني لم أكن أفهم معنى الحب من أول نظرة، ولم أختبر شعور الحب من أول نظرة؛ إلا بعد تلك النظرة الساحرة، في تلك الليلة الشاعرة!

وكنت قبلها مضطربا متوترا لا أسكن في نفسي ولا أهدأ، وكنت أكثر من الاستخارة مرة بعد مرة، وكنت في داخلي قلقا متوجسا لا قرار لي، فلما أشرقت علي من وراء الستار كما تشرق شمس الشتاء على صباح بارد مرتجف، ورأيتها رؤيا العين أمامي صافية بيضاء نقية؛ إذا بي غير من عرفت، وإذا هي غير من سمعت! رأيتها، فكأني لم أر قط في حياتي امرأة قبلها، وكأن الحب «الكاسح» وقع من أول نظرة حينها.

وهدأت نفسي واستقرت، وشعرت براحة واطمئنان، وشعرت أني أعرفها من قديم، وأني كنت أنتظرها من سنين، وأنها هي من كنت أبحث عنها، وارتفع عني الخوف والقلق، وذهب عني التوتر والاضطراب، وانطلقت بسجيتي أتصرف، وطفقت بعفويتي أتكلم، وصرت أحادثها مرة، وأناجيها مرة، وأغازلها مرة، وأمازحها مرة، وأشاكسها مرة. وكل ذلك محتفظا بهيبتي، متحكما في هيئتي، لا أخرج عن طوري ولا أتخلى عن سمتي.

ثم عرفت من بعد أنها جاءت وفق ما أشتهي في كثير من أمورها.. أردتها صغيرة فكانت تصغرني بعشر أو تزيد، وأردتها هيفاء طويلة فكانت كما أردت، وأردتها تمت إلي بصلة من قرابة فكانت لي قريبة من جهة أبي.

وكنت أستبطئ الوقت وأستطيله قبل دخولها، فصرت أستأخره وأتوسل إليه قبل خروجي من عندها، ولكنه لا يستجيب لي في كلا الحالين. وإذا بي أسمع الأذان أذانَ العشاء، فأفيق من ذهولي ونشوتي بما يشبه الصدمة، وإذا بي قضيت عندها وفي حضرتها مثل الذي قضيته في انتظارها، وإذا بي مجبور مضطر إلى الخروج، وإذا بي أجدني مغروسا

حيث جلست.. لا قوة لي على القيام، ولا رغبة لدي في الانصراف..

وأنتزع نفسي من مجلسي انتزاعا لأقوم، وأستأذنها لأخرج، ولكني أترك عندها قلبي الذي كان يريد أن يفر مني قبل قليل، وأدفع إليها الهدية مغلفة موضوعة داخل كيس فاخر، وأخرج مودعا وأنا أتمنى في نفسي أن لو كنت أنا الهدية نفسها؛ لأبقى عندها.. أستمتع برؤيتها، وأطرب بصوتها، وأنتشي برائحتها، وأسعد بلمساتها، وأحظى برعايتها، وأنعم بجوارها، وأبقى طويلا بحوزتها.. وأتساءل في نفسي وأنا أتحرق شوقا وأكتوي بناره المستعرة: ترى هل تتحقق الأمنية قريبا؟

وهنا قاطعت زميلي الروهنجي وقد أوشك الليل أن ينتصف، واقترب موعد تسليم المناوبة لغيرنا:

- كيف وجدتها وقد تحققت الأمنية؟

- خيرا مما كنت أمني به نفسي.. عشت معها بحمد الله في جنة الزواج الناجح المبارك طيلة عشر سنين.. عشت معها في عش زوجي دافئ يؤوي بين جنباته حمامتين رقيقتين وديعتين سعيدتين!

- فكيف هان عليك فراقها وتركها هناك، وجئت هنا لتطارد الموت في كل لحظة ومع كل طلقة؟!

كأني باغتّه بسؤالي دون أن يتوقعه.. نظر في وجهي مباشرة وأطال النظر قبل أن يقول وهو يغمض عينيه ببطء ويتخشع:

- تلك هي المعجزة الروهنجية التي لم يكن يتوقعها أحد!

وزفر زفرة طويلة، ثم أكمل وقد ظهر الإيمان في وجهه بما يقول:

- الروهنجا عاشوا سنين طويلة مسالمين وديعين صابرين سواء هنا في أراكان أو هناك في المنافي والمهاجر؛ ولكن الثورة الإسلامية وروح المقاومة لم تمت في داخلهم.. ظلت تشتعل تحت طبقات من الرماد الساخن في نفوسهم ودمائهم.. ربما كانت تترقب الفرصة المناسبة، وتتحين اللحظة الحاسمة التي أظهرتهم فجأة على حقيقتهم لكل العالم!.

وسكت بعدها سكوتا طويلا ولم ينطق، وراح ينظر إلى بعيد وهو يتأمل، ووجدتني أحترم رهبة الموقف رغما عني، وأشاركه في السكوت والتأمل! ■

حكاية الفلفل

تعرفت إلى الشيخ سلمان الحسني الندوي في مدينة الرياض العامرة، عندما كان طالباً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الدراسات العليا، ومنذ لقيته وحاورته وجدت فيه ذكاءً وألمعيةً، وروحاً دعويةً صادقةً، فأحببته كثيراً، ورأيت أنه شخص مميز، وقيادي ، وعنده قدرة على التجديد والابتكار والريادة.

وقد صدقت الأيام ظني فيه، ذلك أنه عاد إلى مدينته لكنو فبرز وأجاد، وصنع الله على يديه خيراً كثيراً.

وفي مدينة لكنو في الهند توجد ندوة العلماء، وكان رئيسها يومذاك الشيخ المربي الصالح القدوة أبو الحسن الندوي رحمه الله، الذي تعلقنا به منذ شبابنا الأول، لأننا كنا نقرأ له ما يكتب، ونتابع نشاطاته المباركة، ونشاطات ندوة العلماء التي يقودها، وهذه الندوة بمناهجها، وأساتذتها، وطلابها ومطبوعاتها، جديرة بالاحترام، لأنها نموذج كريم للإسلام السوي المعتدل، الذي يقوم على العقيدة الصحيحة، والسماحة والوسطية، وتغلب على أبنائها روح الصبر والزهد والعفاف، وحب الآخرين، وإعلاء قيمة الأخوة والوحدة، وكراهية الخلاف والجدل، والرضا بالقليل.

وشاء الله عز وجل أن أزور الهند، وكنت في العقد الخامس من عمري، لا تزال فيَّ حماسة وشباب وقدرة على التجوال، ورغبة في التعرف إلى المؤسسات الدعوية، فعزمت على الذهاب إلى ندوة العلماء في لكنو، لألاقي الشيخ الصالح أبا الحسن، أطلب منه النصح، وأرجو الدعاء، ولأشاهد الآخرين من تلاميذ الشيخ وأقاربه، وبخاصة من يعمل في مؤسسات الندوة التعليمية والدعوية، ومنهم الشيخ سلمان الذي كان من تلاميذ الشيخ وخلصائه، ومن أقربائه أيضاً، ذلك أني وجدت من العقوق، أن أزور الهند ولا أزور لكنو وندوتها المباركة وأبناءها الكرام، وقد أكرمني الله عز وجل فغلبت العقوق والكسل، وظفرت بالزيارة.

د. حيدر الغدير- السعودية

وكما هو المتوقع كانت الزيارة طيبة جداً، بسبب كرم الإخوة في الندوة، وبسبب تقارب المفاهيم الدعوية، وبسبب اليسر والسماحة وكراهية التكلف، هذا كله جعلني أشعر أني بين أهلي وذويَّ، نتحدث ونتحاور، ونتفق ونختلف، ونحن في غاية الرضا والود والصفاء.

كانت عناية الجميع بنا جيدة، ولكن عناية الشيخ سلمان كانت أكبر لقدم المعرفة من ناحية، ولنشاطاته المتنوعة من ناحية، وقد حرص على أن يطوف بنا عليها، ففعلنا ذلك، وشكرنا له ذلك.

كان من أهم ما قلته للإخوة هناك: إن العمل الدعوي ينبغي له ألا يقدس تجاربه، ولا تجارب الآخرين، وأن يمارس النقد لهذه التجارب بضوابطه الشرعية والأخلاقية، لأن الوعي بأخطاء هذا العمل الدعوي، أو ذاك؛ يعين الأجيال القادمة على تحاشيها، أما السكوت عنها فإنه قد يقودها إلى تكرارها.

ومن أجمل الذكريات الطريفة الباقية في ذاكرتي، أننا جلسنا في فناء مفتوح على شكل دائرة، وكان بجواري أخ عربي هو ضيف مثلي، وبدأ شاب هندي نابه من تلاميذ الشيخ النجباء يقدمنا إلى الآخرين، فقال فيما قال: معنا الأخوان العالمان الذكيان الداعيان، وطفق يكرر الثناء ويبالغ فيه، في جمل محكمة، ومترادفات بليغة، باهرة جداً، بديعة جداً، لقد كانت مقدرته اللغوية المتألقة تنافس فيه محبته المتألقة لنا، وقد أجاد فيهما معاً وتألق.

وقد راعني حبه الصادق الذي جعله يبالغ في الثناء، وراعتني لغته العربية بياناً وجمالاً وسبكاً، ومعرفة واسعة بقواعد اللغة نحواً وصرفاً، أما مخارج الحروف فكانت في غاية الضبط والوضوح والإحكام، حتى بدا لي أنه بلبل يغرد، قلت في نفسي يومها: هذا الرجل يجيد العربية أحسن من أبنائها، بل أحسن من كثير ممن يحملون درجة الماجستير والدكتوراه فيها.

المهم أنه حين انتهى من تقديمه لي ولأخي الجالس بجواري، طلبت الكلمة، فأذنوا لي، فشكرته شكراً جزيلاً على حسن تقديمه، وروعة لغته، ولكني عتبت عليه لأنه أسرف في الثناء، وكان ينبغي له أن يقتصد فيه، لأننا لا نستحق هذا الثناء الطويل العريض الذي أسبغه علينا.

هنا بدت لي منه ميزة أخرى تدل على ذكائه، وحسن تخلصه، وسرعة بديهته، ذلك أنه قال: إن ما يقوله الأخ حيدر يؤكد لنا صدق ما تعلمناه من أساتذتنا أن سادتنا العرب أزهد الناس في الثناء، وأقربهم إلى التواضع، لنقاء فطرتهم، وسماحة نفوسهم، وكراهيتهم للتكلف.

وأقسم إنني ازددت بما قاله حباً له وإعجاباً به. ولو أن اسمه بقي في ذاكرتي لذكرته بما يستحق من الشكر والتقدير.

انقضت الأيام كأنها حلم سعيد، وقد استفدت من آرائهم، ولعلهم استفادوا من آرائي، وأنا على ثقة أن استفادتي كانت أكبر.

كنت في هذه الأيام أنام في غرفة خصصوها لي، وكانوا يعدون لنا الطعام، وكان طيباً وكثيراً، ولكني كنت أشكو من كثرة الفلفل في الطعام، فيقولون لي: إن ذلك هو المعتاد. ولكن هذا المعتاد عندهم يؤذيني كثيراً، فأطلب إنقاصه فيفعلون، ولكني أجد الطعام بعد الإنقاص لايزال مؤذياً، فأطلب من جديد فيفعلون، ولكن بدون فائدة، ذلك أنهم قوم اعتادوا على كثرة الفلفل، فمهما أنقصوا منه يظل بالنسبة لي كثيراً، فلم أجد إلا السكوت، وكنت آكل في بعض الأحيان وفمي يحترق، وعيناي تدمعان، ومع ذلك ظللت بين الحين والآخر أذكرهم بكثرة الفلفل تصريحاً أو تلميحاً، أو

دعابةً؛ بدون جدوى، حتى عرفوا مشكلتي معه، وصبري عليه، وصارت هذه المشكلة، أشبه بنادرة طريفة، يتداولها بعضهم في سياق من الدهشة أو الاستغراب أو التسلية.

كان مسك الختام أن دعاني الشيخ سلمان لألتقي بعدد من الطلبة النابهين الذين يجيدون اللغة العربية في قاعة واسعة، وكان هذا من ذكائه، لأن إجادة لغة الخطاب من المتحدث والسامع يجعل الفهم أفضل، والتواصل أتم.

وجلسنا على المنصة هو وأنا في مقابل الطلبة، وتحدثنا وتحدثوا، وكان القبول والتوفيق والود تبدو آثارها المحمودة على الوجوه والأفواه، فلما آن وقت الانصراف فاجأني الشيخ سلمان بسؤال أمام الطلبة، فقال: قد سمعت منا وسمعنا منك، لكن لاحظت أنك لم تذكر عيباً لنا، ولابد أنا لنا عيباً بل عيوباً، فصارحنا.

هنا شعرت أن الشيخ ساق لي من حيث لا يدري مفاجأة طريفة جداً أختم بها اللقاء، وأجعل الطلبة ينصرفون وهم يضحكون.

قلت له: بل هناك عيب كبير، ولكن ليس من اللائق أن أحدثكم عنه وأنا ضيفكم الذي وجد منكم غاية الحفاوة والتكريم. قال: لماذا؟ قلت: سوف تغضبون. عندها وعدني أنهم لن يغضبوا، فأصررت على موقفي، وأصر هو على موقفه. وساد القاعة صمت ثقيل جداً، إذ توقع الطلبة أني وجدت فيهم عيباً مهماً في عقيدتهم أو سلوكهم أو نشاطهم، وأن هذا العيب بلغ من الفداحة مبلغاً يجعلني أمتنع عن ذكره.

وظل الشيخ سلمان يكرر الطلب والوعد، وظللت أتظاهر بالخشية من الغضب، حتى ذهبت الظنون بالطلبة وشيخهم إلى أسوأ التوقعات، وهذا بالضبط ما كنت أسعى إليه.

عندها وقفت على قدمي وقلت لهم: هل تعاهدونني على أن تقبلوا مني نقدي لكم بدون غضب؟ فقالوا جميعاً: نعم.

فقلت والقاعة في صمت عميق، والآذان تصغي، والعيون تنظر، ولو أنك حينها ألقيت إبرة صغيرة في القاعة لسمعت صوتها: (اسمعوها مني بغاية الصراحة، نحن ضيوفكم العرب نشكو من قلة الفلفل في الطعام)!

عندها انفجر الجميع دفعة واحدة في ضحكة جميلة بريئة، ملأى بالفرح والإعجاب. وهذا ما كنت أعمل من أجله، فما أجمل أن تنتهي بعض النشاطات نهاية سعيدة! ■

سعدي الشيرازي
صدى العروبة والإسلام في أدبه

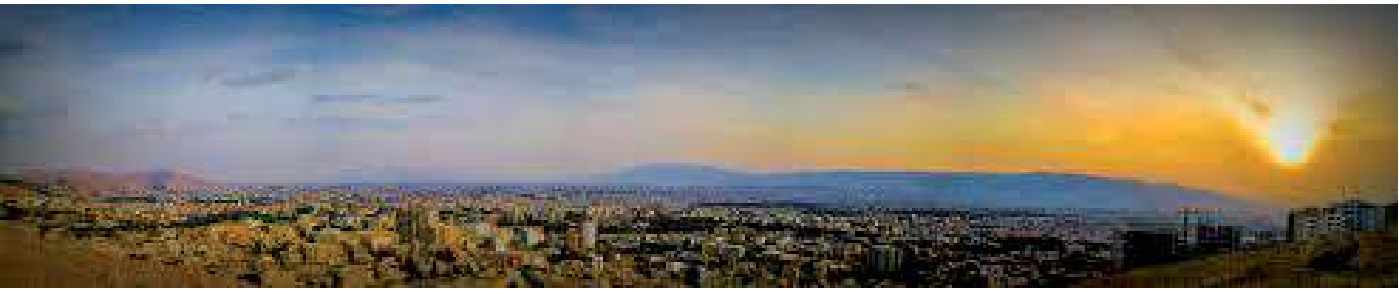

د. شفيق أحمد خان الندوي(*) - الهند

سعدي الشيرازي (١١٨٩-١٢٩١م) شاعر وأديب فارسي، تميزت كتاباته بأسلوبها الجزيل الواضح وتوافر القيم الخلقية الإسلامية النبيلة، وذلك ما جعله أكثر كتاب الفرس شعبية. عاصر محنة غزو المغول للعالم الإسلامي فاضطر إلى الانتقال من مكان إلى مكان ما بين مصر، والشام واليمن والعراق وتركيا والهند ليستقرّ آخر الأمر في مسقط رأسه شيراز. نظم الشعر بالفارسية والعربية، ومن أشهر آثاره: «كلستان» (روضة الورد)، و«بوستان»(بستان الرياحين)، و«غزليات سعدي». أمّا الآثار الأدبية التي خلّفها أديبنا الموهوب شرف الدين المصلح السعدي. المعروف بـ سعدي الشيرازي[1]، بعد استفادته من المراكز العربية والفارسية، واستقائه من المنابع العربية الأصيلة فإنّها في الحقيقة، ليست إلا صدى للعروبة والإسلام بكل ما في الكلمة من معنى.

ولد الشيخ سعدي في شيراز بفارس حيث نشأ وترعرع في بيئة غنية بالتراث العربي الإسلامي وتشبع به ونهل منه ما طاب ثم غادر موطنه إلى المدرسة النظامية في بغداد بعد وفاة أبيه عبدالله الشيرازي أحد رجال الأتابك سعد بن زنكي الذي تحمل تكلفة سفره من شيراز إلى بغداد، وقام برعايته المادية والمعنوية في أثناء دراسته في بغداد، حيث استفاد من العلامة ابن الجوزي بوجه خاص، وبعد تخرجه في المدرسة النظامية خرج الشيخ في جولات واسعة، وقام بأداء مناسك الحج والعمرة وزيارة بيت المقدس أكثر من مرة، وألقى خطبا دينية في جامع بعلبك، واشتغل بوظيفة سقاية الزوار في بيت المقدس، كما اشتغل أجيراً في البصرة.

ذات مرة كان يتجوّل في صحراء مناطق القدس فألقى عليه النصارى القبض وذهبوا به وأجبروه على

(*) نائب رئيس مكتب الهند الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية نيو دلهي

حفر خندق مع أسرى اليهود، فانزعج الشيخ انزعاجاً شديداً حتى مرّ به صديق له من حلب، وأشفق عليه، وأعتقه بفدية تعادل عشرة دراهم. واصطحبه إلى منزله، غير أنه لم يلبث معه طويلا وسافر إلى البلدان الأخرى ومنها بلاد الروم، وأقام الشيخ في مصر وبالتحديد في الإسكندرية. التي كانت في ذلك الحين من المناطق التي تعاني من الجفاف والمجاعة. دعاه أحد المخنثين المترفين إلى مأدبة غداء فرفض الشيخ قائلا: إن الأسد لا يأكل من فضلة الكلب، ويفضل أن يموت في عرينه جوعاً[٢]، ثم سافر إلى صنعاء اليمن، حيث تزوّج فرزقه الله مولوداً، ولكنه توفي في طفولته فرثاه بقصيدة رائعة[٣].

هذه ملامح شخصية لشاعرنا الأديب، وقد ألقيناعليها الضوء لكي يتاح لنا استيعاب فهم نصيبه من الثقافة العربية وعلاقته بالعروبة، ومدى إسهامه في التعبير عن القيم العربية الإسلامية، وتبيان صداها المدوي في كتاباته بصورةعامة، وهي في الحقيقة تتجلّى في ثنايا أسلوبه ومفرداته اللغوية وتراكيبه ومضامينه.

أمّا بالنسبة لأسلوبه فإنّه يذكرنا بأسلوب العصر العباسي العربي السلس المسجوع الذي تتخلّله أبيات الموعظة والحكم والنكت التي ترشدنا إلى الصلاح الشخصي والإصلاح الاجتماعي العام. نلاحظ ذلك في ديوان شعره «بوستان» (بستان الرياحين) بوجه عام، ونشعر على الأخص بتأثره بأبي الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ).

وقد ضمن سعدي شعره أمثالا عربية بصورة رائعة وممتعة، فهو مثلا يورد المثل: «إن للحيطان آذانا، فيقول:

بيش ديوار آنجه كوئي هوش دار
تانباشد دربس ديوار كوش

والمثل العربي القائل: رب رمية من غير رام، يقوله السعدي:

كاه باشد كه كودكى نادان
به غلط بر هدف زند تيري

ثم أورد مثلا عربيا ثالثا: خير الكلام ماقلّ ودلّ، ويقول:

سعديا قصه ختم كن به دعا
آن كه خير الكلام قلّ ودلّ

وروح الحرية التي تتجلى من خلال قصائده هي في كثير من الأحيان صورة طبق الأصل لسالفه

سعدي الشيرازي

المعروف بالمتنبي الذي كان يمدح سيف الدولة ويزيّن قصائده بالمواعظ والحكم والأمثال المشرقة، ويلمّعها في بعض الأحيان كذلك، كان السعدي يمدح أبابكر سعد بن زنكي، وكانت تربطه بعض المصالح بحاكم شيراز المسمّى أنيكيانو، والذي كان عاملا من عمال هولاكو، وحكم شيراز بعد تدهور الأسرة الأتابكية.

وكان أبو بكر بن سعد قد استسلم طائعا أو مكرها ورضي عنه تمام الرضا، حتى إنه أرسل ابنه سعداً بسرية إلى بغداد لمساعدة هولاكو، وأرسل تهنئة بمناسبة انتصار هولا كو على بغداد، ولكن الشيخ لم يوافقهم على ذلك، فاستيقظت فيه عواطفه الجياشة الخاصة بحب العروبة فقرض قصيدة بالعربية وأخرى بالفارسية في رثاء الخليفة المستعصم بالله، ووصف كارثة بغداد وصفا لا تزال تقشعر منه جلود القراء حتى الآن، ولم يبال بسخط سيده وممدوحه أبي بكر سعد بن زنكي والذي لم تعجبه القصيدة بالطبع، وبعض أبياتها كالآتي:

حبست بجفني المدامع لا تجري
فلمّا طغى الماء استطال على السكر

نسيم صبا بغداد بعد خرابها
تمنيت لو كانت تمرّ على قبري
لأنّ هلاك النفس عند أولي النهى
أحب له من عيش منقبض الصدر

أمّا مفرداته العربية التى تدوي على صعيد اللغة الفارسية فهي تبلغ أحياناً ٤٥ بالمئة أو٥٠، وإن حاول كاتب فارسي أن يقلل من المفردات اللغوية العربية فإنه لا يستطيع أن يستغني عن عشرين في المئة من المفردات العربية فأكثر من ثلث كلماتهم عربية ومستخدمة في الفارسية إلى اليوم، أما لغة سعدي فهي مكوّنة بوجه خاص من ٦٠ في المئة من المفردات والكلمات والتلميحات العربية إضافة إلى تراكيبه اللغوية العربية والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وآثار الصحابة، والمتابعات الشعرية العربية وتضميناتها التي تتوافر في أدبه بغزارة، وعلى سبيل المثال يقول بالفارسية:

وقت ضرورت جونه ماند كريز
دست بكيرد سر شمشير تيز

وهو ترجمة لمعنى البيت العربي:

إذا لم يكن بد إلا الأسنة مركبا
فما حيلة المضطر إلا ركوبها

ثم يقول، شعرا بالعربية كالآتي:

إذا يئس الإنسان طال لسانه
كسنّور مغلوب يصول على الكلب

وهكذا يقول بالعربية:

أقلّ جبال الأرض (طور) وإنّه
لأعظم عندالله قدرا ومنزلا

ثمّ يقول بالفارسية:

أما سمعت كلام نحيف ذكي قاله مرة لسفيه سمين: إن حصانا عربيا أفضل دوما من حظيرة مليئة بالحمير[٤].

أما بالنسبة للموضوعات التى طرقها سعدي في كتاباته فهي موضوعات اجتماعية وأخلاقية ذات صبغة عربية وهي تعبير عن الشكل القصصي الفارسي للحكم العربية الإسلامية، كما أنها محاولة لتعزيز دعائم القيم الإنسانية النبيلة، وترسيخ جذور الآيات القرآنية في نفوس القراء. وأمثلتها كثيرة لاحصر لها، ومنها:

أن فقيها قال لوالده: لا يعجبني حديث الواعظين يا أبي لعدم مطابقته لسيرهم الشخصية، يحضّون

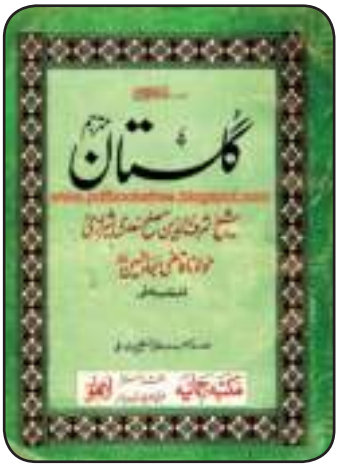

الناس على الزهد في الدنيا، ويلهيهم التكاثر في الأموال وزخارف الحياة، فلا أتاثر بشخص يقول ما لا يفعل، ألا تتذكر الآية: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾، وأضاف قائلا: إن عالم الدين أو الواعظ المنغمس في زينة الحياة الدنيا وترفها، هو ضال عن الطريق نفسه ولن يفلح في هداية أحد[٥].

قال الوالد: يابني لا يجوز لك أن تعرض عن تربية علماء الدين بمجرد هذه الفكرة الخاطئة، فمثل الذي يبحث عن معصوم عن الأخطاء ويتهم العلماء بالضلال كمثل أعمى تورط بالوحل، ونادى المسلمين لإحضار سراج للاهتداء به إلى النجاة، فسمعت ذلك امرأة ظريفة وقالت: ما ذا يفيدك سراج لا تقدر على رؤيته؟ إن مجلس الوعظ كمحل البزاز فلا تستطيع أن تنال منه شيئا حتى تنفق نقداً، ولا تستطيع أن تنال منه السعادة حتى تشارك فيه بإخلاص، وخذ ما شئت منه لاستخدامك الخاص، حسب حاجتك. فاستمع إلى حديث العالم حتى وإن كان حديثه مخالفاً لعمله، والمرء الذى يدّعي بأن النائم لا يقدر على إيقاظ نائم آخر هو مخطئ، وينبغي للإنسان أن يصغي إلى النصيحة، ويعيها حتى ولو كانت مكتوبة على جدار[٦].

وقال في مكان آخر في نفس الكتاب المعروف بـ «كلستان» (روضة الورد) إذا لم يكن لدى القريب دين ولا تقوى، فقطع الرحم أفضل من المودة في القربى[٧].

ثم قال: إنه يتذكر بأن ناقدا انتقد على بيتي هذا قائلا: بأن الله عزوجل نهى عن قطع الرحم في محكم تنزيله، وأمر الناس بمودة ذوي القربى، فهذا مخالف للآية المذكورة، فأجبته بالآية القرآنية الأخرى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾[٨]، ثم أنشد ما معناه:

«إنسان واحد عارف بالله هو أفضل من ألف قريب غافل عن الله»[٩] وذكر سعدي في كتابه بوستان(بستان الرياحين)، أنه ذكر لأستاذه الجليل أبي الفرج ابن الجوزي أن فلانا من زملائه يحسده، فقال له الأستاذ ساخطا: لم يعجبك حسد حسود حتى ذكرته الآن ومسسته بسوء الغيبة، وما أدراك ما الغيبة؟! إنها ليست أخف وزرا ومقتا من الحسد، ولئن سلك طريقاً إلى الجحيم بسبب خسته فهل تسلك أنت نفس الطريق!؟ وإذا اختار لئيم طريقه إلى النار فلسوف تصل أيضاً إلى نفس المصير بطريقة مماثلة[١٠].

وقال في رثاء مولوده الذي ذكرناه آنفا: توفي أحد أبنائي في صنعاء فحدث ما حدث علي، وخلف أثراً كبيراً على نفسي ولا أقدر على التعبير عنه، فما خلق

الله جميلا على صورة يوسف، ولم يبتلع قبر أحدا مثلما ابتلع الحوت يونس عليه السلام، ولم ترتفع شجرة سرو في حديقة إلا واقتلعتها رياح الأجل من جذورها، ولا غرو أن تزدهر الزهور في هذه الأرض، فكم من وجه ناضر مثل الزهور ينام في ثنايا تربة هذه الأرض! وقلت في نفسي: مت يا عار الرجال، فالطفل يمضي طاهرا والشيخ يمضي ملوثا، لقد التقطت حجرا من مرقده من أجل حبي له وشغفي به، فتغير لوني بسبب انزعاجي وقلقي على الوضع، وازداد ذلك خوفا من ظلمة المكان وضيقه. ولما عدت إلى وعيي، فشعرت بنداء من ابني العزيز قائلا: إذا كنت متوحشا بظلمة القبر فحذار منها ولا تأت إليه إلا بنور الأعمال الصالحة. وإذا أردت أن تنير ليل القبر كالنهار فأوقد مصباح العمل، من هنا يرتعش العامل من الحرارة خشية أن لا يثمر نخله رطبا، وكم من طامع يظن أنه سوف يتملك القمح من البيادر! وليست الثمرات، يا سعدي، إلا لمن زرعها، وليست بيادر إلا لمن كان قد غرس البذور، فمن جدّ وجد، ومن زرع حصد[١١].

هذا قليل من كثير يدلّ على توافر صدى العروبة والإسلام في أدب سعدي، وإنه في الحقيقة يعدّ أفضل ترجمان للقيم الخلقية الإسلامية النبيلة باللغة الفارسية ■

الهوامش:

(١) يقال إن المصلح لقب له نظرا لجهوده الإصلاحية، والسعدي نسبة إلى سعد بن أبي بكر بن سعد الزنكي ملك بلاده آنذاك، والذي أهدى إليه الشيخ كتابه «كلستان» (روضة الورد) واستعملها فيما بعد كاسمه الأدبي تخلصا عن اسمه الحقيقي بدون، (ال)، حسب العادة المتبعة لدى الفرس والهنود، تشير إلى ذلك مقدمة الكتاب بما فيها البيت التالي:

على الخصوص كه ديباجه همايونش
بنام سعد أبو بكر سعد بن زنكى ست

(٢) والبيت بالفارسية كالآتي:

نه خورد شير نيم خورده سكَ
كربه سختي بمبرد اندر غار

(٣) من أبياتها ما ياتي:

به صنعا درم طفلي اندر كذشت
چه كَويم كزائم چه برسر كَذشت
شب كَورخواهي منوّرچون روز
أز إينجا چراغ عمل برفروز

(٤) آن شنيدي كه لا غري دانا
كفت باري بابلهي فربه
أسب تازي أكر ضعيف بود
هم جنان أز طويله خربه

(٥) عالم كه كامراني وتن بروري كند
أوخويشتن كم ست كرا رهبري كند

(٦) كفت عالم بكوش جان بشنو
ورنماند به كفتش كردار
باطل ست آنجه مدعي كويد
خفته راخفته كى كند بيدار
مرد بايد كه كيرد اندر كوش
ور نبشت ست بند بر ديوار

(٧) جون نبود خويش را ديانت وتقوى
قطع رحم بهتر از مودت قربى

(٨) آخر الآية الكريمة (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) ينقض قوله في قطع الرحم، والاستشهاد ببعض الآية في غير محله مثل (ولا تقربوا الصلاة) وهذا لا يجوز. فالآية أمرت بالصحبة بالمعروف، وهي غير الطاعة في معصية. (التحرير)

(٩) هزارخويش كه بيكانه ازخداباشند
فدائي يك تن بيكانه كاشنا باشد

(١٠) حسودي يسندت نيايد زدوست
كر أو راه دوزخ كرفت از خسي
ندانم كه كفتت كه غيبت نكوست
از ابن راه ديكر تو دروي رسي

(١١) برآن خورد سعدي كه بيخي نشاند
كسى برد خرمن كه تخمى فشاند

قراءة نقدية في ديوان: (صهوة خيال)
للشاعر السعودي حسين بن محمد باجنيد

جاء هذا الديوان إلينا بحلة بنفسجيّة توحي بالسكون والهدوء، وتبعث فينا إحساساً دافئاً (كما قالت الناقدة خالدة باجنيد في مقدمة الديوان)، وهو مجموعة شعرية كتبت على امتداد سنوات عاشها الشاعر، فأثرته مواقفها، وأحداثها، فراح يحاكيها بلغة شفافة غنية، تضفي عليها جمالا وفلسفة ورؤى، أفتعجب بعد ذلك إذا ما قال متعجبا، وقد استنكر أحدهم عليه قول الشعر:

قالوا تقول الشعر قلت سلوهما
الحاديان.. سعادتي وشقائي
قالوا: وما تعني؟ فقلت مشاعري
برئي الذي لم تبصروه ورائي
الشعر في صدري حنين دائم
وحصار يوم كريهتي وهنائي

ويهدي الشاعر ديوانه: «لكل من يحمل معاني الحب والجمال والخير والعطاء»، وهذا الإهداء يرسم لنا خطوط الطريق الذي سنسير عليه، وهذا الطريق الذي سيمضي بنا إلى صفحات يدرك فيها الشاعر تمام الإدراك أنَّ الكلمة أمانة، والإبداع أمانة أيضاً، والشعر السامي هو الذي يؤدي حقّ الأمانتين، فلا يبخس إحداهما لأجل الأخرى، فهما كجناحي الطائر لا يطير إلا بهما!

محمد شلال الحناحنة- الأردن

نبض الأمومة:

الأم إيقاع متجدد، وهي التي تملك علينا مشاعرنا وعقولنا وقلوبنا، ننادي باسمها مع كل نبض ونفَس، إنها مدرسة في الطيب والخلق، وهي فوق العين والرأس، هكذا يشدو حسين لها في قصيدته (أمّي):

عقلي وقلبي وتفكيري وإحساسي
إليك تسبقني يا أطيب النّاس
ناديتُ باسمك يا أمّاه في ولَهٍ
هوى تردّد في نبضي وأنفاسي
صببتِ في أذني أخلاق أمّتنا
كما يصب نمير الماء في الكاس
تيهي بقلبي يا أمّاه واحتكمي
فأنت عندي فوق العين والرّاس

ويقطف شاعرنا حسين محمد باجنيد باقة من الحكمة المفعمة بالرؤى السامية، رؤى للحياة، والدنيا الفانية، من خلال بساطة في التعبير، ولغة قريبة إلى النفس فيقول في قصيدته: (احبس لسانك):

في كُلّ يوم نستضيء بشمسه
يوم يقرّبنا من الميعاد
وأخو الجهالة من يقول لنفسه
إني حديث العهد بالميلاد
فالموت إنْ يوماً أطلّ برأسه
سيحيد عنّي إنْ رأى أجدادي
وإذا به يوماً يساق لرمسه
وإذا بصوت في الفلاة ينادي
احبسْ لسانك واجتهد في حبسه
فلربّما نكبو بغير جواد

القدس الجريحة:

ولم تغب عن شاعرنا المبدع حسين باجنيد في ديوانه: «صهوة خيال» صورة الأقصى الجريح في القدس السليبة منذ أكثر من أربعين سنة، فقد مضى الصهاينة اليهود يغتالون بهاءها، ويعيثون فساداً في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأين الأمّة الإسلامية مِمّا يحدث للمسجد الأقصى المبارك؟! ومتى نشعل جذوة الجيل الذي يحرّرها؟! ومتى نصحو من سباتنا...؟! وأين مجد الأمّة وأبطالها عنها؟! هكذا يمضي شاعرنا للقدس في قصيدته (القدس):

أيقظ العين بريق من سناها
وصحا القلب على جمر لظاها
ومضى صهيون يغتال بهاها
يملأ الأرض بحوراً من دماها
إيه يا مسرى رسول الله طه
بلغت نكسة قومي منتهاها
أمتي يا قدس قد طال كراها
نسيت عزّاً به المولى حباها

ورغم هذا الأسى، وهذا الجرح الغائر، إلا أنَّ الأمّة ستصحو لتأخذ دورها، وتحقق مجدها التليد إذْ يقول:

لن ينال القدس كيدٌ من عداها
إنَّ لله جنوداً في سماها

حسين محمد باجنيد

ربّما الصوت إلينا يتناهى
فتكن صحوتنا رجع صداها

بالحب نزرع الأمل:

ويجعل شاعرنا الحب مفتاح القلوب والنفوس، ونبض الحياة، وليس غيره، فبالحب يزرع الأمل، فهو زاده إذا تكدّرت الدنيا، وهو مداده، وصفحاته المضيئة وكتابه، وربيع شبابه مع أنه دخل في الكهولة، وهو يمضي إلى أسلوب التشخيص ومزج الصور الحسيّة بالصور المعنوية عبر لغة راقية، وتعبير عفوي يدخل إلى القلوب في قصيدته: (بالحب نزرع الأمل):

طرق الباب قلتُ: من بالباب
قال طيف من الأماني العذاب

يحمل البِشْرَ في سناه ويرنو
للقاء الأحباب والأصحاب
قد ملكت القلوب يا صاح فاسمُ
بندى الحب فوق هام السحاب
صيرتني الأيام كهلاً ولكن
أنا بالحب في ربيع شبابي
هو زادي إذا تكدر زادٌ
ومدادي وصفحتي وكتابي
هو حلم الكلام طوع لساني
ولذيذ المنام في أهدابي
هو حصني إذا رمتني الليالي
بالرزايا من كُلّ ظفر وناب
إنْ رمتني الأيّام بالظلم يوماً
فمن الحب قدْ ملأت جرابي

◁◁ بعض الرّجال:

ويفتح الشاعر حسين محمد باجنيد نافذة على الهموم الاجتماعية، وهو لم يغادر الواقع الذي نعيش، هموم اجتماعية قديمة جديدة، وهو التفريق بين البنين والبنات، إذْ يغضب بعض الأزواج إنْ أنجبت امرأته البنات، وكأنّها هي التي تخلق المولود وليس الله ربّ العالمين الذي يقدّر، ويهب لمن يشاء الإناث، ولمن يشاء الذكور.!! هكذا يبدو بعض الجهلة من النّاس غاضبين حانقين، يقول شاعرنا في قصيدته: (بعض الرجال) متحسراً متألّماً لما آلت إليه أحوال هؤلاء هداهم الله:

أرغى وأزبد حانقاً إذْ جاءه الخبر اليقين
أم البنات تمخضت رحماك ربّ العالمين
جاءت بما كانت تأتي به على مَر السنين
فمضى يكيل لها السباب وكان يفعل كُلّ حين
أأظلّ أرزق بالبنات وأنت ترزق بالبنين؟
فسألته رفقاً به ورجوته أنْ يستكين
أوليس بذرتك التي أهدت لها هذا الجنين؟!

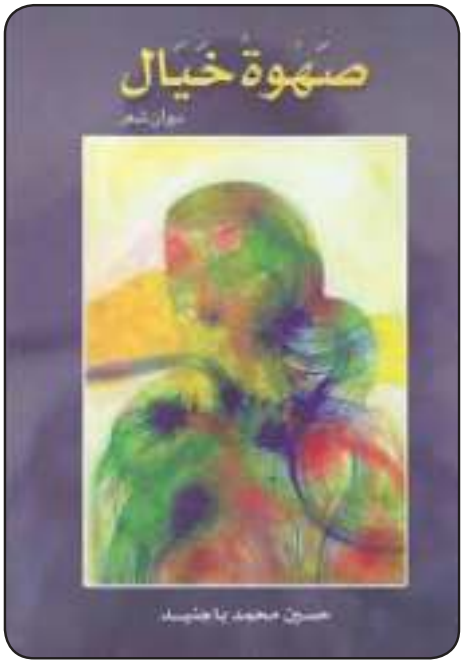

وهل حصاد الأرض إلاّ من بذور الحارثين؟
ومتى تثوب إلى الرشاد وللحقيقة تستبين؟
إنْ كنت تزهد في البنات فهن من يلد البنين
وهن فاطمة التي نشأت على نهج الأمين
وهن خولة والبتول وأمهات المؤمنين

◁◁ نداء إلى أمّتي:

ويستنهض الشاعر أمجاد الأمّة، ويستدعي تاريخ الماضي الحافل بالانتصارات والنهوض ليكون زاداً للحاضر، وكيف لا؟! والأمّة الإسلاميّة هي خير أمّة أخرجت للنّاس بنصّ كتاب الله، وهدي الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم، ولذلك يوقظ فينا هذا الحسّ الإسلامي متفائلاً بغدها المشرق بإذن الله، رغم الفرقة فيقول:

قوموا إلى غدكم من ذلّ حاضركم
وأيقظوا العزم من أسفار ماضيكم
واستلهموا من صلاح الدين عزّته
واسترجعوا نهضة كانت بأيديكم
فأنتم خير خلق الله قاطبة
وفيكم خير خلق الله هاديكم
يكفيكم فرقة في كل حادثة
وغربة عن هدى الرّحمن يكفيكم■

قويّ العزم مكتسب المعالي

د. محمد أمين الله آدمو الغمبري (*) - نيجيريا

«في تكريم الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل مؤرخاً ومفكراً وناقداً وأديباً إسلامياً».

لعلّي أرتقي قِمَمَ المعالي ... دعُوني أبتغي نزلَ العوالي

وهل لي من أخٍ واعٍ دقيق ... ينافسُ شعرُه قللَ الجبال

يبيّن لي بجِنْكَته سموّا ... حباه الله سيفا في المصال

فإن أعياه ذلك فاسمحوا لي ... أفصّله بشعري أو مقالي

وفيه أقول صدقا لا افتراء ... ومهما قلتُ فهو كما بدا لي

لَيؤسفني شديدا ما نعاني ... لدى البسطاء من نسج الخيال

نعاني من تصوّرهم شكوكا ... وشبهاتٍ تندّد بالحلال

وذاك على حساب الفن منهم ... وعاطفة مزوّرة بحال

* * *

(*) محاضر بقسم الدراسات الإسلامية والشريعة، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو كنو، نيجيريا.

عمادَ الدين إنّك أَحْوَذِيّ ... قويّ العزم مكتسب المعالي

فللإسلام عشتَ لنا أديبا ... بجمعٍ للمآثر كاللآلي

توجّه فكرَنا أدبا ونقدا ... وتُشرق في البيان وفي الفعال

ضمنتَ ردى عدوّ الله ضمنا ... تدافع دون ذلك بالنصال

وشيمتك التوسطُ في الأمور ... ونقدُك لا يكلّ ولا يُغالي

أصاب النقدَ نوعٌ من جمود ... وقُمتَ مجدّدا نقد الرجال

فعاد بناؤه ركنا أمينا ... قواعدُه الرفيعةُ في التعالي

وجدتُك في العلوم بكل معنى ... مثالا رائعا حسنَ السجال

تدينُ لكَ الفصاحة والمعاني ... وتهواك البراعة في المقال

وليس لديك شيء من غلوّ ... تؤرّخُ بالتحقق والمثال

ولا ندري التطرف منك قط ... لدى التفكير في كل المجال

تدافع عن رسول الله حقا ... وهذا خير فعلك في الفعال

❊ ❊ ❊

أ رابطتي سلام الله مني ... عليكم دائما وبلا زوال

أَقَمْتُمْ دولةَ الآداب دينا ... يدين بها الأديب بلا زُبال

ولولا جهدكم هذا، لكُنّا ... مدى الأزمان عُمْيًا في الليالي

وأسلمةُ الفنون غدتْ وجوبا ... بكل أصالة في كل حال

وتشرق شمسكم وسط النهار ... ونوركم لَيَلْمَعُ كالإلال

وجدناكم أمامَ الخير أدنى ... إلى الحسنى وأنفى للضلال

وإنا خلفكم نسعى لنبني ... صروحَ المجد في أدب الرجال

❊ ❊ ❊

من محاورات النقد (*)

عبدالنبي اصطيف - سورية

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لعلك تأذن لي بسؤال أرجو ألا يغضبك.

قلت: هات سؤالك، ولا تخافنّ غضبي، فأنا محب للأدب ومنتجيه، ولا أدلّ على محبتي هذه من انصرافي إليه في معظم ما انصرم من عمري.

قال: ما الذي يعطيكم الحق -أنتم معشر النقاد- في النظر إلى ما يكتبه الآخرون: تشرحونه، وتفسرونه، وتحكمون عليه، وعلى من خطّه أحياناً، بأهوائكم وما في نفوسكم وعقولكم من أفكار ومعايير ومقاييس وقيم ومبادئ ومثل مسبقة؟

قلت: سؤالك أهون من أن يثير غضبي، والإجابة عنه أيسر مما تعتقد، على الرغم مما ينطوي عليه من تشكيك مبطن لا مسوّغ له.

فأما حق النظر إلى ما يكتبه الآخرون فقد كفله لي حق النشر الذي منحه هؤلاء الآخرون لأنفسهم. فما دام الأدباء قد أعطوا هذا الحق لأنفسهم ونشروا ما نشروا، فإن من حقي أن أقرأه وأتدبره بكل ما تيسر لي من أدوات الشرح والتحليل والتفسير والموازنة والمقارنة، وأن أحكم بعد ذلك له أو عليه.

وأما إشارتك إلى أن حكمي قد يطال «الآخرين»، فهذا وهم أرجو أن أبدّه بالتأكيد أن جهدي النقدي ينصرف إلى ما كُتِب، لا إلى من كتب، وهذا عدل فأنا أنقد فيك ما تملك، وهو عملك، ولا أقرب فيك ما لا تملك، وهو شخصك.

وأما تعريضك بنا عندما تذكر أننا نحكم بأهوائنا، فهو نقطة ضعف يشكو منها الكثير مما ينتجه نقاد العرب وغيرهم، ولكنها قابلة للتجاوز إذا ما ترك الناقد بينه وبين ما ينقد مسافة أمان، وسوّغ أي حكم نقدي يطلقه على النص الذي بين يديه بما يكفي من أدلة نصية، أو عقلية، أو فوق نصية Extra-textual مستمدة من سياق النص الآني، والثقافي، والإشاري لما ينقده. ولا تنس أن المرء يحاكم الأمور بما تراكم لديه عبر السنين من معرفة وعلم وخبرة وتجارب، ويحكم بالتالي على ما يتدبره من نصوص استناداً إلى هذه القاعدة المعرفية التي يتفاوت غناها بين ناقد وآخر تبعاً لتكوينه الثقافي، الذي يمتد من المهد إلى اللحد،

(*) جريدة الأسبوع الأدبي العدد ١١٠٢ تاريخ ٢٠٠٨/٥/١٠م.

وعملية التعلّم عملية مستمرة، كما تعلم، ونحن نتعلّم بالمدارسة والممارسة، نتعلم من حياتنا في المدرسة والمؤسسات التربوية والتعليمية المختلفة، ونتعلم مما نكتسبه من مدرسة الحياة.

قال: ينطلق الناقد إذن من تكوينه الثقافي وخبرته وتجاربه في الحكم على نتاج الآخرين، وهذا حق وواقع لا يمكن تجاهله، ولكن هل من العدل أن نحكم على «الآخرين» بمقاييس ومعايير وروائز وقيم ومثل ومبادئ مستمدة من خبراتنا وتجاربنا التي قد تتباين وتختلف عن خبراتهم وتجاربهم؟

قلت: ربما كان في سؤالك بعض الحق، ولكن هل نملك غير ما اكتسبناه عبر سنوات عمرنا من معرفة وعلم وخبرة لنتدبّر به نتاج «الآخرين»؟ حسبنا، يا صديقي، أننا نستند في أحكامنا إلى المعرفة والعلم والخبرة، فضلاً عما يداخل عملنا من سلامة الطوّية، ونبل الغاية، وسمو الهدف. فنحن، بوصفنا بشراً، محكومون بالبحث عن هامش «الأفضل، والأحسن، والأجود، والأسمى، والأنفع» للبشرية، ولأننا نعمل فإننا معرضون للخطأ، و«أي الرجال المهذّبُ»؟ إننا نقنع بأجر واحد من اجتهادنا إن أخطأنا، ولكننا نطمح، بل نسعى، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، إلى أن نكون جديرين بالأجرين معاً، ولكل مجتهد نصيب.

قال: أنت محكوم بتكوينك الثقافي وخبرتك وتجاربك، وغيرك كذلك، وتودنا أن نغفر لك اجتهاداتك غير الصائبة عندما تخطئ، فهل نملك كذلك فسحتك ذاتها، ونطمع عندها في أجرين إن أصبنا، وأجر واحد إن أخطأنا؟

قلت: هذا عدل، وقد حرّم الله الظلم على نفسه، وجعله بيننا محرماً، ومن الطبيعي ألا نتظالم فيما بيننا، وأن نتسامى على ما يراود نفوسنا من رغبة في الظلم عندما نقدر عليه، ولنتذكر قدرة خالقنا، ونتأسَّ به وهو الخالق البارئ.

قال: إذن أنت تؤمن بأن لي حريتي ولك حريتك، أنا حر فيما أكتب، وحرّ في أن أنشر، وأنت حرّ فيما تقرأ، وحر في أن تنقد.

قلت: صدقت، ولكن تذكر أن هذه الحرية ينبغي أن تكون مشفوعة بالمسؤولية، فنحن نعيش معاً في مجتمع يقرؤنا ويحاسبنا ويكافئنا، ولا سبيل إلى تجاهل هذه الحقيقة، والأدب والنقد، كلاهما، إنشاء اجتماعي، لأنهما ينتجان بأداة اجتماعية هي اللغة الطبيعية، التي لا توجد إلا بوجود المجتمع.

قال: صدقت، ولكنك أثرت في إشارتك الأخيرة هذه شؤوناً وشجوناً، سنترك تدبرها إلى محاورة أخرى يتسع لها وقتك وصدرك.

قلت: وهل نملك غير سعة الصدر، ورحابة الأفق، وبعد النظر، نتقي بها الزلل والخطأ والإسراف على النفس■

صاحب اللواء

شادي أيوب(*) - اليونان

ارفعْ لـواءَك في الأكـوانِ خفّاقا ... واحملْ كتابَكَ للإنسانِ تريَاقا

وادعُ الحيارى إلى نهجٍ يهذبُهُم ... ولا يُميِّـزُ ألـوانـاً وأعـراقـا

وابسطْ يمينَك خُذهَا بيعةً خرجت ... منْ عمقِ أرواحِنا تهديكَ أشواقا

* * *

محمدُ الخيرِ، كلُّ الخيرِ في يده ... كمْ كـانَ للبرّ والإحسـانِ سبّاقا

محمدُ الجودِ... كلُّ الجودِ مجتمعاً ... فليسَ يخشى معَ الإملاقِ إنفاقا

محمدُ النـورِ... والإنسانُ غايتُهُ ... ألقى عنِ الناسِ أوزاراً وأطواقا

محمدُ الفكرِ.. ربُّ الناسِ أيَّدهُ ... أهدى إلى الفكرِ أعماقاً وآفاقا

محمدُ الصدقِ، حتى قبلَ بعثته ... إنْ قالَ قولاً غدا في الناسِ ميثاقا

محمدُ الحبِّ.. منْ في حبِّ أمته ... تكادُ تذهبُ منهُ النفسُ إشفاقا

محمدُ الحقِّ.. كانَ المرسلينَ معَاً ... عيسى وموسى وأيوباً وإسحاقا

محمدُ الصبرِ،كمدارىالأُلىسَفهوا ... ولـوْ يشـاءُ لـكـانَ الـردُّ إهـراقـا

محمدُ العزمِ، لو نَحكيْ شجاعتَهُ ... لم تُبقِ محبرةُ الكُتَّابِ أوراقا

محمدُ الطهرِ، روحٌ لا نظيرَ لها ... يامحضَخيرٍ،أتَىبالفعلِمصدَاقا

محمدُ البرِّ، ما جاراهُ من أحدٍ ... في حُسْنِ سيرتِه، يوماً، ولا فَاقا

* * *

محـمـدٌ ثـقـةٌ بـاللهِ راسـخـةٌ ... وكـانَ ربُّـكَ للسَّـاعـينَ رزَّاقـا

محمـدٌ، مُحكمُ التنزيلِ ثبَّتَهُ ... فكانَ أرسخَ منْ في أرضنا سَاقا

محـمـدٌ أبـلـغُ الأقـوالِ تـرفُـدهُ ... فلستَ تعهَدُ فيمَا قـالَ إطراقا

قد كـانَ مفتاحَ خيرٍ غيرِ منغلقٍ ... وكـانَ للشرِّ والإجـرام مِغلاقا
وكلمـا مـرّ يـومٌ وانـطـوى أمـدٌ ... ألفيتَ منهاجَهُ يـزدادُ إشراقا

* * *

أهـلُ الجهالةِ عـادتْ جاهليتُهُم ... وكـانَ قوَّضهَا هـدْمـاً وإحـراقـا
أهلُ الجَهالةِ لَجُّوا في ضَلالتِهم ... وهـلْ يطيقُ عبيدُ الـذلِّ إعتاقا
لو أنّ من عاندوا منهاجَهُ صدقوُا ... ما كانَ حاقَ بهِمْ، واللهِ، ما حَاقا

* * *

يا صاحبَ المشعلِ الوضّاءِ عاشقُكمْ ... عانىَ الضلالَ...ولاقَى منهُ مَالاقى
كم جرّبَ القلبُ قبلَ النورِ منْ ظُلمٍ ... كمْ زادَهُ النأيُ أحزاناً وإرْهَاقا
رأى محبَّتَـكُم نـوراً بكربتِهِ ... وأبْصرَ المَنهَجَ الوَضّاءَ، فانسَاقا
وإنّ قلبي، وإنْ طالتْ متاهتُهُ، ... ما زالَ يرنوْ لـذاكَ النّورِ توّاقا

* * *

يا آسرَ الناسِ إحساناً ومكرمةً ... أعتقتَ منْ جَمَراتِ النّارِ أعناقا
ما زالَ قلبيْ أسيرَ الجُودِ منْ يَدِكم ... كمْ رَاقَ لي مَنهجُ الإحسانِ، كمْ راقا
لا يَغلبُ الهمُّ منْ يحيا بمنهجِكُمْ ... وليسَ يَعرفُ في دُنياهُ إخفاقا
تاقتْ إليكَ نفوسٌ أنتَ ملهمُها ... أهدتكَ دمعاً منَ الأرواحِ رَقرَاقا

* * *

يا صاحبَ الهدي إنْ قصرّتُ في عملي ... فقـدْ أتيـتُكُمُ واللهِ مشتاقا
فأنتَ أكرمُ أهلِ الأرضِ قاطبةً ... بلْ أنتَ أكرمُ خلقِ اللهِ إطلاقا
أُسْـرُ الملـوكِ بوعدٍ أو بموعدةٍ ... وأنـتَ تأسِـرُ إحسـاناً وأخلاقا
حسبي بمدحِكُمُ أنّي نُسبتُ لكُم ... إنْ عَـدَّتِ الناسُ مُدَّاحاً وعشّاقا

(*) شاعر لبناني مقيم في اليونان.

قراءة في نصوص من العدد (٩٠)

من مهام مجلة الأدب الإسلامي التعريف بالأدب الإسلامي الأصيل، والارتقاء به؛ لذا تعنى المجلة - فيما تعنى - بنشر نصوص نثرية وشعرية في أعدادها المتتابعة؛ ورأت هيئة التحرير أهمية تقديم قراءات نقدية لهذه النصوص؛ للارتقاء بها، ومن جانب آخر، إكساب المبدعين الشباب مهارات الكتابة الإبداعية والقراءة النقدية.

وفي هذا العدد سأقدم قراءة سريعة لقصتين قصيرتين من القصص المنشورة في العدد (٩٠)، هما: قصة الأصم (ص:٧٠-٧٢)، وقصة انحسار (ص:٧٢).

◂◂ قصة الأصم لآمال لواتي (الجزائر):

جاءت القصة في صفحتين ونصف، تحدثت عن لقاء في مقهى يجمع بين اثنين من رواد المقهى، اعتادا الحديث، عندما يلتقيان. وكان اللقاء هذه المرة مختلفاً، فأحدهما يجلس، والآخر قدم عليه. فبدأت القصة بصمت من الأول، وانفعال من الآخر؛ ألقى التحية فلم يجد رداً، وبدأ حديثه المعتاد، واستمر صمت الأول، وارتفع صوت الآخر، وزادت حدته، لكنه عكف على قراءة الصحيفة، ثم عاد إلى مخاطبة الصامت مرة أخرى كما اعتاد سابقاً.

منذ بداية القصة عمدت الكاتبة إلى تقديم مفاجأة للقارئ تثير اهتمامه، وتدفعه للبحث عن سر هذا الصمت، أكان تجاهلاً أم غضباً أم ماذا؟

وبعد ذلك جعلت الكاتبة الشخصية الصامتة تنطق معبرة عن سر صمتها المفاجئ للآخر

د.علي بن محمد الحمود - السعودية

وللقراء في آن واحد، وتمثلت المفاجأة في فقده حاسة السمع. وبهذا زال استغراب الآخر من ذلك الصمت، والقراء أيضاً. وبدأت مرحلة البحث عن سبب الصمم المفاجئ الذي حل بجليسه في المقهى، ويشاركه القارئ في البحث عن السر نفسه.

منحت الكاتبة قصتها عنصر التشويق معتمدة على عنصر المفاجأة، من البداية إلى النهاية، فما سبب تجاهل الرد على الآخر؟ وبعد ذلك ما سبب فقدان السمع؟

سرد الأصم ما حدث له بعد ظهور رغبة الآخر في معرفة سر صممه: إنه صحفي جريء يمتلك قلمًا صادقًا حادًا، حاربته صحيفته بسبب جرأته،

والجماعات المتطرفة بسبب تعرية فكرهم المنحرف، خطفته إحدى الجماعات الإرهابية، وكادت تعدمه، لكن أحدهم مكنه من الفرار، وفي أثناء هروبه أصابته الحمى، فسقط على الأرض مغشيًّا عليه من الإعياء، ففقد سمعه وبصره، ثم عاد بصره، وظل فاقد السمع. وكانت النهاية كاشفة عن البداية.

اختار العزلة والصمت، تمنى أن يجد له كهفًا. وبدا لي أن عزلته جبرية، وليست اختيارية، كما صرحت ولمحت القاصة في أكثر من موضع؛ لأن العزلة كانت ردة فعل لخطفه ومحاولة قتله.

استعانت القاصة بأسلوب الارتجاع الفني في سرد أحداث قصتها، وهذه التقانة مكنتها من استيعاب أحداث عدة في قصة قصيرة.

عبرت القصة عن مشكلة العصر المتمثلة في الإرهاب والتطرف، والعزلة خيار تقدمه الكاتبة، لكن أين نجد ذلك الكهف؟ فالكهوف ممتلئة، كما صرحت الكاتبة في نهاية قصتها.

عمدت الكاتبة إلى وصف الشخصيات من الداخل، ولم تمنح شخصياتها أسماء، فعبرت عن مشاعر الغضب والانفعال والدهشة التي سيطرت على شخصية الآخر بصورة دقيقة.

وحضر التشويق في القصة بصورة مكثفة، فحافظ على تواتر الأحداث، وعلى الرغم من قصر زمن القصة، إذ لم يتجاوز لقاء في مقهى، فإن استعانة القاصة بالاسترجاع الفني مكنتها من سرد أحداث عدة في مدة زمنية قصيرة جدًّا.

وهكذا بدت لي قصة الأصم قصة فنية قدمت المضمون الهادف بصورة أدبية.

◁◁ قصة انحسار للكاتب محمد أحمد حمادو (النيجر):

جاءت القصة في نصف صفحة تقريباً، تحدث فيها الكاتب عن تاريخ الشيوعية من خلال الشخصية الوحيدة في القصة، وهي شخصية انتهازية انحدرت من سلالة عريقة في أفريقيا، كان عميلًا، تدرب في إحدى الدول الشيوعية، وعاد إلى أفريقيا رئيسًا لدولة ناشئة فيها. وفي النهاية قرر العزلة في إحدى المغارات، وكانت نهايته، بعد إعلانه موت الشيوعية في بلاده.

والجامع بين هذه القصة وسابقتها خيار العزلة، في السابقة – كما بدا لي – كانت العزلة إجبارية، أما في هذه القصة فكانت اختيارية.

بدأت القصة بضمير الغائب، ثم أمسك الشخصية الوحيدة بزمام الأمر، وسرد الأحداث، معتمدًا ضمير المتكلم.

الشخصية في القصة شخصية انتهازية؛ عملت كل شيء للوصول إلى أهدافها، وتحقق لها ما أرادت. وجاء تحولها مفاجئًا، دون مبررات فنية. وهذا متوقع؛ فالموضوع غير مناسب لقصة قصيرة في نصف صفحة.

وأشير هنا إلى أن نجاح القصة لا يتطلب أن تقدم الموضوعات الكبيرة والشخصيات المشهورة، فالمهم طريقة المعالجة■

تلميذي القَبيليّ..!

سماح أحمد سالم بادبيان- اليمن

مررت بإصبعي على الشاشة المضيئة أمامي، أقلب آخر الأخبار على صفحتي في الفيس بوك، وأقرأ ما كتبته أنامل أصدقائي، ومواقع الأخبار التي أتابعها أحيانا..

كل الصور حالمة تختال في ألوانها الزاهية، تمر أمامي كأحلام وردية في ليلة هادئة.. إلا صورة واحدة، انتصبت أمامي بقوة، وجثمت على قلبي وكأنها يد غول كبير شقت عن صدري واعتصرت قلبي بقبضتها القوية، قبل أن تنبش بعنف أحداثا قبرتها في ذاكرتي منذ فترة طويلة!!

أغمضت عينيَّ لأستيقظ من هذا الكابوس الذي اقتحم فجأة سلسلة الأحلام الوردية في الليلة الهادئة.. وفتحتهما. كان أمامي ليس كما رأيته أول مرة واقفا بكبرياء بقميصه الأبيض المصفر من كثرة ما غُسل ولُبِس خلال السنوات الماضية، وسرواله البني المهترئ و(صندله) القديم المقطوع حزام إصبعه..!

سألته حينها عن حذائه؟ فأجابني بثقة:

- أنا قبيليّ يا أستاذ، والقبيليّ ما يلبس الأحذية!

في عينيه العسليتين بريق خاص، تتهادى بين أطراف أجفانه كلمات عجزت يومها عن قراءتها!

كان يومي الأول في مدرسة القرية قادما من العاصمة، وكان هذا تلميذي (سالم).

ثم رأيته مرة أخرى بين طرقات سوق القرية يتسلل كقط صغير ناكس الرأس، منكوش الشعر، حاشرا جسده النحيل كعود قصب يابس طلته الشمس بطبقة نحاسية صفراء بين عربات باعة الطماطم والبطاطس، ومفارش الرمان المنتشرة في أوج موسم زراعته في القرية، بيده اليسرى كيس كبير يجره خلفه حيثما انحشر!.

غرقت في تأمله متناسيا غرضي من زيارة السوق، لمحت يده اليمنى تتحرك سريعا ملتقطة أشياء من الأرض يدسها مباشرة في كيسه، يتحرك في كل الاتجاهات كصياد يطارد فريسة هاربة، أبى إلا أن يعود بها.

تواريت عن أنظاره خشية أن يخجل عندما يرى معلمه الجديد يكتشف أسراره، وهو القبيليّ صاحب الكبرياء..!

لكنه قال لي عندما رآني أراقبه في مرة أخرى في السوق:

– أنا أعمل تاجر خردوات يا أستاذ (أبو اللغة العربية).

كان يجمع علب البلاستيك الفارغة، والعلب المعدنية، وأسلاك الكهرباء، والقطع النحاسية والحديدية... وكل ما يمكن أن يباع ليكتسب منه (لقمة شريفة) على حد وصفه!

لم يخفت بريق عينيه لحظة واحدة، حتى وهو يتهجأ كلمات عبارة (أنا طفل سعيد).. ولا يستطيع قراءتها..!

راودني حينها إحساس بأن الكلمات صعبة عليه لانفصالها عن واقعه.. بيد أنه لم يكن يحسن القراءة والكتابة كما تبين لي بعد ذلك..

ثابرت لأجعله يحب اللغة، كوني (أبوها) كما كان يطلق عليّ تلاميذي في المدرسة، فلم أفلح إلا في جعله يتهجأ أسرع مما كان!

أراه يسحب كيسه الفارغ في طرقات السوق بعد المدرسة.. وأراه يحمله على كتفيه ممتلئا عند الغروب.. تخط مؤخرة الكيس المثقلة خطا متعرجا على الأرض تبعا لمشيته المتعثرة، متطاولة بحجمها وطولها على قامته النحيلة الصغيرة..

أراه الآن على شاشتي مختلفا!! ممددا فوق كيس يشبه إلى حد بعيد كيس تجارته.. وخطان أحمران يمران على وجهه: الأول من طرف شفته إلى ذقنه، والآخر من ثقب صغير في جبينه ممتدا إلى عنقه.. وبجانبه تمددت بندقيته الكبيرة! أردت أن أرى بريق عينيه.. لكنهما كانتا مغمضتين!.

عندما رأيته آخر مرة كانت عيناه مطفأتين بلا بريق.. واقفا بقميصه الأبيض المصفر وسرواله البني المهترئ، ممسكا ببندقية كبيرة، وقد وضع مؤخرتها على الأرض وأمسك بطرفها الأعلى، فبدا بجانبها كقزم.. وقد تطاولت بقامتها المتعجرفة على قامته!!

كنت قبلها ألقي درسا في المدرسة، عندما قال لي تلميذ نبيه لاحظ سؤالي اليومي في الأسبوع الماضي عن تغيب سالم، فأدرك اهتمامي الخاص به:

– سالم يا أستاذ جندوه في الحرب!.

بدوت كالأبله وأنا أردد باستغراب كلمة

(جندوه؟!) وكأنها كلمة جديدة أضيفت إلى قواميس اللغة حديثا فلم أفقه معناها.. فأضاف التلميذ النبيه متحذلقا بأنه يعرف معنى كلمة لا يعرفها (أبو اللغة العربية) نفسه:

– يعني أعطوه سلاحا، وأخذوه يقاتل في الجنوب..

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أخوض في غمار طرقات

القرية الموحلة بعد أن غزتها الأمطار القوية المصاحبة للبروق والرعود منذ أسبوع، فاستقبلتها الأرض بصدر رحب، كأم تتحمل بصبر صراخ طفلها العنيد، ثم تمتص غضبه ودموعه بضمة حانية إلى أحضانها!!

تركت صفي خلفي.. وعلى السبورة عنوان الدرس الذي لم أشرحه: (بالعلم نبني الأوطان)!! وأسرعت راكضا إلى منزله الذي أحفظ الدرب السالك إليه تماما خلف أسوار مزارع سيد القرية. كان أمام باب منزله وبجانبه أمه العجوز وإخوانه الخمسة، يختال في مشيته أمامهم جارا حمله الحديدي الثقيل بعزم..

وقفت أمامه لاهثا، فتوقف وأسند بندقيته على الأرض، وسألني باستغراب:

– أستاذ أبو اللغة العربية.. لم أتيت؟!

اجتاحني سؤاله كفيضان يعبث بالأغصان النامية، فيقتلعها، ويجرفها في طريقه، وقد كان غصنا ناميا أتعهده بصبر، فاجتاحني فيضان الحرب الأهلية لتجرفه من طريقي إلى طريقها!

(لم أتيت؟!) أيهمني أمر طالب مهمل قال لي يوما بفخر (أنا قبيليّ)؟ أم تراها نظرات عينيه التي تحمل أسرارا لم تقرأها عيناي بعد.. ساقتني للاهتمام به دون غيره؟ أم هو الشقاء الذي جمعنا في ظله، وحرمنا الإحساس بالطفولة معا.. إذ كنت يتيما مثله!؟

مات أبي، وتركني أعتني بأسرة كبيرة من ثلاث أخوات صغيرات وأم ثكلى وجدة مريضة.. سلكت دروب الشقاء والعمل صغيرا لأطعم الأفواه الجائعة المنتظرة في المنزل، تارة أعمل حمالا في المرفأ، وتارة أغرس أقدامي في الأرض الطينية الخصبة، أبذر وأبتل مع مزارعي القرى المجاورة لمدينتنا، وأحيانا أطوف الأسواق بكيسي الكبير أعمل كما قال تلميذي القبيليّ يوما: (تاجر خردوات!).

عندما أقف أمامه أرى نفسي متوارية خلف جسده، كما يتوارى البدر خلف الغيوم في الأيام الماطرة، والفرق بيني وبينه أني أخذت نصيبي من التعليم بقوة، فقد رأيته الخلاص والباب الذي سأفتحه لأخرج من عالم الشقاء إلى الرفاهية، هذه الكلمات كانت في الأصل الورث الذي أورثنيه والدي، بينما أورثه والده (القَبَيلة)!

سألته عن السلاح الذي يحمله فقال:

– أنا سأقاتل!

– ومن ستقاتل؟

رأيت في عينيه المنطفئتين ذهولا ممزوجا بالحيرة، وكأنما فَجَأهُ السؤال، أو كأنما هو شيء بديهي لا يُسأل عنه!.

وأجابني بتردد بعد فترة من التفكير بدت واضحة على معالم عينيه التي بدأت أجيد قراءة لغتها السرية:

– الأعداء.. أقاتل أعداء الدين والوطن.

– ومن هم؟

لم يحر جوابا.. أدركت أنه لم يلقن جيدا الكلمات التي تلقن عادة للمجندين عن مغزى الحرب.. وماهية الأعداء؟ وليس ذنبه أنه لم يستفسر أكثر، فليس إلا طفلاً لم يكمل بعد عامه الثاني عشر!!.

فحوّلت سؤالي إلى أمه التي انتحت جانبا تنقل نظراتها بيننا في صمت:

– لماذا ترسلينه إلى الموت؟

– لا أرسله للموت، وإنما أرسله ليدافع عنا!

– يدافع عنا ضد من؟

ترددت قليلا قبل أن تقول:

– الأعداء.. أعداء الدين والوطن!

الأعداء..!

أهـذه هي الكلمة الوحيدة التي لُقّنت لهم؟.. أيعقل أن تقتنع أم بإرسال طفلها لساحة الحرب من أجل هذه الكلمة الفضفاضة التي هي كبقعة عمياء في كون مضيء؟!

ولم تلبث حيرتي طويلا إذ جاءني الجواب في كلماتها التالية كسيل من الطلقات المتتابعة ربما كانت أول وقود الحرب:

– لقد دفعوا لنا ديته، وأعطوه (ربطة فلوس) ليعيش بها.

كانت تتكلم بعبارات متتابعة من دون أن تتيح لي فرصة للرد.. وكأنما أرادت أن تخفي نبضات قلبها الهلوع على فلذة كبدها خلف كلماتها الواثقة.. فنبضت كلماتها بالهلع رغما عنها، وانبثقت الحروف والكلمات متقطعة مع أنفاسها وهي تقول:

– السيد حكم أن يخرج من كل بيت رجل وهو رجلنا وأكبر إخوته، فسرى الحكم عليه.

–.....؟!

– يقاتل الأعداء ويعود لنا بالخير إن شاء الله.

كل كلمة قلتها بعد ذلك ذهبت أدراج الرياح، وتلاشت بعد اصطدامها بكلماته المكررة لكل سؤال أسوقه له:

– أنـا قبيليّ يـا أسـتـاذ.. والقبيليّ مـا يخاف الحرب!.

لم تفلح محـاولاتي في ثنيه عن الـذهـاب، فقد كان منتشيا بإحساس الرجولة المبكرة، غير مدرك لما ينتظره، وخلف تلك العبارة المقيتة: (أنا قبيليّ يا أستاذ).. طوى صفحة طفولته!.

أمـا أمـه فتوارت خلف باب دارهـا، ولم أرهـا أو أسمع لها صوتا حتى عندما جاءت السيارة، وانتزعته من بين أنظاري إليها، ولم تستطع عبارة: (أنا قبيليّ يا أستاذ) أن تخفي البريق الذي لمع لوهلة في عينيه عندما أدارها للمرة الأخيرة ناحية منزله وإخوته – قبل أن تبتعد السيارة – وانحدر برفق على وجنته في صورة دمعة حمّلها كل ما تبقى له من براءة!!

وكان هذا آخر عهدي به إلى أن انتصبت صورته أمامي الآن في الشاشة من أحد مواقع الأخبار.. بخطين أحمرين يخترقان وجهه، وسلاحه الكبير ممدد بجانبه بعجز، واقتحم الصورة بعشوائية في طرفها الأيمن على حين غفلة من المصور (صندل) قديم بحزام مقطوع!! ■

رمضان كريم

(كبسولة مسرحية)

المشهد الأول

(الزوجة تنظف ردهة منزلها المتواضع)

الزوج: (يدخل متهللا) أبشري يا زوجتي العزيزة يا وجه السعد.

الزوجة: أسعدك الله.

الزوج: أسعدني ربي وأرضاني بسعة من الرزق ربحت اليوم رزقا حلالا لم أربحه طوال عمري.

الزوجة: هذا أثر تقوى الله والإخلاص في العمل.

الزوج: أخلصت في العمل حتى تعبت ولا أحتاج الآن إلا إلى قليل من الراحة.

الزوجة: اذهب إلى فراشك ولن أقلقك.

الزوج: سأفعل بعد أن أعطيك هذه النقود لحاجات البيت... فهل تكفي؟

الزوجة: تكفي وتفيض.

الزوج: (يعطيها المزيد من المال) أما هذه النقود الكثيرة فهي لرمضان.

الزوجة: رمضان؟

الزوج: نعم لرمضان (مرهقا) دعيني أذهب.

(يذهب الزوج للنوم وتعود الزوجة إلى أداء أعمالها المنزلية وتتوقف حين تسمع طرقا على الباب)

الزوجة: من الطارق؟

رمضان: رمضان.

الزوجة: إنه صاحب النقود(لنفسها) هل أوقظ زوجي؟(تتراجع) كلا لن أزعجه (تفتح الباب).

رمضان: جئت طالبا صدقة.

الزوجة: (تعطيه النقود) هذا لك.. تفضل.. تركه زوجي.

رمضان: (مترددا) لكن يا سيدتي ربما كان زوجك...

الزوجة: (تقاطعه) زوجي نائم الآن

محمود كحيلة - مصر

وأفضل ألا أزعجه، إن أردت لقاءه.. فعد في وقت لاحق (**تغلق الباب**).

الزوج: (**يلقاها**) مع من تتحدثين؟

الزوجة: إنه رمضان جاء وأخذ المال.

الزوج: المال الذي تركته معك؟

الزوجة: نعم.

الزوج: (**مندهشا**) كنت أعني أن ندخره لشهر رمضان.

الزوجة: سامحني يا زوجي الكريم. لقد اعتقدت أنها صدقة لأجل الرجل الذي جاء يطلبها... حسبتك تتصدق بقدر ما أعطاك الله كعادتك.

الزوج: نتصدق بكل هذا المال دفعة واحدة ونحن فقراء.

الزوجة: كلما زاد العطاء كثر الثواب.. أنت من علمني ذلك.

الزوج: (**راضيا**) نعم.. هو كذلك ما أعطانا الله خرج لله، وعنه نعوض إن شاء الله.

(إظلام)

المشهد الثاني

(المنزل نفسه، الزوج حزين)

الزوجة: لا تحزن إن الله معنا.

الزوج: أقعدني المرض عن السعي للرزق.

الزوجة: رزق المرء يأتيه في كل الأحوال.

الزوج: (**يتذكر**) رغما عني كلما احتجت إلى مال تذكرت ما تصدقنا به لرمضان.

الزوجة: مضى على ذلك أعوام وأعوام.

(طرق على الباب يتقدم الزوج ويفتح)

رمضان: هلا سمحت لي بالدخول؟

الزوج: تفضل.

(يدخل رمضان ومعه حقائب)

رمضان: أنا رمضان يا سيدي.. تبدل حالي بأمر الله وبفضل. صدقتكم الكريمة.. صرت أغنى الأغنياء.

الزوج: مرحبا بالضيف العزيز.

رمضان: اليوم في هذه اللحظة النادرة أحسبني أسعد خلق الله..

الزوج: أسعدك الله.

رمضان: من فضلك اسالني عن السبب.

الزوج: ما السبب؟

رمضان: السبب أنني اليوم سأرد بعض جميلكم الذي طوقتم به عنقي سنوات وسنوات.

الزوج: الأمر لا يستحق يا سيدي.

رمضان: لقد جئتك من أقصى الأرض كي أرد وديعتك التي أصبحت أموالاً لم أحصها ولم أعدها وهي مرتبة في هذه الحقائب.

الزوج: كل هذه الحقائب بها نقود لأجلي.

رمضان: نعم إنها بضاعتك ردت إليك. وهذا أقل القليل جزاء كرمك وإحسانك.

الزوج: لكن هذا كثير.

رمضان: إنه حقك، لقد استثمرت أموالك فأثمرت رزقاً واسعاً من عند الله اقتسمناه.. أنا نظير عملي وأنت جزاء صدقتك، التي لم أنصرف من خلف بابك حتى علمت أنك رضيت أن آخذها، فهل ترضى الآن بهذه القسمة؟

الزوج: نعم أرضى دائما بعطاء الله.

رمضان: أما أنا فقد أنجزت مهمتي وانتهت زيارتي فاسمح لي بالرحيل.

الزوج: اذهب في حفظ الله.

(ينصرف ويغلق الباب بينما، يسجد الزوج شكرا لله).

(تمت)

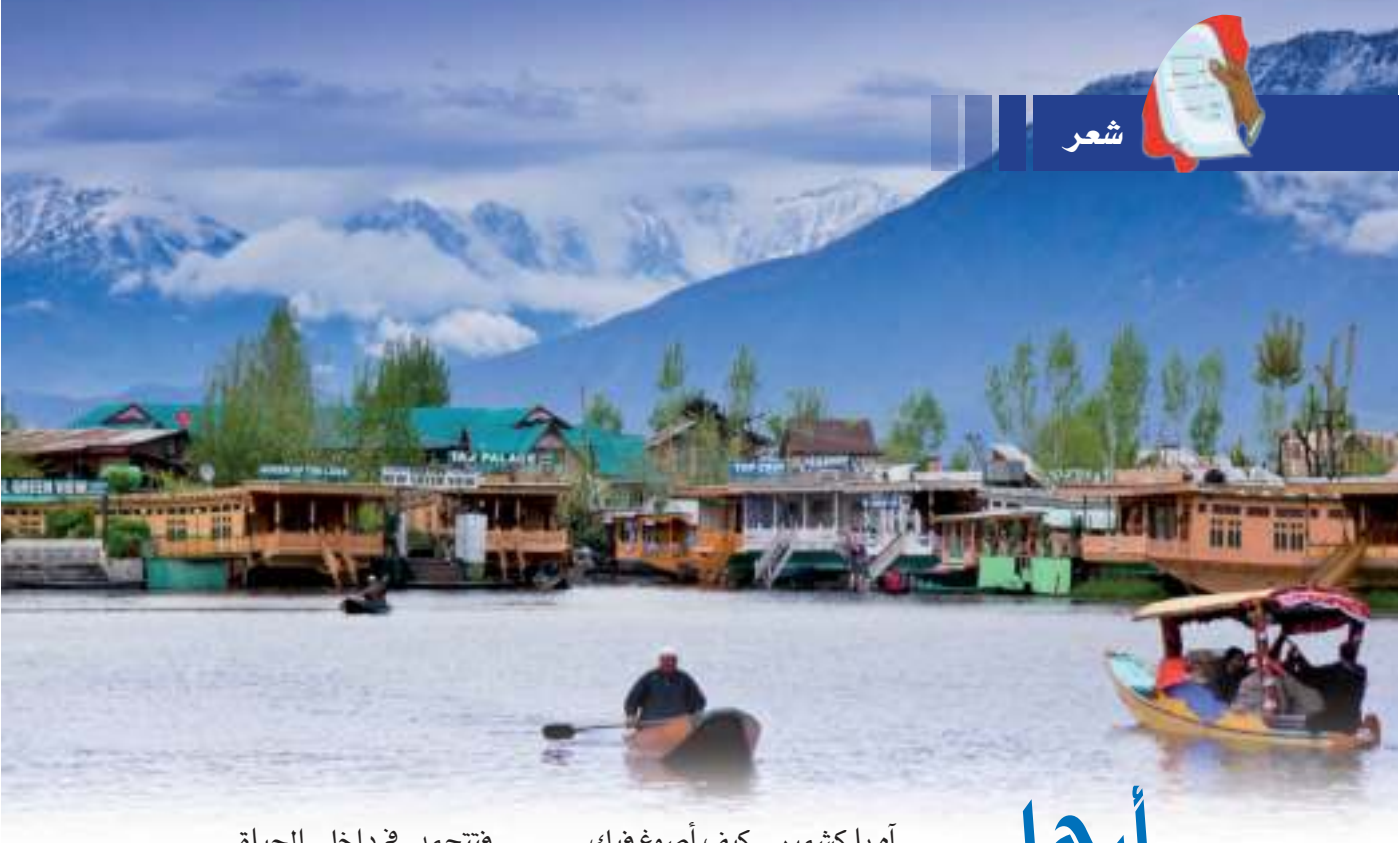

أيها الظالم! بدأ ليل الظلم ينجلي

سيّدة نسرين نقاش(*) - كشمير
ترجمة: د. سمير عبدالحميد - اليابان

آه يا كشمير.. كيف أصوغ فيك
القوافي؟!
وبأي كلمات شعرية عن شجوني
أوافي
كيف أعبر عن داخلي
عن مشاعري
عن كل ما هو خاف؟!
آه أيها الوادي المظلوم.. إلى متى
إلى متى تحيا هكذا
كحزين مهموم.. مهموم؟
إلى متى تعاني جراح العبودية
وتكتنف ربوعك رياح السموم؟
آه يا كشمير.. يا وطني
ها أنا أحسب الساعات
لكل آت
أعد الأيام.. أتأمل لونك
فتتجمد في داخلي الحياة
وكأن كل شيء فيّ
وفيك يا وطني قد مات
لكني - يا وطني - علي أن أعيش
لأرى بعيني أحزانك
لأراك مغموما مهموما..
فأطلب العون بالدموع في العيون
وأنا أرى العيون بالدموع ملأى
والجفون..
أنت يا وادي كشمير وطن الحسان
أنت وطن البلّور والزمرّد
والعقيق
أنت وطن المها، وطن الأحجار الكريمة
للخواتم والأساور
لا وطن الرقيق
أنت وطن من يضارعن

(*) سيدة نسرين نقاش أديبة تقرض الشعر بالأردية، وترسل قصائدها من تحت ظلال المدافع وطلقات البنادق، رغم حظر التجول في شوارع مدينة سري نكر raganirs حيث تعيش الأديبة في كشمير القسم الخاضع للهند ،وتعبر نسرين نقاش في الأبيات التالية عن مشاعرها الفياضة.

في حسنهن القمر
من هنّ كالبدر المنير
يبعث من بعيد البريق
من هنّ كالسّحَر المطل بنوره
يُنجي من الليل الغريق
أنت يا وطني..
وطن الشهيد
يا شهيد الأماني:
أنا أختك أعلم ما في قلبك
من حرقة.. من أحزان
أعرف ما في قلبك من
أمنيات الآلام والأشجان
أعرف كل الأشياء
داخل عيونك الندية
فجسدك كَسَته حُمرة الدماء الذكية
من غارة الكفر
من خداع الخبثاء
من الظلم والقهر
من الغم، من الهم
من تبجّح الأعداء
أراك من مدة يا وطني
سقيماً، عليلاً، قلقاً
ظالموك يحاولون أن يسكتوا
فيك الكلمات
لكن هيهات هيهات
فأيام الظلمة معدودة
والنور بلا شك آت
يا فجر الوطن المظلوم
ظلمة الليل تحاول أن
تخترق النور فيك
وهذا خبر شاع
صار حكايات في كل مكان
في الشوارع وفي الحارات
حتى في الموحل والمهجور
من الخرابات
اليوم يُنتهك موضع العفة فيك
يا وطني..
تتساءل.. ما شق صدرك؟
لكنها أيام معدودات
وينفضّ حفلُ اضطرابك
فحفلك يا وطني إلى فوات
فها هو فتاك المجاهد..آت
بكفه الروح لا يبالي بالممات
واضطراب الطوفان
خفّت شدّته والموج العالي
شفّت حدته
والسفين في الخضم ماض
تراءى له الساحل
من بعيد
فيا أيتها السماء
أنصفي أهل الجنون العقلاء
فحتى الأطفال في وطني
صاروا شعلاً تضيء
في الرمضاء
تجلب الصبحَ إلى الوادي
تبعث الأمل
في قلوب البؤساء
سترفرف راية الحرية
في بلدي.. في وطني كشمير
وسيخرج من مكمنه
من كان بلا مأوى
وعلى أرض الوادي
سيسير
ويعود إليه من سُلب الدار
يعود الكل إلى كشمير
فها قد بدأ كل مجاهد
يعلن عن نفسه
يتحسس في طاقة أنفه
ريحَ الجنة
لا يأبه قهر الظالم، فشهيدك
يعشق لونَ الحنّة
وقافلة الحرب تنطلق
بصوت مهيب عظيم له رنة
يدوي في الوادي
يثير الأنهار
يهز البوادي
يا وطني..
ها قد بدأت دماء النار
رحلتها
انطلقت في البحر المالح
كالشرار..
جذوتها
فانظر.. انظر أيها الظالم
فقد بدأ ليل الظلم ينجلي
يكشف عن كل غدار..
فاذهب.. ارجع إلى بلدك
وحذار!
فدماء شهيدي فنار
اذهب واسكن في وطنك
فوادي «نسرين» ليس بواديك
وادي «نسرين» للظلم دمار
جنة كشمير ليست لك ...
جنة وطني للغاصب نار.

صورة المرأة في الرواية الإسلامية

أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية أنموذجاً

إعداد الباحثة: مريم محمد اليامي - السعودية

صارت الرواية اليوم منافسًا للشعر، حتى بتنا نسمع من يردد أن هذا هو زمن الرواية، وأنها ديوان العرب الجديد. وقد دار حول هذا القول جدل بين كثير من النقاد لإثبات وجهة نظرهم، لذلك اهتم بها النقاد، وانصرفوا إليها دراسة وتحليلاً، إضافة لما وجدوه فيها من عوالم غنية أغرتهم باقتحامها.

يرجع الاهتمام بالرواية؛ إلى أنها تعبر بجلاء عن هوية الكتاب وانتماءاتهم، وهي مصب خلاصات آرائهم العقدية والاجتماعية والعاطفية، والشخصيات في الرواية ناقلة لأفكار مختلفة، ومحط اهتمام النقد الأدبي، وقد غدت المرأة على وجه الخصوص، الشخصية الأكثر حضورًا في الأعمال الروائية، ولذلك فإن البحث في «شخصية المرأة في الأدب الإسلامي» لايعكس بالضرورة شخصية المرأة المسلمة في الواقع؛ إنما يعكس الصورة التي أبرزها الأدباء لهذه الشخصية، وأفترض ابتداءً أن يكون الأدباء قد صوروا المرأة أفضل صورة سواء أكانت شخصية رئيسة في الرواية أم ثانوية.

من هنا كانت أهمية هذه الدراسة التي تهدف إلى تصوير الأدباء الإسلاميين لقضايا المرأة ومشكلاتها في أعمالهم، وذلك بالدرس النقدي المتأني العميق الذي يحلل صورة المرأة في الرواية الإسلامية متخذة من أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية أنموذجًا للدراسة.

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى محاولة إغناء الجانب النقدي ودراسة الشخصية الأنثوية وتسليط الضوء عليها، فقضايا المرأة من أكثر القضايا التي ساهمت بشكل كبير في الحراك الثقافي، وكذلك كانت من أدوات الغزو الثقافي والفكري؛ إذ سخرت صورتها في بعض الروايات للإثارة والإغراء وإفساد القيم.

وترجع أهميته أيضا إلى عدم وجود دراسة بحثية – فيما أعلم- تستأثر بدراسة صورة المرأة في روايات أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ولعلي رأيت أن الموضوع قد يكون من الجدة بمكان.

يهدف هذا الموضوع إلى إبراز أهم قضايا المرأة التي تناولتها الرواية الإسلامية، وعرض أنماط شخصية المرأة في الرواية الإسلامية وتحليلها، بغية الكشف عن جوانب القوة والضعف فيها، وتحليل العلاقة القائمة بين صورة المرأة والأحداث والشخصيات الأخرى.

ويهدف هذا الموضوع أيضاً إلى الكشف عن علاقة المرأة بعناصر الرواية وعلاقتها بالزمان والمكان.

ومن خلال بحثي عن النتاج الروائي لأدباء الرابطة والدراسات النقدية التي تناولت ذلك النتاج، لم أقف على دراسات تحدثت عن (صورة المرأة في الرواية الإسلامية، أدباء الرابطة أنموذجاً)، لذلك عقدتُ العزم على دراسة صورة المرأة في الرواية الإسلامية، دراسة نقدية، متخذة من أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية أنموذجًا للدراسة.

وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة وفيها تناولت: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته، وتناولت في التمهيد لمحة عن صورة المرأة في الرواية العربية، ولمحة عن رابطة الأدب الإسلامي، وأبرز كتابها.

وفي **الفصل الأول** تحدثت عن قضايا المرأة، متناولة القضايا الدينية والاجتماعية والوجدانية.

وفي **الفصل الثاني** درست أنماط شخصية المرأة في الرواية بدءًا بالمرأة أما، ثم زوجةً، وابنةً، ثم المرأة أختًا، وانتهاءً بمبحث خصص لأنماط أخرى من شخصية المرأة وهي الجدة والعمة والمعلمة والخادمة.

عالجت في **الفصل الثالث** تصوير الحدث في شخصية المرأة الرئيسة، بدراسة أنواع الحدث، ثم بنائه.

وفي **الفصل الرابع** تناولت علاقة المرأة بعناصر الرواية، وقد تضمن أربعة مباحث. وقد أفردت المبحث الأول لدراسة علاقة المرأة

بالأحداث، على حين تناول المبحث الثاني علاقة المرأة بالشخصيات. أما المبحث الثالث فعني بدراسة علاقة المرأة بلغة الرواية، متضمنًا علاقة شخصية المرأة بالسرد والحوار والوصف، وقد عُني المبحث الرابع بدراسة علاقة المرأة بالزمان والمكان.

وفي **الخاتمة** خلصت إلى عدد من النتائج مكللة ببعض التوصيات، وألحقت بالدراسة ثبتًا بالمصادر والمراجع، وفهرسًا بمحتوى البحث.

وقد قامت هذه الدراسة على عشرين رواية من روايات أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد حرصت في اختيارها على عدة أمور منها:

- اختيار أدباء من بيئات وأقطار عربية مختلفة.
- اختيار أدباء من أجيال مختلفة.
- اختيار روايات متفاوتة في المستوى الفني، لما وجدته في تلك الروايات من فنيات تستحق الدراسة.

والروايات التي تم اختيارها للدراسة هي: الإعصار والمئذنة: د.عماد الدين خليل. والبيت الدافئ، وهيفاء تعترف لكم: خولة القزويني، والثعابيني، والغيمة الباكية: عبد الله عيسى السلامة، وحكاية عفاف والدكتور صالح: بهية بوسبيت، وخبايا القدر: لبابة أبو صالح، ودفء الليالي الشاتية، ومهما غلا الثمن: د.عبد الله العريني، والزمن المفقود، ومارد في صدري: نعماء المجذوب، وسمية: نزار أباظة، والعائدة: سلام أحمد إدريسو، وعلى المحك: صورية مروشي، ولن أموت سدىً: جهاد

الرجبي، ونفق المنيرة: حسني سيد لبيب، والوجه المكسور، وياحرام: ابتسام شاكوش.

وتوزعت هذه الروايات جغرافياً على العراق، وسورية، والكويت، والسعودية، ومصر، والمغرب، والجزائر.

وقد سرتُ في هذا البحث وفق المنهج الفني بما يقتضيه من تحليل وموازنة، ومحاكمة للأصول الفنية للرواية، بالإضافة إلى المنهج التاريخي، ويقتضي كل منهما الاستقراء والتحليل والموازنة؛ وصولاً إلى إبراز صورة المرأة في تلك الروايات.

الخاتمة:

وقد أفضت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- تناولت الروايَة لدى أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية بعض قضايا المرأة الدينية، بالإشارة العابرة الخاطفة؛ وعبرت عنها من خلال موضوعات الرواية المختلفة التي تصدر جميعها عن التصور الإسلامي، وصححت في أثناء هذا العرض العابر كثيرًا من المفاهيم والقيم المغلوطة.
- إن أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية لَم يهملوا معالجة الموضوعات العاطفية الوِجْدانِية، ولم يَرَوْا أنها بعيدة عن دائرة الأدب الإسلامي، فصوروا عاطفة الحُب العفيف الصادق دون انحطاطٍ وإسفافٍ، وذلك مِنْ خِلال التزامهم الداخلي. وبذلك يؤدي الأدب دوره الإصلاحي التربوي بأسلوب بعيد عن المباشرة والتقريرية.
- صورت الرواية لدى أدباء الرابطة القضايا الاجتماعية والوجدانية ولم تقتصر على معالجة القضايا الدينية فقط، وفي هذا رد عملي على من يظن أن الأدب الإسلامي محصور في تصوير الجانب الديني.
- تعددت أشكال شخصية المرأة التي تناولتها الرواية لدى أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فجاءت أما وزوجة وابنة وأختا وصديقة وجارة، كما تنوعت الأحداث التي قامت بها، والأفكار التي تبنتها.
- يلاحظ الاختصار والإيجاز في رسم البعد الخارجي الجسدي، عند تصوير شخصية المرأة إلا بقدر ما يتطلبه الحدث، دون الخوض في وصف الشكل، ومكامن الجمال أو الإثارة.
- اتسمت علاقة المرأة بالأحداث بأنها علاقة تبادلية، فتأثرت المرأة بالحدث وأثرت فيه، واختلف التأثر والتأثير من شخصية إلى أخرى.
- نلحظ أن المرأة حققت حضورًا كبيرًا ومؤثرا، فكانت علاقتها بالشخصيات الأخرى قائمة على علاقات تبادلية، فتظهر مؤثرة ومتأثرة، منسجمة ومصطدمة، وذلك بحسب طبيعة المواقف التي تريد الرواية تقديمها.
- اتسمت العلاقة القائمة بين الشخصية والزمان والمكان بأنها علاقة تبادلية حيوية وفاعلة ومؤثرة ومتأثرة.

وأخيرًا، فإن هذه الدراسة النقدية لا زالت بحاجة إلى مزيد من التعمق في جوانب شخصية المرأة في الرواية، وإيلائها اهتمامًا كبيرًا، فعلاقة المرأة بالزمان والمكان يصلح موضوعًا لدراسة علمية، وعلاقة المرأة بعناصر الرواية يمكن أن تخص بدراسة عميقة.

وقد نوقشت الرسالة يوم الأحد ١٧/ ٥/ ١٤٣٦هـ، في كلية اللغة العربية، قسم النقد والبلاغة ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وحصلت الباحثة على الماجستير بتقدير جيد جداً. وتكونت لجنة الحكم من الأساتذة: د.وليد قصاب مقرراً، ود.علي الحمود عضواً، ود.الجوهرة آل جهجاه عضواً ■

الحلم الوردي

د. عبدالله رمضاني - المغرب

بعد غيبة طويلة قضاها في تيه النسيان، عاد إلى وطنه الحبيب الذي طالما سكن فؤاده وكيانه، ولم يغب لحظة عن وجدانه وذهنه، عشقه عشقا لا نظير له، وأحبه حب الأمومة والأبوة.

عاد من رحلته الطويلة وكله آمال عريضة في ملاقاة ومعانقة هذا الوطن العزيز. كم كان يتمنى أن يقرأ على صفحات كتابه ما كان يصبو إليه وتنشده كل المجتمعات!. يحب أن يرى بمقلتيه ما يبعث على الارتياح والطمأنينة والأمان.

عاد وهو ينوء بحمل ثقيل من الماضي مازال يعتمل في صدره، ومخلفات تركة إرث بائد تضغط على نفسه بجروحها واندمالاتها، وأمور أخرى من شدة وطأتها وكثرة ذيوعها وانتشارها كان قد ألفها، واعتاد احتمالها، وصارت شيئا عاديا وطبيعيا.

إن عبق تراب وطنه وبلده سرى في عروقه وتحلل في دمه، فصار يشعر أنه يحمل بلده بين ضلوعه وجوانحه، وصار يقرأ مجده التليد في قلبه، وصفحات فؤاده. كان يود أن يرى موطنه جنة فوق الأرض.

فسفره أرهق نفسه وأضناها، وأرقه ألم البعاد والفراق وأشقاه.

عندما جثمت الطائرة على أرض المطار، رأى لافتات كبيرة معلقة في أعمدة عالية مكتوب عليها بخط بنفسجي في إطار وردي جميل عبارات:

مرحبا بجاليتنا العزيزة، حللتم أهلا، ونزلتم سهلا، ونحن في خدمتكم بعدا وقبلا.

وكان في استقبالهم خدم يطوفون بأكواب وأباريق من الحليب، وآخرون يحملون أطباقا من التمر والفواكه اليابسة، ووجوههم وُسمت عليها ابتسامة عريضة ولطيفة تعبيرا لهم عن مدى ترحيبهم بهم في أرض وطنهم.

أما موظفو المطار فقد ذللوا لهم كل الصعاب، وبسطوا لهم مسطرة العبور والتفتيش وكلهم أدب واحترام ووقار، ومن خلال شكلهم وهيئتهم تبدو علامات الحفاوة والاهتمام البالغين، يتنقلون من مكان إلى آخر بكل نشاط وحيوية، وحركاتهم كانت تومئ بلطافة الحياة ونضارتها.

كل من هناك كان يسعى جاهدا في خدمتهم وإراحتهم من وعثاء السفر ومشقته، وإحساسهم بمشاركتهم ومقاسمتهم ألم البعاد والوحشة في ديار الغربة. ومما زاد ذهوله توظيف مكثف لآلات وأدوات وأجهزة إلكترونية متطورة جدا كانت تعمل بدقة مدهشة في تسيير وتيسير الأعمال وخدمات المسافرين.

كانت أرضية المطار تلمع نظافة، وجدرانه تتلألأ جمالا، ومرافقه تزدهي أناقة وتنظيما. وقد نُصبت في كل ركن من أركانه باقات من الزهور والورود مختلفة الأشكال والألوان والرائحة.

لم يصدق المسافر ما تراه عيناه، وظن أن الطائرة قد أخطأت في الوجهة الصحيحة المرسومة لرحلتها. لأنه لم يعهد مثل هذه المراسيم اللافتة للنظر، وهذه الأشكال من التنظيم والاستقبال والجاهزية التي خلبت لبه، واسترعت اهتمامه. وفي داخله بدأت تنقشع سحب الغربة والصورة السوداوية التي كانت متربعة على وجدانه، وجاثمة في صدره.

بعد خروجه من فضاء المطار، ركب سيارة أجرة مريحة وجميلة الشكل، تعبق منها رائحة طيبة ومعطرة، وسائقها كان شخصا محترما، يرتدي زيا أنيقا، ولسانه شهد يقطر عسلا وحلاوة ولطافة، حيث لا يناديه إلا: سيدي الفاضل، طلباتك أوامر، أنا في خدمتك..!

سار في اتجاه الطريق الرئيسي المؤدي إلى المدينة، وبينما هو كذلك، لاحظ أن الطريق قد اتسعت وصارت تستوعب خطوطا كثيرة لسير السيارات بدل خط واحد كما كانت من قبل، وعلى جنبات الطريق انتصبت أشجار ونباتات كثيرة ومتنوعة مصطفة بروعة كأنها وقفت تنتظر غائبا عزيزا لدى عودته، ووضعت إلى جانبها لوحات كبيرة مزركشة بالألوان مكتوب عليها بخط كبير وبارز: مدينتك ترحب بك..

على امتداد الطريق كان المسافر يرتشف نسيم مدينته العليل، ويتناول بنهم شديد جمالها الأخاذ، ويغترف بيديه نضارتها وأريجها الفواح. وبين فينة وأخرى كان يسأل السائق: هل هو فعلا في مدينته وبلده!؟ والسائق كان يستغرب من طرحه هذه الأسئلة مرات عديدة، حتى ظن أنه أركب معه شخصا غريبا عن البلد، وربما تكون هذه المدينة ليست وجهته المطلوبة.

حار السائق في أمر هذا المسافر، لكنه لم يكن يدري أن هناك أمورا لا يعلم كنهها وحقيقتها، وليس بمقدوره أن يطلع عليها رجما بالغيب، لذلك كان يجد في صمته خير وسيلة لإخراس كل تهيؤاته وتساؤلاته. المهم عنده هو إرضاء الزبون، وجعله يسعد بأحلى الأوقات واللحظات وهو على متن سيارته.

عندما أشرفت السيارة على المدينة، أخذ المسافر يطل برأسه من نوافذها، وفي بعض الأحيان كنت تراه يكاد يخرج كل جسده منها، فقد بهرته مناظرها، وأذهله عمرانها وشكل هندسة مبانيها، وسحرته حدائقها وروضاتها، وأدهشه انتظام شوارعها ونقائها ونظافتها، فقد بدت عروسا في ليلة زفافها.

انتشى المسافر بهذه المظاهر الجميلة للمدينة، وطربت نفسه لذلك وطابت، ورددت أعذب ألحان مشاعرها، وغنت أشدى كلمات الروح والأحاسيس. ولما تراءت له مداخل المدينة عن كثب حسبها زهورا وورودا منتصبة في أبهى المدائن، وخيل إليه أنه يسير بين جنان الأندلس، أو غوطة الشام.

نزل من السيارة التي كانت تقله وتقدم بخطا حثيثة ونشيطة نحو منزل أسرته، وهو لا يعرف من أين سيبدأ الكلام مع أفرادها، فربما يكونون هم الآخرين قد تغيروا وتغير ما بهم، وتجسدت فيهم

معالم الحضارة الإنسانية الراقية التي تنشدها كل الأمم والمجتمعات.

تخيل مرور الأيام وهو على هذه الحال يتقلب في خمائل هذه النعم الوردية، ويرفل في الفيوضات الأريجية، لا يعرف طعم الاستقرار، ولا يهدأ له بال، يتنقل من مكان إلى آخر مستطلعا ومستكشفا، ويلتهم

الصحف والمجلات صباحَ مساءَ، مستمتعا بكل ما في المدينة، وما في أرجاء وطنه. فقد كان يتوق بلهفة وشوق إلى معرفة كل شيء عنه، منتهزا مدة إجازته السنوية.

ها هو ذا بلده قد تغيرت أوضاعه ، وتحولت فيه نظم العيش وأساليب الحياة رأسا على عقب، وتبدلت بنياته التحتية إلى الأحسن، وضُخَّت في جسده دماءٌ جديدة طاهرة ونقية، أعادت إليه الحياة من جديد، وجعلته يعتلي الصدارة في مصاف الدول الرائدة والطليعية في مختلف المجالات.

لقد رأى العدل يعم البلاد..، والناس أصبحوا متساوين كأسنان المشط، فأنصف المظلوم، واقتص من الظالم، وأعين الضعيف، وأخذ بيد الفقير، وانقرضت رموز الفساد، وامحت مظاهر البؤس، وحُفظت حقوق أفراد المجتمع، واحتُرمت كرامته، ووفِّر له العيش الكريم، وصار الجميع يعلم ما له وما عليه من حقوق وواجبات.

ووجد الأمن والأمان يدبان فوق أرض وطنه، والسلام والاستقرار يشقان الطريق في كل الأرجاء، وساد بين الناس الفضيلة، وشاعت أسباب التعاون والتسامح والتآخي والتضامن والتكافل والتآزر. لم يعد في ظل هذه القيم والمكارم الأخلاقية بواعث للتطاحن والصراع، وحب الذات والأنا المفرطة. لقد تمثل له بلده كالمدينة الفاضلة أو المدينة المثالية، فانتزع منها أسباب الاندحار والهلاك وشق الصفوف، والعبث بمصالح البلاد والعباد.

وبينما كان في أوج سعادته امتدت إليه يد زوجته فأيقظته من سباته العميق، فتبعثرت أحلامه الوردية على وقع صوتها الخشن، وهي تلح عليه بالنهوض، لأنه قد تأخر عن عمله، وتحذره من أن يطرد أو يفصل عنه، وذكرته أن كوخه الصغير يحتاج إلى إصلاح فموسم فصل الشتاء قد اقترب أوانه، ومصاريف الأولاد الدراسية على الأبواب، والديون المذلة مازالت تنتظره لسدادها!.

عبس في وجه زوجته وقال في حسرة وحنق: يا له من حلم وردي جميل!. ■

قراءة في كتاب

أدب الأطفال العربي في الهند

(للأستاذ سيد محمد طارق الندوي)

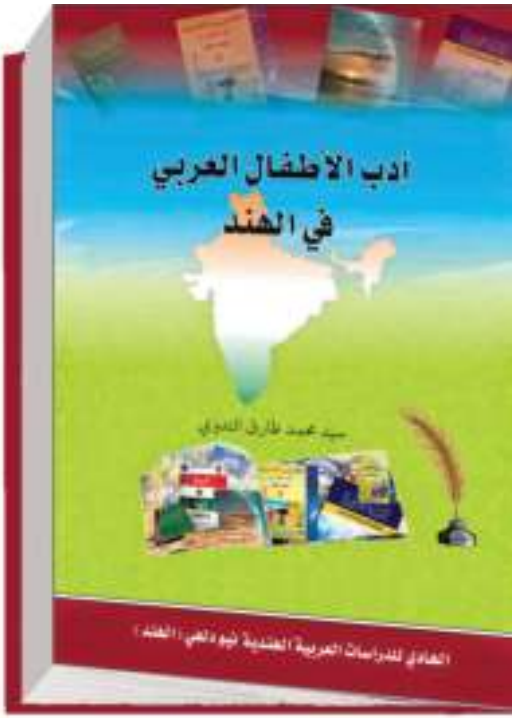

يحتل أدب الأطفال مكانة مرموقة عند المهتمين بالتعليم والتربية، لأنه يؤدّي دورا مهما في توجيه الأطفال وتحديد مسارهم التربوي، بما في ذلك تزويدهم بالقيم، والشعور بالحب والكراهية بين الأشياء حسب المحتوى الذي يتقرر في ذهن الطفل، لأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فلا يزال تأثيره يبقى إلى آخر أيام حياة الطفل، حتى بعد كونه شابا وشيخا. ولذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاهتمام بذلك وهو يقول: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[1]، بالإضافة إلى ترغيبه في مخالطة الأخيار بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير: فحامل المسك؛ إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة»[2].

بناءً على ذلك؛ فإنّ المسلمين اهتموا، في كل عصر ومصر، بإعداد كتب مناسبة لأذهان الأطفال. وساهم المسلمون الهنود كذلك في هذا المجال، وأعدّ كثير منهم مؤلفات مناسبة لأذهان الأطفال لتعليم اللغة العربية وآدابها. فاختار الأخ سيد محمد طارق الندوي، الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بكلّية ذاكر حسين التابعة لجامعة دلهي، هذا الموضوع، وألّف هذا الكتاب الذي يضمّ ٢٧٢ صفحة من الحجم المتوسط، وأصدره «الهادي للدراسات العربية الهندية»، نيودلهي، الهند، في عام ٢٠١٣م.

غياث الإسلام الصديقي الندوي(*) - الهند

ويحتوي الكتاب على مدخل وأربعة أبواب وخاتمة. قدّم له سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء لكنؤ، فأشاد به إشادة موفورة.

حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يحيط بالجهود الأدبية العربية للأطفال التي بذلها المؤلفون في الهند، بالإضافة إلى معظم المقررات الدراسية التي ألّفها الهنود لمبتدئي اللغة العربية وهي رائجة في المدارس الحكومية والأهلية في الهند.

يشتمل الكتاب على أربعة أبواب، وكلّ باب يتكوّن من عدّة فصول. فسرد المؤلف في الباب الأوّل ماهية أدب الأطفال، وتطور اللغة العربية في الهند، وهو يحتوي على فصلين:

أوّلهما في أدب الأطفال وماهيته. تعرّض المؤلف فيه لتعريف الأدب وفوائده، وتعريف أدب الأطفال ومدلوله العام وأغراضه ومكوناته وأنواعه، كما تعرض لقصص الأطفال وأنواعها لدى العرب، وتطرّق إلى الحكاية والرواية والخرافة والأسطورة والمسرحية والشعر بما فيه الشعر الملحمي والغنائي والتعليمي والأناشيد، وعرّف بصحافة الأطفال.

وثانيهما في الصلات الهندية والعربية عبر التاريخ الحديث، وعدّد المؤلف فيه الآثار العربية الهندية من البداية إلى عام١٨٥٧م، ثمّ ألقى ضوءا على اللغة العربية في الهند منذ عام١٨٥٧م حتى تأليف هذا الكتاب.

أمّا الباب الثاني فهو «مساهمات الهنود الأدبية العربية

سيد محمد طارق الندوي

للأطفال» ويحتوي على فصلين:

أوّلهما في الآثار العربية الهندية الخاصة بتعليم اللغة العربية. استعرض فيه المؤلف الكتب العربية التي تتعلّق بأدب الأطفال، وتناول ستة عشر مؤلفا بما فيها «قصص النبيين للأطفال» في خمسة أجزاء، و«القراءة الراشدة» في ثلاثة أجزاء للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، و«القراءة الواضحة» في ثلاثة أجزاء للأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي، و«أمثال آصف الحكيم» الذي نقله الأستاذ عبد الحميد الفراهي من الإنكليزية إلى العربية، و«العربية للأطفال» في ثلاثة أجزاء قامت بتأليفه مجموعة من المؤلفين، و«دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها» في ثلاثة أجزاء لصاحبه الدكتور ف.عبدالرحيم، و«تاريخ الهند للأطفال» لصاحبه روشن دالال الذي نقله إلى العربية البروفيسور زبير أحمد الفاروقي والبروفيسور حبيب الله خان، و«دروس الأدب» في جزأين للعلامة سيد سليمان الندوي، و«الجديد في العربية» لصاحبه البروفيسور سيد إحسان الرحمن، و«السلسلة الذهبية للقراءة العربية» في اثني عشر جزءا لصاحبه الدكتور محمد لقمان السلفي، و«مختارات من الأدب والنصوص» في جزأين قامت بتأليفه لجنة المقررات الدراسية العربية التابعة لمجلس التعليم الإسلامي بكيرالا.

ذكر المؤلف في هذا الباب كتابا مهمّا في مجال تعليم العربية وهو «اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها» في ثلاثة أجزاء للبروفيسور شفيق أحمد خان

الندوي بمشاركة من البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي، والدكتور نسيم أختر الندوي. وتمت طباعتها لدى مطبعة هارفارد نيودلهي. وهي موجهة إلى طلاب المدارس العصرية التي تستخدم اللغة الإنكليزية لغة وسيطة لها. يتعلم الطالب أساسيات اللغة العربية بذلك، فيتدرب على المهارات اللغوية الأربع بصورة تلقائية. وذلك لأن المؤلفين اهتموا بتقديم أنماط لغوية بسيطة مستخدمة في الحياة العادية، وترسيخها في قلب الدارس عن طريق الصور والتدريبات اللغوية المتنوعة من غير أثقال صرفية ونحوية إلا أنّهم أوضحوا، مع ذلك، قواعد ضرورية في نهاية الكتاب ملحقة بكلّ درس من الدروس، مع مفردات جميع الدروس ومعانيها بالإنكليزية، بالإضافة إلى ترجمة توجيهات التدريبات إلى الإنكليزية لكي يتسنّى للمعلمين والوالدين تعليم أطفالهم في الفصول وفي المنازل بأنفسهم على السواء.

استعرض الباحث، كذلك، «اللغة العربية الوظيفية» في أربعة مجلدات للبروفيسور شفيق أحمد خان الندوي وزملائه د.حبيب الله خان، ود.فرحانة صديقي، ود.نسيم أختر، وقام بنشره المجلس القومي لترويج اللغة الأردية، نيودلهي. وطبع الكتاب أول مرة في أبريل٢٠٠٢م، ثمّ طبع عدّة مرات. وتتكون سلسلة اللغة العربية الوظيفية من ثماني وحدات متنوعة هي: «الآداب الثقافية والبيئة»، و«السكن والتسوق»، و«لوازم معيشية»، و«حوائج إضافية»، و«شؤون مرتبطة بالحضارة، والصحة والعلم»، و«قضايا ثقافية اجتماعية»، و«تعابير علمية وفنية»، و«رسائل وطلبات». وهي تشتمل على ٦٤ درسا مع أربعة أدلة خاصة بها بصورة مستقلة ومنفصلة باللغتين العربية والأردية. تمّ إعداد هذه المجموعة لطلبة «الدبلوم في اللغة العربية الوظيفية»، وتتصف الدروس بمنهج الحوار والمحادثة.

أمّا المحتويات فإنها تشمل جميع الموضوعات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته العادية، والتي تتراوح بين الحياة في البيت والمدرسة، وبين تكنولوجيا المعلومات والصيدلية والمطار والقطار وهلمّ جرا. أمّا لغة محتويات الدروس فهي لغة حديثة وحية بأسلوب سهل ميسور لكل من لديه المعلومات الأساسية للغة العربية. فهذه السلسلة نافعة لمن يعرف القواعد العربية الأساسية من النحو والصرف.

وبالتالي ألقى المؤلف ضوءا على كتاب «أساس اللغة العربية لغير الناطقين بها» لمجموعة من الكتّاب تحت رئاسة الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي. كما ألقى ضوءا على «دروس المقرر الدراسي للمرحلة الثانوية» في جزأين، والتي أعدّها البروفيسور شفيق أحمد

خان الندوي، والبروفيسور زبير أحمد الفاروقي، والبروفيسور محمد أسلم الإصلاحي، والبروفيسور غلام يحيى أنجم، والبروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي، والبروفيسور ولي أختر الندوي برئاسة البروفيسور سليمان أشرف.

ويذكر كاتب هذه الأسطر بهذه المناسبة أنّ «الكتاب الخاص بدروس اللغة العربية للمرحلة الثانوية العامة» (الصف الثاني عشر) أيضا قد طبع من المعهد القومي للتعليم المدرسي المفتوح، وزارة تنمية الموارد البشرية، الحكومة الهندية؛ بتأليف أ.د.شفيق أحمد خان الندوي وزملائه أ.د.محمد إقبال حسين، وأ.د.رضوان الرحمن، ود.قمر شعبان الندوي، وغياث الإسلام الصديقي الندوي.

أمّا الفصل الثاني لهذا الباب فهو يلقي ضوءا يسيرا على إسهامات المؤلفين الهنود في مجال أدب الأطفال دون الاستعراض، فتناول ثمانية عشر مؤلفا بما فيها «التعبير والمحادثة العربية» للبروفيسور محمد اجتباء الندوي، و«تمرين الدروس» للأستاذ علي أحمد الكياني الندوي، و«الحنين إلى الشهادة» للأستاذ محمد ناظم الندوي، و«دروس الأشياء والمحاورة العربية» للأستاذ محبوب الرحمن الندوي الأزهري، و«دروس الأطفال» للدكتور عبدالله عباس الندوي، و«القصص الهندية» لمؤلفها البروفيسور إحسان الرحمن، و«روعة البيان في الحوار القصصي» للأستاذ محمد علاء الدين الندوي، و«القصص الشهيرة» للشيخ عبد

الغفار الندوي، و«قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال» للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، و«منتخبات من الأدب العربي» للأستاذ السيد وصي مظهر الندوي، و«الموت في سبيل الإيثار» للأستاذ محمد ناظم الندوي، و«نفحة العرب» للأستاذ محمد إعزاز علي.

وفي الباب الثالث ذكر المؤلف إسهامات العرب في مجال أدب الأطفال، وفيه ثلاثة فصول؛ ألقى المؤلف في الفصل الأول ضوءا على تطور أدب الأطفال في العالم العربي بدءا من «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير» لابن المقفع وهو أديب عربي في القرن الثاني الهجري، إلى إسهامات كامل الكيلاني وهو رائد أدب الأطفال العربي في العصر الحديث.

وفي الفصل الثاني قام المؤلف باستعراض تاريخي لتطور أدب الأطفال في العالم العربي الحديث، وذكر فيه ثلاث مراحل لتطور هذا الأدب بما فيها مرحلة الترجمة والتعريب، ومرحلة التأصيل، ومرحلة التأليف المستقل في هذا المجال والتنوع الفني.

وفي الفصل الثالث تطرّق المؤلف إلى بعض مؤلفات العرب في أدب الأطفال؛ فأوّلا استعرض الآثار النثرية الخاصة بالأطفال، وتناول عشرة مؤلفات بما فيها «ألف ليلة وليلة»، و«قصص العرب»، و«مجموعة القصص الدينية»، و«مجموعة القصص العربية»، و«مجموعة شبابنا»، و«الموسوعة العلمية الأولى للأطفال».

وبعد ذلك استعرض المؤلف الآثار الشعرية الخاصة بالأطفال

فتناول كتابين في هذا الصدد وهما «شعر الأطفال تجارب في الإبداع» للدكتور أنس داود، و«مجموعة من النظم للحفظ والتسميع» للأستاذ محمد شريف سليم، ثمّ تعرض المؤلف للمجلات والصحف الخاصة بالأطفال فتناول سبع مجلات بعضها وقف إصدارها في الماضي، وبعضها لاتزال تصدر في مختلف الدول العربية وهي «مجلة سندباد»، و«مجلة براعم الوسط»، و«مجلة أسامة»، و«مجلة العربي الصغير»، و«مجلة باسم»، و«مجلة ميكي»، و«مجلة نيلوفر».

والباب الرابع مختص بالمقارنة بين أعمال العرب والهنود في مجال أدب الأطفال وهو في فصلين؛ ذكر المؤلف في الفصل الأول منهجه المختار للدراسة المقارنة والنقاط الملحوظة فيها. وفي الفصل الثاني قام بدراسة تحليلية ونقدية لبعض مؤلفات العرب والهنود حول أدب الأطفال.

فأمّا أعمال الهنود فهي مجموعة «العربية للأطفال» للجنة التربية الإسلامية والبحوث بكوزي كوت، كيرالا، و«القراءة الواضحة» للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، و«القراءة الراشدة» للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، و«قصص النبيين» للمؤلف نفسه، و«مجلة الرائد» الصادرة عن دار العلوم لندوة العلماء في لكنؤ.

وأمّا أعمال العرب فهي مجموعة «القصص العربية» لكامل الكيلاني، و«القراءة الرشيدة» لعبدالفتاح الصبري بك وعلي عمر بك، و«صندوق الدنيا» للجنة التابعة لدار المعارف بمصر، و«حكايات شهرزاد» للجنة المؤلفين التابعة لدار شهرزاد، بيروت، و«حكايات مصورة للأطفال» لكلّ من الدكتور محمد قدري لطفي، والدكتور عبد الفتاح شلبي، والأستاذ سيد أحمد العجان، والأستاذ يوسف الحمادي، و«مجلة العربي الصغير» الصادرة من وزارة الإعلام لدولة الكويت.

استعرض المؤلف أعمال العرب والهنود المذكورة في هذا الباب من جوانب متعددة؛ استعرضها من حيث اللغة والأسلوب، فاقتبس عددا ملحوظا من فقرات النصوص الأدبية من الكتب المذكورة لإيضاح مستوى اللغة المستخدمة فيها، وخصائصها الأدبية والفكرية، وتقويم أسلوبها، ثمّ تناول محتويات الكتب المذكورة بالبحث والنقد، وقسم في ضوئها أنواع نصوصها. وبعد ذلك تناول أهداف الكتاب وأغراضه بالعرض والنقد.

وعلى هذا المنوال تمّت الدراسة التحليلية والنقدية لعديد من أعمال العرب والهنود في مجال أدب الأطفال. وبعد الفراغ من هذه الدراسة عقد المؤلف عنوانا باسم «الملاحظات»، وذكر فيها ما استفاده بعض المؤلفين الهنود من بعض المؤلفات العربية.

وينتهي الكتاب بالخاتمة التي قدّم فيها المؤلف خلاصة البحث، وأثار بعض الأسئلة تجاه أدب الأطفال واللغة العربية في الهند ثمّ أجاب عليها بنفسه.

وفي غضون هذه الدراسة أورد المؤلف عدّة مقتبسات متسمة بروعة بيانية وجودة فكرية وضحت فوائد هذا التأليف، وجعلته كتابا أدبيا رائعا.

أمّا أسلوب الكتاب فهو سهل وسلس، كما هو خالٍ من الزخارف اللفظية، ويمتاز الكتاب بالموضوعية، لا يصعب على القارئ فهمه. فهو قيم معنىً، وأسلوباً، وأدباً. وفي إعداد هذا الكتاب استفاد المؤلف من ستة وثمانين مصدرا بما فيها المؤلفات والمجلات والجرائد والدوريات العربية والإنكليزية والمواقع الإلكترونية.

وفي نهاية المطاف لا يمكننا إلا أن نقول: إن الأستاذ سيد محمد طارق الندوي قام بإنجاز قيم عن طريق هذا الكتاب، فإنه بحث شامل من حيث الموضوع، ومفيد للغاية لمعلّمي اللغة العربية ودارسيها لكونه أوّل كتاب في الهند يشتمل على معظم المجهودات الأدبية العربية الخاصة بأدب الأطفال ومبتدئي اللغة العربية في الهند.

فنرجو أن يستفيد كلّ مَنْ يهتم بتعليم الأطفال مِنْ هذا الكتاب ولغته الميمونة. والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين■

الهوامش:

(*) باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي، ومحاضر ضيف، قسم اللغة العربية وآدابها، كلّية ذاكر حسين دلهي التابعة لجامعة دلهي.

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، رقم الحديث ١٣٥٩، ورواه مسلم، كتاب القدر، رقم الحديث ٢٦٥٨، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري، كتاب الذبائح، رقم الحديث ٥٥٣٤، ورواه مسلم، كتاب البرّ والصّلة، رقم الحديث ٢٦٢٨، واللفظ لمسلم.

بائع الذرة

محمد بن يوسف كرزون- سورية

نظرتُ في وجهِ بائع الذّرة، وهو ينظر إلى زبائنه، ثمّ رفعتُ نظري إلى السماء أطلب من الله الفرجَ له ولي.

ابتسمتُ.. ضحكتُ.. أخذتُ وقتاً.. ثمّ تذكّرتُ أنّي في السوق..، وإذا بفكري يذهب بعيداً إلى الأعماق:

يا هذا.. انظرْ إلى مدبّر الكون، وانظرْ إلى نفسكَ..، وانظرْ إلى هذا الفتى.. سوف ترى كلّ شيء أمامك..

بائع الذّرة ناداني من غفوتي قائلاً:

يا عمّ.. إذا لم يكن معكَ مال، فأرجوكَ خُذْ هذا هديّةً منّي، الحمدُ لله.. لي ربّ يكفيني..، وقد سخّرني لكَ لأطعمكَ ما تشتهي.

ابتسمْتُ في وجهه.. كنتُ أتمنّى أن أقبّله، وقلتُ له: الذي كفاكَ كفاني..، وهو يكفي جميع مخلوقاته.

قام من مكانه.. اقترب منّي، وقَسَمَ عرنوسَ ذُرَة، وقال لي: نصفٌ لكَ ونصفٌ لي.

أخذتُهُ وأنا في غاية الفرح، لأنّهُ إنسان رقيق، ولأنّني كنتُ أودُّ أن يرزقه الله المال، وإذا بي أرى أنّ الله تعالى قد رزقه قبل أن أتمنّى له..

رزقهُ الكرمَ والبركةَ وعزّةَ النفس، وقلتُ لنفسي: دعيني أتأمّل..

فمنْ أبدعَ الكونَ!؟ هو الذي أبدعَ سرّه.. قبلَ أن يُبدِعَ شكلَه الخارجيّ، ولكن الإنسان دوماً يبحث عن القشور■

إعداد: شمس الدين درمش

الرياض: محمد شلال الحناحنة

قراءة أخرى للتراث الأدبي عند العرب

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض في ملتقاه الدوري لشهر رجب ١٤٣٧هـ، محاضرة بعنوان: (قراءة أخرى للتراث الأدبي عند العرب) ألقاها الأديب الدكتور حبيب المطيري الأستاذ المشارك بقسم البلاغة والأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك مساء الخميس في ١٤٣٧/٧/٢٨هـ، وأدار اللقاء الناقد الدكتور وليد قصاب.

ويرى المحاضر أن قراءتنا للتراث الأدبي العربي محاولة لإعادة الروح الصافية له، ويكون هذا من خلال بعض الخطوات كالاستدعاء التاريخي للأحداث والقضايا المعاصرة في الإبداع الأدبي شعراً، ورواية من خلال التراث الأدبي القديم. وتحقيق ونشر الكتب الكبيرة في التراث مثل كتاب

«الأغاني» و«تاريخ ابن خلدون ومقدمته»، و«فقه اللغة»، وغيرها.

وتحدث المحاضر الأديب د.حبيب المطيري عن بعض شعراء الحداثة في استدعاء التراث كالحلاج والسندباد وهابيل وقابيل. وكان تعامل رموز الحداثيين مع التراث تعاملاً انتقائياً في إعلائه فوق قدره أو تشويهه أو طمسه.

وقال د.المطيري: إن المشكلة ليست في وجود المخالفات فقط، ولكن تكمن في تعاملنا نحن مع التراث مع وجود المخالفات والأكاذيب فيه.. مع

أمسية شعرية مفتوحة لعدد من الشعراء في ندوة الوفاء

أقامت ندوة (الوفاء) الثقافية في الرياض ضمن لقاءاتها الأسبوعية أمسية شعرية مفتوحة لعدد من الشعراء وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٧/٧/٧هـ، وقد أدار الأمسية الناقد الدكتور محمود إسماعيل عمّار الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحضرها جمع من الأدباء والكتاب والإعلاميين، ورواد الندوة.

وشارك في الأمسية كل من الشعراء: حسين محمد باجنيد، بقصيدة زمن الفراعنة، وفيصل الحجي بقصيدة تحكي مأساة سورية، ود.عمر خلوف بقصيدة سمراء النواعير، والشاعرة خالدة

أحمد عبد الله باجنيد قرأها الشاعر حسين محمد باجنيد، وجميل الكنعاني بقصيدة نصرة النقب، وأحمد عباس عافشي بقصيدة فلم التجني يا عمر؟

وأنشد الأستاذ عبد الله علي حسين الشيخ أبياتاً لوالده رحمه الله، وإبراهيم التركي بقصيدة انكسارات الأمة، وأنشد الشيخ عبد الله محمد

أن بعض المصنفين يقر بتأليفها ووضعها لتسلية الولاة، وإمتاعهم وليس للعلم والأدب. وثبت أن كثيراً من مصادر هذه الكتب في الغالب هي أفواه الرواة دون تمحيص، وهم يجمعون دون توثيق لما يكتبون، وهذه أخبار قابلة للصدق والكذب، فكيف نسلم بصحتها؟!

وفي الختام أثارت المحاضرة عدداً من الأسئلة والمداخلات شارك فيها الدكتور وليد قصاب والأستاذ سعيد إسماعيل، والأديب خليل الصمادي، ويس عبد الوهاب ود. سامي العجلان وياسر النفيعي، ود. عمر خلوف، والأديب محمد الحناحنة، وقد أجاب المحاضر على الاستفسارات وختم الأمسية بقصيدة عنوانها: أتظن؟

بافضل قصيدة للعلامة اليمني عبدالرحمن بن عبد الله بلفقيه التريمي.

وأنشد المهندس محمد إقبال البدراني قصيدة مجد المجرة لوالده الشاعر حيدر البدراني في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وشدا أحد الإخوة قصيدة من نحن؟ للشاعر د. عدنان النحوي.

وفي الختام استعرض الشيخ محمد بافضل دور الشعر في الدعوة لله مورداً كثيراً من المختارات المتميزة العذبة والحكم السامية.

نظرية ما بعد الاستعمار وأهميتها في النقد العربي

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض ضمن لقاءاته الشهرية محاضرة بعنوان : (نظرية ما بعد الاستعمار وأهميتها في النقد العربي) ألقاها الدكتور محمد عبد الغني غنوم الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٧/٦/٢٨هـ، وأدار اللقاء الناقد الدكتور وليد قصاب وحضرها مجموعة من الأدباء والإعلاميين، وجمهور من رواد الرابطة ومتابيعها.

ولخص د.محمد غنوم المحاضرة في عدة عناصر، هي: نظرية ما بعد الاستعمار المصطلح والمفهوم.، الاستشراق في دراساته ودور الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد في ذلك. ودور الهندي هومي بابا وآخرين في دعم نظرية ما بعد الاستعمار. وتأثير مدرسة نظرية ما بعد الاستعمار على النقد العربي. والجانب التطبيقي والاستشهاد ببعض الأعمال الأدبية في مدرسة ما بعد الاستعمار.

وتحدث المحاضر عن الدور الثقافي والاجتماعي للاستشراق، وأشار إلى كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، وهو كتاب مفصلي في نظرية ما بعد الاستعمار والاستشراق، وأفاض في هذه القضية،

وفي الختام أجاب الدكتور غنوم على الأسئلة وعقب على المداخلات التي شارك فيها د.وليد قصاب، ود.محمود عمار، ود.عبد الباسط بدر، والأديب شمس الدين درمش ود.خالد الرشيد، وفيصل الحبيب، والأديب خليل الصمادي، والأستاذ عبد الرزاق ديار بكرلي، ود.حيدر البدراني.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

ذكريات من مجلس العقاد

عقدت في المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن أمسيةً أدبيَّةً للأستاذ الناقد والشاعر عبدالله شبيب وذلك مساء يوم السبت الموافق: ٢٠١٦/٥/٧م. وكانت بعنوان (ذكريات من مجلس العقاد).

حيث طوَّف بنا الاستاذ المحاضر في جوانب مختلفة من حياة عباس محمود العقاد الأدبيَّة والثقافية. وسلط الضوء على بعض جوانب حياته الشخصيَّة من خلال معايشته للعقاد أثناء دراسته في مصر في عقد الخمسينيات من القرن الماضي. حيث كان المحاضر يواظب على حضور منتدى العقاد الأسبوعي، والذي كان يعقد صباح كل يوم جمعة. وأكد المحاضر أن العقاد ذو شخصية ثقافية موسوعيَّة. وقد رَبَت مؤلفاته على مئة كتاب. وأبرز مؤلفاته «سلسلة العبقريات». وقد فرَّق المحاضر بين ثقافة العقاد الموسوعية وحرصه على الدفاع عن الإسلام في وجه خصومه وأعدائه، وبين حياته الشخصية التي لم تكن تتوافق مع فكره الإسلامي، ودفاعه عن عقيدته من زاوية عدم حرصه على أداء الصلوات. كما ألمح الى أن العقاد كان حاد الطبع في أحكامه على خصومه. وكان شديد الاعتداد بنفسه وأدبه.

وقد عقَّب العديد من أعضاء الرابطة وضيوفها على بعض ما ذكره المحاضر مما سلّط الضوء على جوانب أخرى من حياته وأدبه.

وقد أدار المحاضرة عضو الرابطة الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر.

وقفة مع كتاب رحلة مع الأدب الإسلامي

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في عمان أمسيَّة ثقافية نقدية مساء يوم السبت الموافق: ٢٠١٦/٤/١٦، كان فارسها الشاعر الدكتور مأمون فريز جرار الرئيس السابق لمكتب الرابطة، حيث ألقى محاضرةً نقديةً بعنوان: وقفة مع كتابي رحلة مع الأدب الإسلامي التنظير والتطبيق. مطوفاً بالحضور في مجالات متعددة ومقالات وخواطر متفرقة دارت حول بعض رموز الأدب الإسلامي وفنون ذلك الأدب، في الشعر، والقصة، والمسرحيَّة، والروايَّة، مستعرضاً عبر وقفات نقديَّة بعض الجوانب الإبداعيَّة في تلك الفنون، ومبيناً ما يعانيه الأدب الإسلامي قديماً وحديثاً من تعتيم إعلامي، حيث أرجع السبب الرئيس في ذلك إلى الأدباء والنقاد الإسلاميين، وطارحاً بعض المقترحات للنهوض والارتقاء بفنون ذلك الأدب لاختراق حواجز التعتيم الإعلامي، والانطلاق إلى آفاقٍ أوسع وأرحب في الترويج لذلك الأدب، واستقطاب مزيدٍ من المتفهمين له والمتذوقين لإبداعاته.

وقد غصت القاعة بالحضور من أعضاء وضيوف الرابطة الذين تفاعلوا مع المحاضرة، فأثنوا على المحاضر، وكان لمداخلاتهم الأثر الكبير في إثراء المحاضرة وإلقاء مزيدٍ من الضوء على بعض جوانبها. وأدار اللقاء الدكتور عودة الله منيع القيسي الرئيس الأسبق لمكتب الرابطة.

المهرجان الشعري بعنوان لبيك حلب

مساء يوم السبت الرابع عشر من شعبان ١٤٣٧ للهجرة، الموافق ٢١ - ٥- ٢٠١٦م، أقام مكتب الأردن الإقليمي بمقرّه في عمّان مهرجاناً شعريّاً حاشداً حول مأساة حلب، حيث ألقى مجموعة من شعراء الرابطة، قصائد مؤثرة بهذه المناسبة، بدأها الشاعر المتألق سعيد يعقوب بقصيدة بائيّة، ثم ألقى الشاعر الكبير خالد فوزي عبده قصيدة أخرى، على البحر والقافية ذاتها. ثم توالت قصائد الشعراء أعضاء الرابطة: الشاعر سليم ارزيقات، والشاعر محمّد طكو. ثم قدم بعض الشعراء الواعدين من الشباب والضيوف قصائد بهذه المناسبة.

وقد تخلل المهرجان عرض مقاطع (فيديو) تتحدث عن مأساة حلب، وانتفاضة أهلنا في فلسطين انتصاراً للأقصى والمقدّسات. وقد غصت القاعة بالحضور من أعضاء وضيوف الرابطة، وقد أدار المهرجان عضو الهيئة الإداريّة للمكتب الأستاذ الشاعر محمد الخليلي.

تجربتي في المسرح

أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية يوم السبت الموافق: ٢٠١٦/٤/٣٠م، ندوةً بعنوان «تجربتي في المسرح» للكاتب المسرحي هاشم كفاوين، تحدث فيها عن بدايات تجربته المسرحية منذ كان طالباً في كلية العلوم في الجامعة الأردنية في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين. مبيناً الأدوار المسرحية التي شارك فيها ، والفرق الفنية التي كتب لها نصوصاً مسرحية والتي كان من أبرزها فرقة مسرح السنابل.

ثم دار حوارٌ بين الجمهور والكاتب المسرحي حول فنيات المسرح في العصر الحديث والدور الذي يضطلعُ به المسرح في الأردن.

أدار الندوة الدكتور مأمون جرار الرئيس الأسبق لمكتب الأردن.

مكانة القيم وأهمية تمثلها عند الأبناء

أقام مكتب الأردن الإقليمي للرابطة أمسيةً ثقافيةً وتربويةً مساء السبت الواقع في ٢٠١٦/٤/٢م، وكان فارسها الدكتور جمال الأشقر عضو الرابطة والأستاذ المساعد سابقاً في عددٍ من الجامعات الأردنية والخليجية، حيث قدَّم محاضرةً بعنوان: مكانة القيم وأهمية تمثلها عند الأبناء. تناول فيها بعض جوانب الإعجاز التربوي في تربية الطفل وتنشئته في القرآن والسنة بتعزيز القيم الإيمانية والأخلاقية في نفسه، وأهمية تمثلها في سلوكه وأعماله وأقواله.

وقد حازت المحاضرة على إعجاب وتقدير الحضور، والذين أثروا بمداخلاتهم واستيضاحاتهم بعض جوانب المحاضرة. وأدار الأمسية الرئيس المكلف لمكتب الرابطة في الأردن الدكتور عدنان حسونة.

أقام مكتب الأردن حفل إفطار تكريمي لأعضاء الشرف في الرابطة، وكان ذلك يوم السبت الثامن من رمضان الموافق ١٣-٦-٢٠١٦م، حضره العديد من الأعضاء العاملين في المكتب. بُدئ الحفل بتلاوة عطرة من القرآن الكريم، تلاها كلمة ترحيبية للرئيس المكلّف للمكتب الدكتور عدنان حسونة. ثم ألقى عضو الهيئة الإداريّة الدكتور تيسير الفتياني محاضرة حول حقيقة الصيام والإيمان تعرّض فيها للكثير من معاني الصيام. بعد ذلك قام الرئيس المكلّف بتوزيع شهادات وبطاقات عضوية الشرف، والدروع التكريمية للمشمولين بهذه العضوية، وهم السادة أصحاب المعالي: الدكتور محمد جمعة الوحش، والدكتور صلاح جرار. وأصحاب السعادة: الدكتور ابراهيم السعافين، الدكتور عبدالقادر الربّاعي، الدكتور هيثم أبو خديجة، الأستاذ محمد الإستنبولي، المحامي صالح العرموطي، والمهندس خليل عطيّة.

وختم الاحتفال بدعاء قدّمه عضو الرابطة الأستاذ عبدالله شبيب. وقد تناول الحضور طعام الإفطار وأدوا صلاة المغرب جماعة. وأدار الحفل أمين سر المكتب الدكتور عبدالله الخطيب.

العشماوي في أمسية شعرية

استضافت لجنة التنمية الاجتماعية في بلجرشي بالتعاون مع نادي حي البركة، الشاعر الدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي، في أمسية شعرية ألقى من خلالها العديد من القصائد التي نالت إعجاب واستحسان الحضور.

وتحدث العشماوي عن مسيرته الشعرية التي بدأت في مراحل دراسته الابتدائية، حيث استمر عطاؤه الشعري طيلة مراحل تعليمه، وأشار إلى أنه تلقى هدية قيمة بعد أن ألقى قصيدة شعرية أمام نخبة من كبار العلماء، كان أبرزهم سماحة العلامة الراحل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - والشيخ عثمان الصالح، مبينا أنه يطلع بشغف على كتب والده - رحمه الله - في مكتبات الشيخ علي بن يحيى وغيره من مشايخ غامد.

العشماوي كشف للحضور عن أنه كان يحرص على قراءة قصائده على مسامع والدته - رحمها الله - ليحصل منها على إجازة قبل إلقائها في المحافل والمناسبات، وختم لقاءه بقصيدة جميلة عن شهر رمضان المبارك.

قدم الأمسية محمد بن عبد الله غرامة الغامدي الذي سرد للحضور السيرة الذاتية للشاعر المتألق عبد الرحمن العشماوي، وفي نهاية الحفل تسلم درعاً تذكارية قدمها رئيس لجنة التنمية الاجتماعية غازي الخازم ورئيس نادي حي البركة أحمد الدعيث.

الأمسية تأتي ضمن فعاليات صيف بلجرشي وحضرها أعيان حي البركة وعدد من محبي العشماوي الذين حرصوا على التقاط الصور التذكارية معه.

ندوة القصيدة المغربية بين التجديد والتجدد تكريمًا للشاعر المغربي د. حسن الأمراني

احتضنت كلية الآداب العلوم الإنسانية بتطوان بجامعة عبد المالك السعدي، يومي الأربعاء والخميس ٢٥ - ٢٦ أيار/مايو، ندوة علمية في موضوع «القصيدة المغربية بين التجديد والتجدد تكريمًا للشاعر المغربي د. حسن الأمراني»، والتي تم تنظيمها من طرف شعبة اللغة العربية وآدابها بالكلية، و«فرقة البحث في الإبداع النسائي»، بتنسيق مع مؤسسة «عبد الله كنون» بطنجة.

وترأس الجلسة الافتتاحية الدكتور عبد اللطيف شهبون منسق (ماستر) الأدب المغربي في العصر العلوي، وضمت الجلسة السيد عميد الكلية الدكتور محمد سعد الزموري، والدكتور محمد الحافظ الروسي رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بتطوان، والدكتورة سعاد الناصر رئيسة «فرقة البحث في الإبداع النسائي»، والدكتور محمد كنون رئيس مؤسسة عبد الله كنون بطنجة، إضافة إلى المحتفى به الشاعر الدكتور حسن الأمراني.

وشارك بالحديث والبحوث كل من الدكتور محمد الحافظ الروسي المسير الفكري والأدبي للشاعر الأمراني، والدكتورة سعاد الناصر «أم سلمى» للسياق العام لتنظيم هذه الندوة العلمية، والذي يأتي في إطار تأمل مآلات الشعر المغربي المعاصر من خلال استعراض تساؤلات عدة حول إغراق القصيدة المغربية في التجريد دون وعي معرفي أو نقدي، وقدم الشاعر الأمراني قصيدة بعنوان «الشاعر والحمامة». ثم تواصلت أشغال هذه الندوة العلمية من خلال خمس جلسات، الأولى كانت برئاسة الدكتور عبد الرحمن بودرع، وتمحورت حول: المرجعيات الثقافية في الشعر المغربي. وتدخل فيها كل من: د.عز الدين الشنتوف، ود.أحمد زنيبر، ود.محمد الفهري، ود.عبدالإله، ود.محمد بنينير.

وفي الجلسة الثانية برئاسة الدكتورة جميلة رزقي، التي تمحورت حول أسئلة التجديد في الشعر المغربي، شارك فيها دة.سعاد مسكين، ود.فريد أمعضيشو، ود.جميل حمداوي، ود.زهيرة بولفوس، ود.أسماء الريسوني.

وفي صبيحة يوم الخميس ٢٦ أيار/مايو ٢٠١٦م؛ انعقدت الجلسة الثالثة برئاسة الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي، وتمحورت حول: الخصوصية الذاتية والانفتاح الكوني في الشعر المغربي، وشارك فيها د.أحمد هاشم الريسوني، ود.حياة خطابي، ود.سعيد الشقروني، ود.محمد بن عياد.

أما الجلسة الرابعة فتمحورت حول المتخيل الإنساني عند حسن الأمراني ، وترأسها الدكتور محمد علي الرباوي. وشارك فيها. محمد المتقن، ود.أحمد رزيق، ود.حسن الغشتول، ود.عمر العسري.

وكانت الجلسة الأخيرة برئاسة الدكتور محمد الحافظ الروسي، تدخل فيها الدكتوران الناقد نجيب العوفي، والشاعر محمد علي الرباوي، قدما شهادة في المحتفى به من خلال علاقتهما بالشاعر الأمراني والشعر المغربي منذ سبعينات القرن الماضي، والتحولات السياسية والفكرية التي كانت سائدة في المشهد الثقافي المغربي، والثبات على القيم الإنسانية والجمالية التي تميز به الأمراني. ثم قُدمت هدايا رمزية للمحتفى به بحضور عميد الكلية الدكتور محمد سعد الزموري.

مكتب القاهرة- محيي الدين صالح:

أنشطة أدبية وثقافية

عقدت عدد من الفعاليات الأدبية والنقدية في القاهرة والإسكندرية

■ ففي يوم الاثنين الموافق ٢٢ فبراير ٢٠١٦م أقيمت أمسية شعرية بمقر الرابطة شارك فيها عدد من شعراء الرابطة والضيوف.

■ وفي يوم الاثنين الموافق ١٤ مارس عقد عن لقاء أدبي نقدي مع **الدكتور مصطفى أبو طاحون** عن قضايا

الأدب الإسلامي ومدى تفاعل الساحة الثقافية في مصر مع معطيات هذا اللون الأدبي الذي تتبناه الرابطة.

■ وفي يوم الاثنين الموافق ٢٨ مارس كانت الندوة عن مجال التنظير للأدب العربي (**دواوين الشاعر أحمد بسيوني**

نموذجا) قدمت للندوة وأدارت فعالياتها الشاعرة نوال مهنى، وكان للدكتور مصطفى أبو طاحون تعليق مطول عن إبداعات الشاعر (أحمد بسيوني) عضو الرابطة، تناول في تعليقه مختلف ألوان الأدب عند أحمد بسيوني شعرا ونثرا ومسرحا، وأشار إلى اهتمامه بالمسرح الشعري أو الشعر المسرحي، وأنه متواصل العطاء، كما أشار إلى أن بسيوني يعبر عن فكره وأخلاقه وهمومه في كل إبداعاته، ومدى إخلاصه لقضايا الأدب الإسلامي.

وقال أبو طاحون: إن بسيوني مبدع رسالي ينتمي إلى الفضيلة والنقاء، واعتبره من الشعراء المجيدين، وأنه لم يأخذ حقه كما ينبغي. وتحدث بنوع من التفصيل عن أحدث دواوين بسيوني (المحار لا يتكلم).

وتحدث الدكتور سعد أبو الرضا عن مكانة بسيوني في الساحة الإبداعية، وقدم لنا صورة صادقة عن قناعاته.

وتحدث السادة الدكتور بسيم عبد العظيم والشاعر وحيد الدهشان، ثم أقيمت أمسية شعرية امتدت إلى قرب منتصف الليل لكثرة الشعراء الذين حضروا اللقاء.

■ وفي يوم الاثنين الموافق ١١ أبريل كان اللقاء مع **الشاعر محمد علي عبد العال** الذي تحدث

عن تجربته وهو في زيارة إلى الحرمين الشريفين، وأفاض الحديث عن وجدانياته أثناء الرحلة، ثم أقيمت أمسية شعرية شارك فيها عدد من الشعراء الحاضرين، وأدارت الندوة والأمسية الشعرية الشاعرة نوال مهنى.

■ وفي يوم الجمعة الموافق ١٥ أبريل نظمت الرابطة ندوة في الإسكندرية حضرها الدكتور سعد أبو الرضا والدكتور زكريا عناني والشاعر أحمد شبلول وعدد من أعضاء الرابطة بالقاهرة والإسكندرية. دارت الندوة حول الأدب الإسلامي فتحدث الدكتور سعد أبو الرضا عن الرابطة ودورها في نشر الأدب الإسلامي، وتحدثت الدكتورة عزة منير عن المسرح في الأدب الإسلامي، وشارك في المناقشات الدكتور زكريا عناني والشاعرة نوال مهنى والشاعر محمد علي عبد العال والشاعر أحمد شبلول. أدار الندوة والأمسية الشعرية التي أقيمت بعد الندوة الشاعر جابر بسيوني.

مكتب - ماليزيا

أمسية شعرية.. فعاليات رابطة الأدب الإسلامي العالمية الماليزية بعد تسجيلها رسميا منظمة غير حكومية

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بماليزيا في رحاب الجامعة الإسلامية العالمية، أمسية شعرية تحت عنوان «مقاربات شخصية الرسول في شعر الشعوب الإسلامية» وذلك بتاريخ ٤ مارس ٢٠١٦م.

شارك فيها ١٧ شخصا من عشاق الشعر، وقدموا أشعارهم بـــ ١٥ لغة من لغات العالم الإسلامي، كلهم يلهج بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذكر شمائله العطرة.

افتتحت الأمسية بتلاوة عطرة من الطالب عبد المعز بن محمد من ماليزيا، ليعتلي المنصة رئيس الرابطة الأستاذ المشارك الدكتور عبد الرحمن شيك، متحدثا عن الرابطة الجديدة مهنئا نفسه وزملاءه أعضاء الهيئة التأسيسية بأن أصبحت الرابطة كيانا معترفًا به، معددا أهداف الرابطة وبعض خططها المستقبلية، وآفاق التعاون مع الرابطة الأم.

ثم بدأت قراءات النصوص الشعرية باللغات المختلفة، فألقى الطالب الموريتاني عبد الرحمن عثمان قصيدة من قريضه يعبر فيها عن حبه لرسول الإنسانية، تلاه الطالب التركي عثمان شالار الذي شارك بقصيدة من نظم القائد العثماني الشهير «محمد الفاتح»، وأبدع الطالب طارق في إلقاء قصيدة باللغة الفارسية مفعمة بحب النبي صلى الله عليه وسلم لشاعر إيران الشهير سعدي، وجاء بعده الطالب العراقي أبوبكر رفيق ليقدم قصيدة من نظمه عن سيرة الرسول باللغة الكردية. ثم قدمت الطالبة الماليزية نور رقية قصيدة باللغة الإنجليزية مليئة بالقيم الإسلامية، ليعقبها د.مولانا من ماينمار

الذي أتحف الحضور بأدائه الماتع في إلقاء قصيدة باللغة البورمية حول الرسول عليه الصلاة والسلام.

انتقل الدور بعد ذلك من آسيا إلى القارة الإسلامية «أفريقيا» حيث أبدع الطالب الكيني عوض الجابري في قصيدته التي قدمها باللغة السواحلية. ثم توالت القصائد باللغات الأخرى، قدم د.وان رسلي من ماليزيا باللغة الملايوية، ود.يونس جيلاني من كشمير بالأردو.

وبعد فاصل إنشادي قصير باللغة الماليزية، قدم الطالب اليمني عبد الله سالم زين قصيدة بالعربية من تأليفه حظي بتصفيق الحضور وإعجابه، أعقب ذلك تقديم قصائد كلها في إطار وصف الرسول وإظهار حبه والشوق إليه، وتعظيم خلقه وهديه؛ باللغة البنغالية من الطالب عتيق الرحمن مجاهد من بنغلاديش، وباللغة الأمازيغية من الطالب سليمان أبو العلا من الجزائر، وبلغة «يوربا» من الطالب معروف الراجي، وبلغة الهوسا من الطالب بلا عبد الله أزري، وبلغة «الماندينغو» الشهيرة في غرب إفريقيا من د.آدم بمبا.

وكانت آخر مشاركة من الطالب سانو عمر بالفرنسية إحدى لغات العالم الشهيرة اليوم، لتكون اللغة العربية -كما المبتدأ- مسك ختام الأمسية الشعرية، وكانت للطالب صلاح الدين الرياض.

كانت الكلمة الأخيرة للأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت نائب رئيس الرابطة، الذي أثنى على المشاركين في الأمسية إلقاءً وحضوراً، وقام بتوزيع شهادات التقدير على الشعراء.

كتب وصلت

■ صدر عن دار رواية بلندن طبعة جديدة من سلسلة روايات للشباب للدكتور عبدالله بن صالح العريني، وهي: اسكن الجنة، لا تمسوها بسوء، النار الباردة، إنهم سكارى، أجمل رجل، شاطئ الوادي الأيمن، صلاة في بطن الحوت، حدائق الصبر، الملك النبي، لست إلهاً.

■ صدر عن دار رواية بلندن خمس قصص جديدة للأطفال من تأليف الدكتور وليد قصاب، وهي: عشرة أمثال، القرد ملكاً للغابة، عين سالت في سبيل الله، صاحب العمامة الحمراء، المرضع واليتيم.

■ جارح: رواية جديدة للأديب أسعد بن أحمد السعود، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، دار النهاج للنشر والتوزيع، الراكة، السعودية.

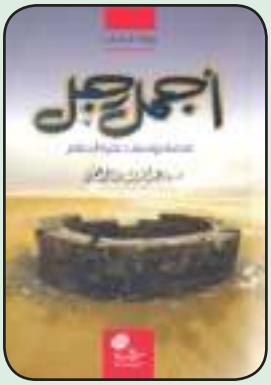
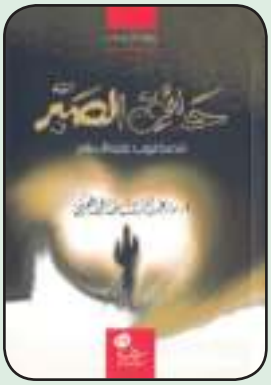
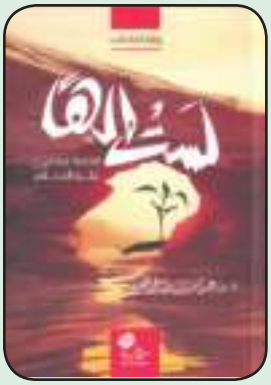

■ صدر للأستاذ عبدالله مسعود كتابان، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، هما:

- أهمية محبة النبي صلى الله عليه وسلم، في حياة المسلم، عن دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.
- الجامعة الرمضانية في شرح الصيام، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، المدينة المنورة.

■ صدر للأستاذ عبد الله بن حمد الحقيل، عن دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، كتابان: رحلات ومشاهدات في شرق آسيا، ومن وحي رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

■ على شاطئ المجد، دراسات وشهادات مهداة إلى الدكتور حلمي محمد القاعود بمناسبة بلوغه السبعين)، مجموعة من الكتاب، إعداد وتقديم : أبو الحسن الجمال، دار النابغة، ٢٠١٦م.